رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سعيد أعراب

القرّاء والقراءات بالمغرب



القراء والقراءات بالمغرب

الطبعة الأولى

1990/1410

دار الغرب الإسلامي
ص. ب: ١١٣/٥٧٨٧
بيروت - لبنان

سعيد أعراب

القرّاء والقراءات بالمغرب



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

في المكتبة العربية تراث ضخم في علم القراءات بأقلام مؤلفين مغاربة ، في حاجة إلى من ينفض الغبار عنه ، ويتناوله بالدرس والتحليل ؛ وهذه بحوث(1) تؤرخ للقراءات بالمغرب ـ منذ نشأتها ـ إلى أواسط القرن الرابع عشر الهجري ، وتعرف بمشاهير القراء وما خلفوا من آثار ؛ وقد ضمنتها مدخلاً وأربعة أبواب ، تحدثت في المدخل عن أوليات هذا الفن ، وجعلت الباب الأول في مقرأ نافع ، وضمنته فصلين : الأول في أصول حرف نافع ، والثاني في رسمه وضبطه ؛ وخصصت الباب الثاني للقراءات السبع ، وضمنته تمهيداً وأربعة فصول ؛ بينت في التمهيد ما هي القراءة وكيفية الأداء ؟ وما هو القارىء والمقرىء ؟ ثم ما هي طريقة المغاربة في هذا الشأن ؟.

وتحدثت في الفصل الأول عن قراء العصر المريني وما خلفوا من آثار ، وفي الفصل الثاني عن قراء العصر الوطاسي وآثارهم ، وفي الفصل الثالث عن قراء العصر السعدي وما لهم من آثار ، وفي الفصل الرابع عن قراء العصر العلوي وآثارهم.

وتناولت في الباب الثالث الوقف ومذاهب القراء فيه ، وهو يتضمن

---

(1) نشر أكثرها في صحيفة « الميثاق » ـ لسان حال رابطة علماء المغرب ـ في 48 حلقة س 7 ع 116 ـ س15 ع166 ، ونشر البعض الآخر بمجلة « دعوة الحق » س 11 ع 4 ، وع 9 ـ 10 (مزدوج) ، وس 17 ع 6 ، وع 9 .

فصلين : الأول في الوقف النظري ، والثاني في الوقف السني .

أما الباب الرابع والأخير ـ فخصصته للرمز والعدد في القراءات ، وفيه فصلان : الأول في نشأة الرمز وأنواع الرمزيات ، والثاني في مدرسة العدد وأعلامها .

وهكذا أعطيت صورة واضحة المعالم عن القراءات بالمغرب منذ نشأتها ، وعن الأطوار التي مرت بها عبر عصور التاريخ ؛ وعرفت بأعلام كل عصر ، وما خلفوا من آثار ؛ وأملي أن يجد القارىء في هذه الفصول ما يرجو من فائدة ، وقد أنرت له الطريق ، والله من وراء القصد ، وهو سبحانه ولي الهداية والتوفيق .

تطوان في 26 ربيع 2 1409 ـ موافق 6 نوفمبر 1988

المـــؤلف

مدخل في أوليات هذا الفن

(أ) ـ متى دخل القرآن إلى المغرب ؟

مما لا جدال فيه أن القرآن دخل المغرب بدخول الاسلام ، وقد كان من عمل عقبة بن نافع عندما فتح بلاد المغرب سنة (62 ـ 63 هـ) ـ وأراد العودة الى المشرق ـ أن عين جماعة من أصحابه يعلمون الناس القرآن وشعائر الاسلام ، وجعل على رأسهم شاكر بن عبد اللّه الأزدي ـ صاحب الرباط المشهور ـ على مراحل من مراكش (85 كلم) .

ولما ارتد البربر ـ وجاء موسى بن نصير لفتح المغرب من جديد ـ كانت الركيزة الأولى لسياسته الرشيدة : تعليم القرآن ، ونشر الوعي الاسلامي في سائر الطبقات ؛ وقد اختار من جنده بضعة عشر رجلاً من الفقهاء القراء ، وندبهم الى سائر الجهات ينشرون تعاليم الاسلام ، ويشيعون بين الناس حب القرآن والتشبث بأهدابه ؛ ولقد نجحت هذه السياسة أيما نجاح ، فلم تمض غير فترة قصيرة حتى رسخت العقيدة في النفوس ، وتوطدت أركان الاسلام ، ورفرفت راية القرآن في ربوع افريقية .

وتذكر بعض الروايات أن ابن زرعة ـ دفين سبتة ـ هو الذي أدخل القرآن الى المغرب ، وهي رواية يكتنفها كثير من الغموض ، فلا ندري من هو ابن زرعة هذا ؟ ولا في أي عهد كان ؟ وكل ما قيل عنه : أنه كان على جانب عظيم من الفضل والصلاح ؛ والمحتمل أنه أحد السبعة عشر الذين ندبهم ابن نصير إلى هذه المهمة ، وإنما نسب اليه هذا العمل ، لكونه

رأس الجماعة ، أو لأمر آخر نجهله ؟ .

وإذا جاز لنا أن نقول : إن شاكرا ـ صاحب عقبة ـ هو الذي وضع الحجر الأساسي للمدرسة القرآنية بالمغرب ، فإن هذا البناء لم يتم إلا على عهد موسى بن نصير ؛ على أن الروايات التاريخية تفصح بأن عمل شاكر هذا قد أقبر في مهده ، وقضي عليه في بدايته ؛ فلم يلبث البربر أن عادوا الى شركهم الأول ، وضلالهم القديم ؛ ولذا يعتبر موسى بن نصير الفاتح الحقيقي للمغرب ، وهو الذي دشن المدرسة القرآنية التي سنتحدث عنها ؛ وفي عهده انتشرت هذه الكتاتيب التي كانت الحصون المنيعة لكتاب الله ـ إلى جانب ما بني من مساجد ، وكانت مهمتها مزدوجة بين التعليم والعبادة ، ولا يزال البعض منها قائم العين يحمل اسم موسى بن نصير ، أو طارق بن زياد.

ثم جاءت بعثة عمر بن عبد العزيز التي كانت تتكون من عشرة فقهاء ، فنزلت كالغيث الوابل على أرض أفريقية ؛ فعززت هذه الحركة ، وزادت في نمائها ؛ وإذا لم يقدر لأكثر رجال هذه البعثة أن يتجاوزوا حدود القيروان ، فإن حملتهم المباركة تجاوزت كل الحدود ، فكانت المنطلق الفكري والديني في أقطار المغرب العربي ، وفي أفريقية كلها .

(ب) ـ المصحف المغربي :

مصحف عقبة بن نافع :

لعل أول مصحف عرفه المغرب ، هو مصحف عقبة بن نافع الفهري فاتح هذه البلاد ، وقد بقي متداولاً بين ملوك المغرب يتوارثونه بينهم ـ الى أن وقع في أيدي الأشراف السعديين ، ومنهم انتقل الى الملوك العلويين ؛ فبعث به السلطان المولى عبد الله هدية الى الحرم النبوي الشريف ـ في جملة مصاحف يحدثنا عنها الزياني فيقول : (ولما سافر الركب النبوي ، وجه معه السلطان المولى عبد الله ثلاثة وعشرين مصحفاً ، ما بين كبير وصغير ، كلها محلاة بالذهب ، منبتة بالدرر واليواقيت ؛ ومن جملتها :

المصحف الكبير العقباني ـ وهو مصحف عقبة بن نافع ، نسخه بالقيروان من المصحف العثماني . .).

ويوجد بمعهد المخطوطات للجامعة العربية ميكروفيلم لمصحف شريف كتبه خديج بن معاوية بن مسلمة سنة (47 هـ) ـ بمدينة القيروان برسم الأمير عقبة بن نافع الفهري .

على أن بعض الفهارس تذكر أنه لا تزال بقايا المصحف العقباني بإحدى خزائن تونس .

مصاحف أخرى :

ودخلت في فتح الأندلس سنة (92 ـ 93 هـ) جملة مصاحف ، وكاد يكون لكل قائد مصحفه الخاص ؛ وانتشرت المصاحف في صفوف الجند ، مما ساعد على شيوع نشاط حركة نسخ المصاحف .

مصحف عثمان :

وفي ظروف غامضة نجهلها ـ انتقل إلى الأندلس أحد مصاحف عثمان التي وجهها إلى الآفاق ، وظل بجامع قرطبة ـ الى أن حمله معه الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي ـ الى مراكش ـ عاصمة ملكة سنة (552 هـ) ، واستمر في بنيه مع تجلة واحترام ـ الى أن صار أواخر أيامهم لبني عبد الوادي ملوك تلمسان ؛ ثم استخلصه منهم أبو الحسن المريني ، وقد أدركه ابن خلدون قال : (وهو ـ لهذا العهد ـ في خزائن بني مرين) ، ثم لا ندري ماذا كان مصيره ؟

اهتمام ملوك المغرب بالمصحف :

ومن اهتمام ملوك المغرب بالمصحف الكريم وعنايتهم بشأنه : أن كان لهم خطاطون مهمتهم كتابة المصاحف ونشرها بين الناس ، ولم يكتفوا بذلك ، بل كان منهم من يتولى ذلك بنفسه ـ حسبة الى الله ـ تعالى .

فهنـاك مصحف ابن تومـرت مؤسس دولـة المـوحـدين ـ وهـو دون المصحف العثمـاني في الحجم ، محلى بالفضـة المموهـة بـالـذهب ؛ ومصحف عمر المرتضى ـ من أواخـر ملوك الموحـدين ، يقع في عشـرة أجـزاء ؛ وكتب أبو الحسن المـريني ثلاثـة مصاحف بخـطه وجههـا الى المسـاجد الثـلاثة : المسجـد الحـرام ، والمسجـد النبـوي ، والمسجـد الأقصى .

أما المستوى الشعبي ، فقد كان هناك خطاطون مصحفيون كثيرون ، مما أغنى المكتبة المغربية في هذا السبيل ؛ ولا يكاد يخلو مسجد أو زاوية من خزائن وربعيات للمصاحف الموقوفة على القراء ، يرجع تاريخ بعضها إلى حـدود (598 هـ) ؛ وبمكتبة الجـامع الأعـظم بتطوان ـ الى الآن ـ مصحف أثري كتب ببلنسية سنة (600 هـ) ، كان في ملك الامـام ابن مرزوق الجد ؛ وفي خزانة جامع القرويين بفاس وجامع ابن يوسف بمراكش ـ ثروة هائلة من هذا القبيل .

ومنذ أوائل العصر الموحدي بدأ المصحف المغربي يأخـذ طابعـه الخاص في خطه ورسمه وقراءاته ، ثم توج ذلـك بالـوقف الذي وضعـه الهبطي ـ على ما سنذكره بعد .

(جـ) ـ الكُتَّاب القرآني :

يعتبر الكُتَّاب القرآني ـ (المسيد) ـ النواة الأولى للمدرسة القرآنية ، وهو بيت متواضع يتسع لعدد من الصبيان ، يشرف عليه معلم قارىء حافظ ، يتخذ التعليم حرفة ومكسباً ؛ وكان الآباء ينتقون لأبنائهم خيرة المعلمين ، ليكونوا لهم القدوة الحسنة ، ويشارطونهم على أجر معلوم مسانهـة ـ في الغالب ؛ والكتاب له منهج خاص ، وبرنامج محدد.

وأول مقررات ذلك المنهج : القرآن الكـريم ، وكانت العنـاية بـه شديدة ؛ ويقول ابن خلدون في هذا الصدد : (إن تعليم الولدان القرآن

شعـار من شعائـر الدين، أخـذ به أهـل الملة، ودرجوا عليـه في جميـع أمصارهم ، لما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن . . وصار القرآن أصل التعليم الديني الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات ، ومذهب أهل المغرب في التعليم : الاقتصار على تحفيظ القرآن ، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله ، واختلاف حملة القرآن فيه ، لا يخلطون ذلك بسـواه في شيء من مجالس تعليمهم . . الى أن يحذق فيه ، أو ينقطع دونه) .

سن ابتداء التعليم :

يدخل الصبي الكتاب عندما يعقل ، وغالباً ما يكون ذلك في السنة الخامسة أو السادسة ، وربما بدأ بعضهم في الرابعة أو السابعة .

وطريقة التعليم في الكتاب : أن يبدأ الطفل بحفظ الحروف الهجائية (ألفبا) ، ثم يحفظ بعض السور القصار : يقرأ المعلم الآيـة والآيتين ، فيرددها الطفل حتى يحفظها ، والشأن أن يكون لكل صبي لوح يكتب فيه ما يريد أن يحفظه ، فإذا حفظه ، محاه ليكتب شيئاً جديداً ، وهكذا يتدرج في حفظ الآيات والسور حتى يختم القرآن (الختمة) ، ثم يبدأ السلكة من (آلم) بالربع أو النصف حسب استعداد الطفل وذكائه ، وتتكـرر السلك والختمات حتى يحفظ القرآن جيداً (ويصفي لوحه) .

ويـذكر محمـد بن سحنون في (آداب المعلمين) ـ أنـه ينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن ، وذلـك لازم له ، والشكـل ، والهجاء ، والخط الحسن ، والقراءة الحسنة ، والتوقيف ، والترتيل ، ويلزمه أن يعلمهم ما علم من المقارىء الحسنة ـ وهو مقرأ نافع ، ولا بأس إن أقرأهم لغيره من كل ما قرأ به أصحاب رسول اللّه ـ صلى الله عليه وسلم .

والسنة المتبعة بالمغرب : أن يبدأ الطالب القرآن أولاً بقراءة نـافع ـ رواية ورش ، ثم رواية قالون (التحنيش) ، ثم قراءة ابن كثير (مكي) ، وأبي عمرو البصري (ساما) ، ثم السبع (حمزة) .

الأسبوع الدراسي واليوم المدرسي :

يحدد منهج الكُتَّاب القرآني الأسبوع الدراسي - ابتداء من يوم السبت ، وينتهي عند زوال يوم الخميس ، وكل يوم الجمعة عطلة .

وهناك عطلة عيد الفطر ، وعيد الأضحى - ثلاثة أيام إلى خمسة ؛ يضاف اليها عطلة الختم والحذق وسواهما من المناسبات التي يفرضها قانون الكتاب لكل بلد .

أما اليوم المدرسي ، فبرنامج العمل فيه :

- من الصباح الباكر الى وقت الضحى لعرض القرآن واستظهاره .
- عند الضحى استراحة لتناول الفطور - بعد محو الألواح .
- من الضحى إلى ما قبل الظهر للكتابة وسلك الألواح : (إصلاحها وتجويدها) .
- وقبيل الظهر ينصرف الصبيان الى بيوتهم لتناول الغداء .
- بعد الظهر يعود التلاميذ لقراءة الألواح وحفظها .
- وعند العصر استراحة خفيفة تختلف حسب قصر النهار وطوله - يوسع عليهم في طوله ، ويضيق عليهم في قصره .

وينصح ابن حبيب معلم ولده أن يأخذهم بالرفق ، ويبث في نفوسهم روح النشاط ؛ ويوزع عليهم العمل ما بين استذكار وحفظ ، حتى لا يتسرب اليهم الملل ، ويقتل فيهم روح العمل : (إياك أن تكرههم عليه فيملوه) .

عناية المغاربة بحفظ القرآن :

امتاز المغاربة - منذ قديم - بحفظ القرآن ، واتقان رسمه وضبطه وتجويده ؛ وسيطروا في هذا الميدان سيطرة تامة ، ولا توجد أمة خدمت القرآن ، وتفانت في حبه والاهتمام بشأنه - مثل المغرب ؛ وقد تأسست مدارس في الحواضر والبوادي كانت منار اشعاع لعلوم القرآن ، وبرز أئمة مقرئون أثروا المكتبة الاسلامية بمؤلفاتهم وانتاجهم الخصب ؛ وسنتحدث عن هذه المدارس والأطوار التي مرت بها ، وما خلفته من آثار . . .

(د) ـ قراءة أهل المغرب :

أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فكان الناس يقرأون منها ما يشاؤون ، وبقدر ما يستطيعون ، وقد تتبع العلماء أحرف القرآن وأوجه أداء بعض ألفاظه ، فتكونت لديهم قراءات ، وكان لكل قطر إمام ، وبكل مصر قارىء ، واشتهر منهم القراء السبعة ، أو القراءات السبع ، وأوصلها بعضهم الى العشر والأربع عشرة ، فكان أهل مكة على قراءة ابن كثير ، وأهل المدينة على قراءة نافع ، وأهل البصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب ، وأهل الكوفة على قراءة حمزة وعاصم ، وأهل الشام على قراءة ابن عامر.

وجاء أبو بكر بن مجاهد ـ على رأس المائة الثالثة ـ فوضع مكان يعقوب الكسائي ، وجعل القراء سبعة ، وألف في ذلك ، فاعتبر المسبع الأول.

وكان الغالب على أهل المغرب ـ قراءة حمزة ، ولم يكن يقرأ بحرف نافع الا الخواص ، ثم اشتهرت لديهم قراءة نافع برواية ورش ، واستمر الحال على ذلك الى يوم الناس هذا ، وكان أول من أدخلها المغرب وعمل على نشرها ـ أبو عبد الله بن خيرون الأندلسي القيرواني (ت 306 هـ) ، وربما كان لانتشار المذهب المالكي بهذه الديار أثر لذلك ، فنافع القارىء شيخ لمالك ، ويروى عنه أنه قال : إن قراءة أهل المدينة سنة ، قيل له قراءة نافع ؟ قال : نعم .

ويحلل القاضي ابن العربي كلمة الامام هذه فيقول : (ليس معناه أن قراءة غيره ليست بسنة ، بل المراد أن السنة في توسع الخلق في القراءة بهذه الوجوه : من همز وحذفه ، ومد وتركه ، وتفخيم وترقيق ، وادغام وإظهار . . من غير ارتباط إلى شيء مخصوص منها . .).

على أن غازي بن قيس (ت 199 هـ) الذي أدخل قراءة نافع الى الأندلس ، أدخل معها موطأ مالك ، فكان دخولهما مصطحبين ، والحاجة

اليهما مزدوجة ؛ وكان الناس يقرأون بروايته الى أن قدم برواية ورش ـ محمد بن وضاح القرطبي (ت 287 هـ) ، فاعتمدها أهل الأندلس ودونوها .

قال أبو الفضل الخزاعي (ت 408 هـ) : (أدركت أهل مصر والمغرب على رواية أبي يعقوب الأزرق عن ورش ، لا يعرفون سواها) . ـ ويعني بالمغرب ما يشمل الأندلس ، قال أبو حيان الغرناطي في مقدمة تفسيره (البحر) : قراءة ورش هي القراءة التي ننشأ عليها ببلادنا ، ونتعلمها أولاً في الكُتَّاب .

(هـ) ـ دخول القراءات الى المغرب :

يذكر أبو بكر الزبيدي أن أبا موسى الهواري ـ وهو من أهل الأندلس ـ رحل الى المشرق أول خلافة عبد الرحمان الداخل (ت 138 هـ) ، فلقي مالكاً ونظراءه ، وكان أول من أدخل القراءات الى الأندلس وألف فيها .

ولعلها لم تشتهر على يديه ، فهناك رواية تذكر أنه لم يكن ببلاد الأندلس شيء من هذه القراءات الى أواخر المائة الرابعة ، وأن أول من أدخلها الى الغرب الاسلامي واشتهرت على يديه ـ أبو عمر الطلمنكي (ت 429 هـ) ، وألف فيها كتابه (الروضة) ؛ ثم تبعه أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (ت 437 هـ) ، فألف (التبصرة) ، و (الكشف) ؛ ثم جاء بعدهما الامام الحافظ أبو عمرو الداني (ت 444 هـ) ـ إمام هذا الفن وشيخ القراء في عصره ، وقد بلغ الغاية فيها ، ووقفت عليه معرفتها ؛ وانتهت اليه رواية أسانيدها ، وتعدد تآليفه فيها ، وعول الناس عليها ، واعتمدوا من بينها كتاب (التيسير) ـ له .

ثم ظهر بعد ذلك أبو القاسم بن فيره الشاطبي (ت 590 هـ) ، وعمد الى تهذيب ما دونه أبو عمرو وتلخيصه ، ونظم ذلك في قصيدة رمز فيها أسماء القراء بحروف « أبجد » ، وضمنها مسائل هذا الفن واستوعبها ،

وعني الناس بحفظها وتلقينها للطلاب المتعلمين ، وجرى العمل على ذلك في سائر أمصار المغرب والأندلس ؛ وكان لهذين الكتابين : (التيسير) و (الشاطبية) - أثرهما البارز في المدرسة القرآنية بالمغرب.

ومن أوائل المقرئين بالمغرب : أبو عمران الفاسي ، أخذ القراءة عرضاً على أبي الحسن علي بن عمر الحمامي وغيره ؛ ورحل الى المشرق فدخل العراق وقرأ بها القرآن ، وسمع الحروف ، وقرأ القراءات السبع ؛ (ت 430 هـ).

وأبو محمد الباءاتي ، من شيوخ القراءات بفاس ، أخذ عنه ابن عربي الحاتمي ، وأجازه إجازة عامة .

(و) - نشأة الدراسات القرآنية بالمغرب : —

ظلت الدراسات القرآنية بالمغرب - في القرنين : الخامس والسادس للهجرة - في نطاق محدود ، لا تتجاوز دائرة الأخذ والتلقي ؛ ورغم وجود جمهرة كبيرة من علماء القراءات في هذه الفترة ، فإن إنتاجهم كان جد ضئيل ؛ ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا : إن أكثر الذين ولجوا هذا الباب ، من الواردين على المغرب ، ويأتي في الطليعة :

* أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني ، رحل الى المغرب عندما وقعت نكبة القيروان سنة (449 هـ)؛ وكان ضريراً ، سكن سبتة وتولى تدريس القراءات بها - أزيد من عشر سنوات ، وتخرج على يديه كثير من رجالات هذا الفن ؛ ونرجح أن نظمه للقصيدة الرائية في قراءة نافع كان بسبتة ، وهي تشتمل على (212) بيتاً ؛ يقول في مطلعها :

إذا قلت أبياتاً حساناً من الشعر
فلا قلتها في وصف وصل ولا هجر
ولكنني في ذم نفسي أقولها
لما فرطت فيما تقدم من عمري

ولا بـد مـن نـظـمـي قـوافـي تـحـتـوي
فـوائـد تغنـي المـقـرئيـن عن الـمقـري

وقد تداولها الناس ورووها عنه ، وشرحها جماعة ـ سنذكر بعضهم بعد .

ونظم سؤالاً ملغزاً في كلمة (سؤات) ـ يقول في مطلعه :
سألتكم يا مقرئي الغرب كله . . .

ثم عبر البحر الى الأندلس ، وقضى مدة يتنقل بين عواصمها ـ يمدح الأمراء والكبراء ، ويمتاح نوالهم وعطاياهم ؛ ولكنه لم يلبث أن مل هذه الحياة فعاد الى المغرب ، واختار مقراً له مدينة طنجة ؛ وكان دخوله اليها سنة (483 هـ) ـ وقد كبر سنه ، وتراجع طبعه ؛ فالتف حوله طلاب العلم والأدب ، وظل يدرس القراءات ـ الى أن أدركته المنية سنة (488 هـ) .

* أبو الحسن علي بن دري الأفصاوي ، أحد مشايخ المقرئين ، أصله من طليطلة ، استوطن سبتة وأقرأ بها القرآن بالروايات ؛ تتلمذ عليه عياض وغيره . من آثاره : كتاب في مخارج الحروف .

* أبو عمرو مرجى بن يونس الغافقي من الأندلس ، استوطن طنجة وأقرأ بها وبسبتة ، وكان من أهل المعرفة بالقراءات ، عمر طويلاً ؛ تتلمذ عليه أبو العباس العزفي ، وأبو الحسن الشاري ، وأبو الفضل عياض بن محمد بن عياض وسواهم ؛ له شرح على قصيدة الحصري ـ الآنفة الذكر .

* أبو بكر محمد بن محمد بن مغاور اللخمي ، المعروف بالفلنقي ، سكن مدينة فاس وتصدر للإقراء بها في مسجد الحوراء ؛ وكان إماماً في هذه الصناعة ، عالي الرواية ؛ يجمع الى ذلك براعة الخط ، وجودة الضبط ؛ له تأليف في القراءات سماه (الايماء ، الى مذهب السبعة القراء) .

* أبو الحسن محمد بن عبد الرحمان الاشبيلي المعروف بابن عظيمة ، من أئمة القراءات ؛ دخل مراكش فأخذ عنه كثيرون ، ومن

مؤلفاته : أرجوزة في القراءات السبع ، وأخرى في مخارج الحروف ، و (الفريدة الحمصية ، في شرح القصيدة الحصرية) .

* أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن معاذ الاشبيلي ، استوطن مدينة فاس ؛ وكان مقرئاً ، أديباً شاعراً ؛ ألف كتاب (الإشارة ، في قراءة الأئمة السبعة المختارة) ، وله أرجوزة سماها (لؤلؤة القراء) .

* أبو محمد عبيد اللّه بن عمر بن هشام الحضرمي القرطبي ، رحل الى المغرب وقضى به مدة ؛ وكان مقرئاً ، نحوياً أديباً ، تولى تدريس القراءات بمراكش ، ومكناسة ، وسواهما ؛ له كتاب في قراءة ورش وقالون .

* علي بن عبد العزيز من أهل بسطة ، سكن فاساً ودرس بها ؛ وكان من أهل المعرفة بالقراءات ، له كتاب (الاستدلالات على رفع الاشارات ، في جمع القراءات وتبيين المعاني المبهمات) .

* أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن كبير الإشبيلي ، استوطن فاساً ؛ وكان مقرئاً مجوداً ، أخذ عنه غير واحد ، له كتاب (البيان في السبع والاتقان ، لمخارج حروف القرآن) .

* أبو الحسن علي بن محمد المرادي البلنسي ، دخل مراكش وأخذ عنه طلبتها ، وباقتراحهم نظم في الرسم رجزاً سماه (المنصف) ـ دعا في طليعته لعبد المومن وأولاده ، وقد نظمه ـ كما يقول ـ سنة (563 هـ) .

* أبو الحسين يحيى بن معطي (ت 628 هـ) له منظومة في القراءات السبع .

هذا ولا ننسى ما كان للموحدين من اعتناء بهذا الفن وتشجيع لأهله ، فقد كان يوسف بن عبد المومن أحسن الناس ألفاظاً بالقرآن ؛ وكان عمر المرتضى ـ آخر ملوكهم ـ يحفظ القرآن برواياته .

* وأدرك المقرىء أبو الحسن الفهمي القرطبي ـ دنيا عريضة لدى

المنصور ، وكان مؤدباً لأولاده ، يصلي به التراويح في رمضان بحرف عاصم .

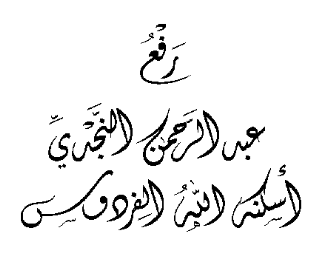
* ولما رفع الى المنصور ـ أبو بكر يحيى بن محمد بن خلف الهوزني الاشبيلي ـ نزيل سبتة ـ أراجيزه الحسان في القراءات والتجويد ومخارج الحروف ، أجازه عليها ، وبالغ في اكرامه .



الباب الأول

في مقرأ نافع





تمهيد

وفي حدود أوائل القرن السابع الهجري بدأت الشخصية المغربية تبرز في عالم التأليف في فنون القراءات ، وبالرغم من أن المغرب تأخر في هذا الميدان عن الأندلس والقيروان بمدة تقدر بنحو قرنين من الزمن قضاها في الفتوح والجهاد ؛ فقد استطاع أن يطوي المراحل ، ويقطع أشواطاً بعيدة المدى ؛ ولم يكد ينتهي عمر هذا القرن ، حتى رأينا المغرب يحتل المكان المرموق في هذا المجال ؛ وكان للملوك المرينيين اعتناء خاص بهذه الفنون ، فقد بنوا المدارس وحشدوا لها طلاب العلم ، وأسسوا الداخليات ، وأوقفوا لها الأوقاف الوفيرة مما يضمن بقاءها وحياتها .

وكان لعلوم القرآن حظ الأسد في برامج التعليم لهذا العهد ، حتى لقد كان لقب الأستاذ لا يطلق إلا على العالم المتبحر في فنون القراءات ؛ وكان من بين الملوك من يحفظ الروايات ، ويتلو القرآن بالسبع ؛ وكان تأديب أولاد الملوك والرؤساء مقصوراً على هذه الطبقة .

وعلى الجملة ، فقد كان القراء زينة مجالسهم ، وبهجة دولتهم ؛ ولقد اتجهت أكثر الدراسات القرآنية في هذا العصر ـ الى المذهب الرسمي للدولة ـ وهو مقرأ نافع ، إمام القراء بدار الهجرة ؛ فتأسست مدرسة قراءة نافع ، وتحددت معالمها ؛ فدونت في ذلك دواوين ، وألفت مؤلفات ـ سواء منها المنظوم أو المنثور.

وكان لها جانبان أو شعبتان :

1 ـ جانب أصول حرف نافع .

2 ـ جانب الرسم والضبط .

وكلاهما مدرسة قائمة بذاتها ، لها منهجها وطابعها الخاص .

الفصل الأول

في أصل حرف نافع :

* ومن الشيوخ الذين اهتموا بهذا الجانب ، وأوفوا على من قبلهم ومن بعدهم :

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن الحسن التازي الرباطي الشهير بابن بري ، والرباطي نسبة الى رباط تازة ، وفي بعض الروايات الربضي - نسبة الى أحد أرباض المدينة : أحوازها ؛ وهو تسولي من فخذ بني اللنت ، والشيخ إبراهيم التازي الصوفي الشهير (ت 866 هـ) - من أبناء عمومته .

ولد أبو الحسن في حدود ستين وستمائة (660 هـ) ، وأخذ تعليمه الأولى ببلده ؛ وكان والده من أهل العلم والفضل ، وربما أخذ عنه كثيراً في مراحله الأولى ؛ ثم استوطن مدينة تازة ، وبها أنهى دراسته ؛ ومن الشيوخ الذين اعتمدهم في القراءات : أبو الربيع سليمان بن محمد بن علي بن حمدون الشريشي ، المتوفى بتازة سنة (709 هـ) ، وكانت مدينة تازة - في هذا العصر - من المراكز الثقافية المهمة ؛ وقد ازدادت عناية الملوك المرينيين بها ، فأسسوا بها دار الإمارة ، وبنوا المساجد والمدارس ؛ وكانوا ينزلون بها ، ويتفقدون أحوال الرعية فيها ، وقد رحل اليها كثير من أهل العلم والأدب ؛ وكان مترجمنا أبو الحسن - إلى جانب تبحره في علوم القرآن - عالماً نحوياً ، وأديباً لغوياً ، وفقيهاً فرضياً ؛ له إلمام بالحديث ، وتبصر بصناعة التوثيق .

قضى مدة في سماط العدول - الى أن ألحقه السلطان أبو سعيد

المريني بديوانه في حدود سنة (715 هـ) ، وجعله كاتب ولده أبي الحسن ، وأستاذه الخاص ؛ وظل في ركابه الى أن أدركته الوفاة بتازة سنة (731 هـ) ، وضريحه مشهور خارج المدينة وعليه قبة ؛ وأخطأ البغدادي في هدية العارفين فجعل وفاته سنة (709 هـ) ، كما شذ ابن عبد الكريم فذكر أن وفاته بفاس.

وقد خلف أبو الحسن آثاراً علمية قيمة ، منها :

- اختصار شرح الايضاح لابن أبي الربيع الاشبيلي السبتي .
- شرح تهذيب البرادعي لم يكمله .
- شرح عروض ابن السقاط .
- شرح وثائق الغرناطي .
- تأليف في الوثائق .
- الدرر اللوامع ، في أصل مقرأ نافع .

والذي يهمنا من مؤلفاته : هذه الأرجوزة القرآنية التي طارت شهرتها في الآفاق ، وغطت على كل ما ألف في هذا الباب.

ضمن ابن بري أرجوزته (الدرر اللوامع) أصول مقرأ نافع الذي اختاره المغاربة قراءة لهم ، لأنها سنة أهل المدينة ـ كما قال مالك .

فمن هو نافع ؟ هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمان بن أبي نعيم المدني ، أحد القراء السبعة ؛ أخذ القراءة عن نحو سبعين من تابعي أهل المدينة ، منهم : عبد الرحمان بن هرمز ، ويزيد بن القعقاع ، وشيبة بن نصاح ، ويزيد بن رومان ، ومسلم بن جندب ؛ قرأ هؤلاء على ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم . أقرأ الناس دهراً طويلاً ، وكان اماماً عارفاً بوجوه القراءات ، متبعاً لآثار الماضين من شيوخ مالك ؛ ويروى عنه أنه قال : قراءة أهل المدينة سنة ، قيل له : قراءة نافع ؟ قال نعم . قال عبد اللّه بن أحمد بن حنبل : سألت أبي : أي القراءة أحب اليك؟ قال: قراءة أهل المدينة. قلت: فإن لم تكن، قال: قراءة عاصم .

وسأل رجل مالكاً عن البسملة ، فقال : سلوا عن كل علم أهله ، ونافع إمام الناس في القراءة ، كان من أطهر الناس خلقاً ، زاهداً جواداً ، صلى بمسجد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ستين سنة .

ولما حضرت نافعاً الوفاة ، قال له أبناؤه : أوصنا ، قال : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين . (ت 169 هـ) ، أخذ عنه كثير ، ومن أشهر تلاميذه : ورش وقالون .

ورش : هو أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش ، شيخ المحققين ، وإمام المقرئين ؛ انتهت اليه رئاسة الإقراء في زمانه ، رحل الى نافع ، فعرض عليه عدة ختمات ، له اختيارات خالف فيها نافعاً ؛ وكان ثقة ، حجة في القراءات ؛ حسن الصوت ، إذا قرأ يهمز ، ويشدد ، ويبين الإعراب ، لا يمله سامعه ، (ت 179 هـ) .

قالون : وأما قالون ، فهو أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى المدني ، أحد القراء المشهورين من أهل المدينة ، امام في علوم العربية والقراءة ؛ أصم ، يقرأ عليه القرآن وهو ينظر الى شفتي القارىء ، فيرد عليه اللحن والخطأ ؛ كان ربيب نافع ، اختص به كثيراً ، وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته ، (ت 220 هـ) .

وقد اشتهرت بالمغرب رواية ورش من طريق الأزرق ، كما اعتمد الناس كثيراً رواية قالون من طريق أبي نشيط ، واصطلح القراء على أن يسموا القراءة للامام ، والرواية للآخذ عنه ، والطريق للآخذ عن الراوي ؛ فيقال مثلاً : قراءة نافع ، رواية ورش ، طريق الأزرق .

الأزرق : والأزرق الذي اشتهرت روايته عند المغاربة ، واعتمدوها الى اليوم ، هو أبو يعقوب يوسف بن عمرو بن يسار المدني ثم المصري ، ويعرف بالأزرق ؛ أخذ القراءة عن ورش ، وهو الذي خلفه في القراءة والإقراء بمصر ؛ كان محققاً ثقة ، ذا ضبط واتقان ، (ت 240 هـ) .

أبو نشيط : وأبو نشيط هو محمد بن هارون الربعي البغدادي ، أخذ

القراءة عن قالون ، وهو مقرىء جليل ، وضابط مشهور ، اشتهرت روايته عن ابن الأشعث ؛ قال ابن الجزري : وهي الطريق التي في جميع كتب القراءات ، (ت 258 هـ).

طريق الداني : والطرق المشهورة في قراءة نافع عند المتأخرين ثلاث :

- طريق الداني (ت 444 هـ) .
- طريق أبي محمد مكي (ت 437 هـ) .
- طريق ابن شريح (ت 476 هـ) .

قال بعضهم : والاختلاف بينها يسير ، وقد اختار ابن بري طريق الداني ، لأنه الإمام المعتمد في هذا الفن :

سلكت في ذاك طريق الداني
إذ كان ذا حفظ وذا إتقان

والداني هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمرو الأموي القرطبي ، عاش أكثر حياته بدانية ، لذا نسب اليها ؛ عمر ثلاثاً وسبعين سنة : (371 ـ 444) ، وقد بدأ دراسته في حدود الخامسة عشرة من عمره ، ثم انقطع لدراسة القرآن وعلومه ـ نحواً من خمسين سنة ؛ وجاب أقطار الإسلام في الشرق والغرب طلباً للعلم وشيوخه ، حتى حصل في هذا الباب ذخيرة من العلم ، جعلته إمام القراء في عصره ؛ ألف في هذا الفن ـ ما يربو على مائة وثلاثين مؤلفاً ، أشهر كتبه : التيسير ، وأوسعها : جامع البيان ؛ وكتب أبي عمرو مثال ناطق لما اتصف به من تحقيق وضبط ، وعمق واتقان.

سند ابن بري: ويتصل سند ابن بري بالداني من طريق شيخه أبي الربيع بن حمدون السالف الذكر، عن أبي بكر بن فحلون السكسكي، عن أبي مصعب اللخمي، عن أبي منصور مظفر اللخمي، عن السرقسطي، عن الحسن بن سعيد، عن أبي داود سليمان بن نجاح، عن أبي عمرو الداني . وسند الداني الى نافع مذكور في أكثر كتبه ، يصل به الى رسول

اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ . وقد تحرى القراء في رواياتهم ، لأن القراءة سنة ثابتة ، ونهج في ذلك نهج المحدثين . والداني حافظ ناقد ، فمن روي له في كتبه ، فقد جاوز القنطرة ـ كما يقولون .

والأرجوزة تقع في مائتين وثلاثة وسبعين بيتاً ، وتحتوي على مقدمة وأربعة عشر باباً وتذييل ، أما المقدمة فقد بين فيها الموضوع الذي تناوله ، والدوافع التي دفعته اليه ، ثم الخطة التي رسمها لنفسه في تدوين مسائل هذا الفن على عادة المؤلفين في اعطاء البيانات الكاشفة عن مناهجهم وطرقهم . . . وقد لخصت ذلك في هذا التمهيد الذي ربما طال أكثر من اللازم ، وقد رأيتني مدفوعاً اليه خدمة للقارىء الكريم .

حروف نافع المختلف فيها :

اختلف ورش وقالون عن نافع في أكثر من ثلاثة آلاف حرف ، من تحقيق الهمز وتخفيفه ، وإظهار وادغام ، ومد وقصر ، وفصل ووصل ، وتفخيم وترقيق ، الى غير ذلك مما ضمنه ابن بري الأبواب التالية : التعوذ ، البسملة ، ميم الجمع ، هاء ضمير الواحد ، المقصور والممدود والمتوسط ، الهمز وأنواعه ـ وهو أوسع باب وأكثرها تشعباً ، حتى لقد قال بعضهم :

إذا ذكرت الهمز نفسي تقشعر
ومن دخول في علومه تفر

ـ الإظهار والادغام ، الأمالة ، الوقف ، ترقيق الراءات وتفخيمها ، تغليظ اللامات وترقيقها ، ياء الاضافة (ياء المتكلم) ، الياءات الزائدة .
ـ فرش الحروف المفردة ـ (وهو باب جامع في مسائل متفرقة) ، ثم ذيل المؤلف هذه المنظومة ـ بالكلام عن مخارج الحروف وصفاتها ـ لشدة حاجة القارىء اليها ، وهي ألصق بفن التجويد منها بعلم القراءات ، وحرصاً على النطق الصحيح بكل كلمة بل وبكل حرف من كتاب الله العزيز ، وضع القراء موازين محدودة ، وقواعد مضبوطة ، لا يجوز للقارىء أن يتعداها أو

يتغافل عنها ، وذلك ما عناه القرآن بقوله ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ . على أن الناظم لم يقتصر فقط على مسائل الخلاف بين ورش وقالون ، بل ذكر جملة من المسائل المتفق عليها - وكل ذلك بأسلوب مهذب وجيز ، لا شطط فيه ولا تعقيد.

وقد نظم هذه الأرجوزة سنة سبع وتسعين وستمائة (697 هـ) ، وثبت في بعض النسخ :

نظمه مبتغياً للأجر   علي المعروف بابن بري
سنة سبع بعد تسعين مضت   من بعد ستمائة قد انقضت

وتداولها الناس في حياته ، وأخذوها عنه ؛ ومن تلاميذه البارزين : أبو مهدي عيسى بن عبد اللّه الترجالي ، ولي قضاء تازا - وكان من شيوخها المرموقين ؛ ويقال إنه هو الذي أوعز الى السلطان في أن ينقل الشيخ أبا الحسن إلى فاس ويجعله كاتباً في ديوانه ، وأستاذاً لولي عهده ؛ ورأى أنه ليس من اللياقة أن يتولى هو قضاء تازا - وشيخه ابن بري - وهو من هو - في سماط عدولها ؛ وذلك من برور التلاميذ بأشياخهم ، ولا يعرف الفضل لأهله إلا ذووه .

ويذكر الآبلي شيخ ابن خلدون - أنه مر بتازا فنزل ضيفاً عند أبي الحسن بن بري - ومعه تلميذه الترجالي ، قال فبتنا ليلتنا نتجاذب أطراف الحديث ، ونتذاكر شئون الأدب ؛ وقد سألتهم عن معنى قول أبي العلاء المعري :

أقول لعبد اللّه لما سقاؤنا
- ونحن بوادي عبد شمس - وهاشم ؟

ويحتفظ لنا الشيخ الحصار بإجازة منظومة لابن بري ، بعث بها إلى تلميذه العالم الأديب أبي عمرو بن أحمد الميمون الفشتالي - مع نسخة من الدرر بخط يده أضاف اليها طرراً وتعاليق تشرح مضامينها ، وقد كتب عنها الفشتالي يقول :

أكـمـلتـه عـرضـاً عـلى مـنـشـيـه
وأجـازنـي فـيـمـا سـواه وفـيـه
وأبـاح لي عنـه الحـديث بـكـل مـا
مـن بعـد تـصحـيـح لمـا أرويـه...

ويحدثنا أبـو الحجاج يـوسف بن علي بن عبد الـواحد السـدوري المكناسي ثم الغرناطي . أنه كان يحضر مجالس اقراء ابن بـري بجامع القرويين بفاس سنة (723 هـ)، وهناك أخذ عنه منظومته ، وأقـرأها هـو بدوره بالمدرسة اليوسفية بغرناطة سنة (774 هـ) .

وخلف ابن بري في كرسي الإقراء بالقرويين ـ تلميذه الشيخ المقرىء أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن سعيد من شيوخ يحيى السَّراج ، ذكره في فهرسته وقـال إنه سمـع عليه كتـاب « الدرر » بجـامـع القـرويين ـ سنـة 765 هـ .

وهكذا اشتهرت هذه المنظومة بالأندلس والمغرب ، فرأينا أبا محمد القيجاطي يقرئها في نفس الوقت بالمدرسة اليوسفيـة بغرنـاطة خلفـاً عن أستاذه المكناسي ـ السالف الذكر.

ظل ابن بري يقرىء منظومته ـ ويد الاصلاح والتهذيب والتنقيح تعمل فيها ـ طوال ربع قرن أو يزيد ، ولذا اختلفت نسخها ، وتعددت رواياتها ؛ وأخذ كل راو منها بما سمع ، واعتمد على ما كتب ؛ وتوجد عدة نسخ بخط يد المؤلف ، خالفت هي الأخرى بعضها البعض ، ويتجلى هذا الاختلاف أكثر فيما صدر عن تلاميذه من كتابات حول هذه الأرجوزة .

الذين كتبوا عن درر ابن بري :

والذين كتبوا عن « الدرر اللوامع » كثير ، نذكر منهم :
ـ المكناسي ، البلفيقي ، الحضرمي ، ذكر هؤلاء الثلاثة المنتوري ، واعتمد روايتهم في شرحه ؛ ثم ابن مسلم القصري السبتي ، وأبو الحسن

المطماطي ، وابن عبد الكريم الأغصاوي ؛ ولعل أول شارح لها هـو أبو عبد اللّٰه محمد بن محمد بن ابراهيم الخراز ، ويحمل شـرحه عنـوان : (المقصد النافع ، لبغية الناشيء والبارع ، في شـرح الدرر اللوامـع) ؛ والخراز من معاصري المؤلف ، ويعبر عنه بصاحبنا ؛ وتذكر بعض الروايات أنـه لما أتم شـرحـه ، عـرضـه على أبي الحسن ـ وهـو بفـاس ـ صحبـة السلطان ؛ فتصفحه وكتب عليه طرراً تشرح مقاصده ، وتبين الحجة فيما ذهب اليه ؛ وقد ناقشه الخراز في مواضع من هذا النظم ، ويخطىء بعض الناس فيظنون أن هذه التعاليق من تتمة الشرح ـ كما أشـار الى ذلك ابن غازي في بعض أجوبته .

وتبدو شخصية أبي عبد اللّٰه الخراز واضحة في مناقشاته وآرائه ، وقد عاد الى أصول هذا الفن ، واعتمد كثيـراً مؤلفات الـداني ، وأبي محمد مكي ، وأبي العباس المهدوي ، وأبي جعفر بن الباذش ، وسواهم .

وسنتحدث فيما بعد على أبي عبد اللّٰه الخراز كمدرسة لها اتجاهها الخاص ، عاشت دهراً طويلاً بالمغـرب وغطت على كـل المدارس التي سبقتها .

ويأتي بعد الخراز : المرسي ، التجاني ، المجاصي ، الحصـار ، القلصادي ، الجاديري ، الحلفاوي ، الوارثيني ، ابن أجانـا ، الصغير ، المصمـودي ، السجلماسي ، الشـوشاوي ، الـركـراكي ، أبـو عبـد اللّٰه الجناتي . . وكل هذه الشروح لها أهميتها ، ولا يتسع المجال للحـديث عنها ، والتعريف بها .

- وربما كان من أهمها : شرح أبي عبد اللّٰه محمد بن محمد بن عمران النفزاري السلوي، المعروف بابن المجراد، (ت 778 هـ)؛ ويحمـل عنوان : « إيضاح الأسرار والبدائع ، وتهذيب الغرر والمنافع ، في شرح الدرر اللوامع ؛ في أصل مقرأ نافع » ؛ ومما يمتاز به أنه لا يورد الحقائق مجردة ، بل يصدر الأحكام ويعللهـا ؛ ويذكـر القاعـدة أو المسألـة ،

وبجانبها الحجة التي تدعمها ، وهذه ميزة قلما شاركه فيها غيره .

- أما من حيث الرواية وتحقيق النص ، وارجاع كل مسألة الى أصولها ؛ فيأتي في الطليعة : أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المنتوري ، (ت 831 هـ) ؛ ويذكر في المقدمة أنه استخلص شرحه هذا من مائة وتسعة وسبعين ديواناً ، منها مائة وسبعة وعشرون في القراءات ، والباقي في التفسير ، والحديث ، والعربية ، واللغة ، والشعر . . وتوجد بخزانة القرويين ـ نسخة عتيقة من هذا الشرح بخط أندلسي .

- وجمع زبدة هذه الشروح كلها أبو زيد ابن القاضي في « الفجر الساطع ، على الدرر اللوامع » ، فجمع وأوعى ، ولم يترك شاذة ولا فاذة ؛ ويعجب المرء من اطلاع هذا الرجل ، وسعة أفقه ، فقلما جاد الزمان بمثله في هذا الميدان .

- ثم جاء أبو سرحان ابن جموع (ت 1119 هـ)، فنهل منه في « روضه الجامع ، في شرح الدرر اللوامع » .

وهناك شروح أخرى مختصرة ، منها :

- « معونة الصبيان على الدرر. . » ـ لأبي عثمان سعيد بن سعيد الكرامي السملالي من أهل القرن التاسع .
- « تحصيل المنافع ، من كتاب الدرر اللوامع » ـ لنجله يحيى الكرامي ، فرغ منه سنة (893 هـ) .
- أبو عبد اللّه محمد بن الحاج التلمساني ـ نزيل تازة ، له تعليق على درر ابن بري .
- أبو العباس أحمد بن الطالب محمود بن عمر أدوعيشا ـ له « ارشاد القارىء والسامع ، لكتاب الدرر اللوامع » .
- عبد القوي بن احمد بن عمران المجاصي ، له شرح على الدرر اللوامع .
- الطرر الفاسية على درر ابن بري ـ ذكرها عبد العزيز الزياتي في كتابه « نفائس العلى » .

- وقد نظم أبو عبد اللّٰه بن غازي أرجوزة في طرق نافع العشر ، سماها « تفصيل عقد الدرر » :

دونك عشر طرق لنافع تنشر طي الدرر اللوامع
سميتها لما جرت بفكري « تفصيل عقد درر ابن بري»

ستتحدث عنها بعد .

- ولأبي عبد اللّٰه محمد بن محمد الحيحي : رجز حاذى به الدرر اللوامع ، وله عليه شرح .
- ولعل أقدم شرح رأته المطابع « المختار من الجوامع ، في محاذاة الدرر اللوامع » - لأبي زيد الثعالبي (ت 875 هـ)، طبع بالجزائر .
- ومن الشروح الحديثة « النجوم الطوالع ، على الدرر اللوامع » لأبي اسحاق المارغني ، مفتي المالكية بالديار التونسية ، طبع بتونس.

ولا أريد أن أنتهي من حديثي عن ابن بري ، دون أن أقول كلمة ولو وجيزة عن الذين كتبوا في موضوع قراءة نافع من علماء هذا العصر - وهم كثير ، نقتصر منهم على ما يلي :

* أبو عبد اللّٰه محمد بن علي بن عبد الحق الأنصاري - ويعرف بابن القصاب ، من الرواد الأول في هذا الميدان ، وهو من أئمة القراءات بفاس ؛ قال فيه ابن الجزري : شيخ مصدر كامل ، توفي في حدود سنة تسعين وستمائة (690 هـ) ؛ من مؤلفاته : « تقريب المنافع ، في أصل مقرأ نافع » ، ينقل عنه ابن المجراد كثيراً .

* أبو عبد اللّٰه محمد بن محمد بن داود الصنهاجي ، الشهير بابن آجروم ، ولد بصنهاجة عمل صفرو سنة (672 هـ)، ثم انتقل الى فاس وبها أنهى دراسته ؛ رحل الى المشرق ، ولقي جماعة من شيوخ العلم والقراءات ، من بينهم : أبو حيان الغرناطي .

وألف تجاه الكعبة مقدمته (الأجرومية)، فبارك الله له فيها، وأقبل

الناس عليها في المشرق والمغرب ، ولا يزال النفع بها عاماً الى يومنا هذا ، (ت 723 هـ) . ألف في الموضوع : « البارع في مقرأ نافع » ـ رجز .

* أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان القرطبي ـ مقرىء فاس ، وشيخ الجماعة بها ، (ت 730 هـ) ؛ من مؤلفاته : « تهذيب المنافع ، في قراءة نافع » .

* أبو عبد اللّه محمد بن ابراهيم الصفار المراكشي ، قال فيه ابن خلدون : إمام القراء في وقته ، كان له تضلع في علم القراءات ؛ استدعاه أبو عنان لحضرته ، وكان يعارضه القرآن برواياته السبع ، (ت 761 هـ) . ومن مؤلفاته : « الزهر اليانع ، في أصل مقرأ نافع . . » .

* أبو وكيل ميمون بن مساعد المصمودي ، مولى أبي عبد اللّه الفخار ، ولذا ينتسب اليه ويقال له ميمون الفخار ؛ عالم محقق ، وفقيه ورع ؛ له الصيت الذائع في علم القراءات ، نظم قصائد خاطب بها علماء الأندلس في فن القراءات) (ت 816 هـ) . من مؤلفاته : (تحفة المنافع ، في مقرأ نافع . .) وهي أوسع منظومة في هذا الباب . شرحها سعيد بن سليمان الكرامي السجلالي .

* أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عطية المديوني ، الشهير بالجاديري ، ولد سنة (776 هـ) ، وتلقى تعليمه العالي بفاس ، كان عالماً نحوياً ، وحيسوبياً متفنناً ؛ ولي التوقيت بجامع القرويين ، (ت 818 هـ) له مؤلفات في علم القراءات ، منها : « النافع في أصل حرف نافع » ، و « اختصار شرح الداني على الخاقانية ، وذكرناه ـ سابقاً من بين الذين كتبوا عن الدرر اللوامع .

* أبو عبد اللّه محمد بن علي اللجائي ، له تأليف في الطرق العشر .

* أبو اسحاق ابراهيم السريفي ثم القصري ، له تقاييد في العشر الصغير .

* أبو عبد اللّٰه الرحماني المراكشي ، له « تكميل المنافع ، في قراءة الطرق العشرية المروية عن نافع » .

* أبو زيد بن القاضي من مؤلفاته : « القراءات العشرية النافعية » .

* أبو عبد الله التاملي ، له قصيدة لامية في قراءة نافع .

* أبو القاسم أحمد التازي ، لم نقف على ترجمته ، له أرجوزة في ترجيح ما ذكره ابن بري في الدرر من الخلاف ، سماها : « الدرة السنية، في ترجيح خلاف البرية » . وقد لخص فيها كتاب التجريد للداني :

وكل ما أتى في ذا التقييد منظماً صح من التجريد

وجاء في خاتمتها ـ وقد أفادنا فيها باسمه ونسبته ، كما صرح باسم أرجوزته ـ قوله :

هذا تمام الخلف في البرية سميته بـ «الدرة السنية»
بنظمه التازي أحمد عنى فاغفر له يا رب كل ما جنى

أبياتها : (100) بيت .

* أبو اسحاق ابراهيم بن احمد الغافقي الإشبيلي السبتي ؛ (ت 716 هـ) ، له تأليف في قراءة نافع .

* أبو عبد اللّٰه محمد بن علي توزنت العبادي التلمساني ، له تقييد في كيفية جمع الطرق وتحديدها ـ على قراءة نافع .

* أحمد بن عبد العزيز بن عاشر له الجوهر المنير في العشر الصغير .

الفصل الثاني

في رسمه وضبطه

أما الجانب الآخر ـ وهو فن الرسم والضبط ـ فقد ألف فيه كثيرون ، سواء منهم القدامى أو المحدثون ؛ ومن الذين اختصوه بالتأليف من أئمة هذا العصر ، وبرعوا فيه براعة شديدة ، وفاقوا من سواهم : أبو عبد اللّٰه محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد اللّٰه الأموي الشريشي المعروف بالخراز ، ينتهي نسبه الى أمويي الأندلس ؛ وأصله من شريش ـ عمل اشبيلية على مقربة من وادي لكة ـ حيث كانت المعركة الفاصلة بين قوى الاسلام والنصرانية على يد طارق بن زياد البطل المغربي الشهير.

وقد سقطت شريش في يد الاسبان سنة (662 هـ ـ 1264 م) ، وحاول أبو يوسف المريني استرجاعها ـ ولكن بدون جدوى ؛ فهاجر أكثر أهلها الى المغرب ، واستوطنوا عدة جهات منه ؛ وكان سكنى أبي عبد اللّٰه الشريشي بفاس ، ولعله انتقل اليها ـ وهو صغير ؛ فاشتغل أولاً بحرفة الخرازة ، ولذا يلقب بالخراز ؛ ثم أقبل على طلب العلم ، وتلمذ لكثير من مشيخة فاس ؛ وكان عمدته في علوم القرآن ـ أبو عبد اللّٰه بن القصاب ، ولقي ابن آجروم فأخذ عنه.

وكان أبو عبد اللّٰه الخراز إماماً في مقرأ نافع ، مقدماً فيه غير منازع ؛ بارعاً في الرسم والضبط ، عارفاً بعلله وأصوله ؛ قال فيه ابن الجزري : إمام كامل ، ومقرىء متأخر ؛ كرس حياته لتعليم كتاب الله العزيز ، وتخرج على يديه كثير ؛ ومن أبرز تلاميذه : أبو محمد بن آجطا الصنهاجي المعروف بالشارح ، لأنه أول من شرح مورد الظمآن ـ على ما سنذكره بعد.

توفي أبو عبد اللّه الخراز بفاس الجديد ـ سنة ثمان عشرة وسبعمائة (718 هـ) ، ودفن بالجيارين (باب الحمراء) ؛ وكان قبره معروفاً أبو الحسن الترواني : وكان الأستاذ أبو اسحاق يريه للناس ، ثم انطمست معالمه ، وخفيت آثاره ـ والأمر لله .

خلف الامام الخراز عدة مؤلفات في حرف نافع ـ قراءة ورسماً ، منها :

ـ عمدة البيان في رسم القرآن (رجز) .
ـ تأليف آخر له في الرسم منثور ، قال ابن آجطا : رأيته وطالعته .
ـ شرح الحصرية .
ـ شرح العقيلة .
ـ شرح الدرر اللوامع ـ وقد اسلفنا الكلام عنه ضمن شروخ ابن بري .
ـ رجز في الضبط ، جعله أولاً ذيلاً لعمدة البيان .
ـ ونسب له بعضهم كتاب (اختلاف القراء في الوقف) .
ـ « مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن » ، ألحق به رجزه في الضبط الآنف الذكر ؛ ولا بد لنا من وقفة مع كتابه هذا (مورد الظمآن) ، فشهرة الخراز ترجع الى هذا الكتاب أكثر من غيره ؛ وقد جمع فيه زبدة ما ألف في فن الرسم والضبط وزيادات أغفلها المتقدمون ، أو اختلف فيها المتأخرون ـ حسبما سنبينه في تحليل الكتاب .

ويرى ابن خلدون أن الامام الخراز ربما كان آخر مدرسة بالمغرب في هذا الفن ، فقد هجر الناس كتب الأقدمين واقتصروا عليه ، وذاعت شهرته في الآفاق .

قال في هذا الصدد: (. . وانتهت بالمغرب ـ يعني دراسة هذا الفن ـ الى أبي عمرو الداني ، فكتب فيها كتباً ، من أشهرها : كتاب المقنع وأخذ به الناس وعولوا عليه ؛ ونظمه الشاطبي في قصيدته الرائية المشهورة ، وولع الناس بحفظها ؛ ثم كثر الخلاف في الرسم في كلمات وحروف أخرى ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالي ابن مجاهد ـ في

كتبه ، ثم نقل بعده خلاف آخر ، فنظم الخراز من المتأخرين بالمغرب أرجوزة زاد فيها على المقنع خلافاً كثيراً ، وعزاه لناقليه ؛ واشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها ، وهجروا بها كتب أبي داود ، وأبي عمرو ، والشاطبي - في الرسم . .) .

وأرجوزة مورد الظمآن تقع في أربعمائة وأربعة وخمسين بيتاً، ثم ألحق بها رجزاً له في الضبط - وهو في مائة وأربعة وخمسين بيتاً ؛ فيكون مجموع أبيات المورد والذيل : (608) - ثمانية وستمائة بيت ، ووجد في نسخة المؤلف ما صورته :

يقول ناظمه: (لما انتهى نظم هذا الرجز ، بل أربعمائة وسبعة وثلاثين بيتاً ؛ ثم انتسخ وانتشر ، ورواه بذلك أناس شتى ؛ ثم عثرت فيه على مواضع كنت وهمت فيها فأصلحتها ، فبلغ أربعة وخمسين بيتاً مع أربعمائة ، فصار الآن نيفاً على ما سبق منه سبعة عشر بيتاً ؛ فمن قيد من هذه النسخة ، فليثبت هذا بآخرها ، ليوقف على صحتها ، والله تعالى ولي التوفيق بمنه) . .

وقد ضمنه مقدمة وعشرة أبواب ، وتحت كل باب فصول .

تحدث أبو عبد اللّه الخراز في مقدمة « مورد الظمآن » .

- أولاً عن بعض مبادىء هذا الفن ، فذكر أن واضع الرسم القرآني ، هم الصحابة الكرام ، وأن اتباعه أمر محتم :

وبعد فاعلم أن أصل الرسم	ثبت عن ذوي النهى والعلم
جمعه في الصحف الصديق	كما أشار عمر الفاروق
وبعده جرده الإمام	في مصحف ليقتدي الأنام
ولا يكون بعده اضطراب	وكان فيما قد رأى صواب
فينبغي لأجل ذا أن نقتفي	مرسوم ما أصله في المصحف
وجاء آثار في الاقتداء	بصحبه الغر ذوي العلاء

ما هو الرسم ؟

الرسم قسمان : قياسي ، وتوقيفي ؛ فالقياسي هو : تصوير الكلمة بحروف هجائها على تقدير الابتداء بها ، والوقف عليها ؛ ويرادفه الخط والكتاب.

أما الرسم التوقيفي ، فهو علم تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي .

وأنواع المخالفة ستة : حذف ، زيادة ، بدل ، فصل ، وصل ، هاء التأنيث .

هذا ، ويجب أن ننبه هنا ـ الى أن أكثر رسم المصاحف ، جاء موافقاً لقواعد الرسم القياسي ؛ وإنما خرجت عنه أشياء ، منها ما عرف حكمه ، ومنها ما غاب عنا علمه ـ وهي موضوع ما كتب القراء من أبحاث ومؤلفات ، وما جلوه من أسرار وحكم ؛ . وهي ـ في جملتها ـ ترجع الى إشارات إلى أوجه القراءات ، وأنماط اللغات.

ثانياً : الأصول التي اعتمدها المؤلف في تدوين مسائل هذا الفن ، وهي :

- كتاب المقنع (الكبير) ـ لأبي عمرو الداني ، وقد أوردت نبذة عن حياته ـ سابقاً .
- التنزيل ـ لابن نجاح ، وهو أبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح ـ مولى هشام المؤيد بالله ؛ ولد بقرطبة سنة (413 هـ) ، وبها نشأ وتعلم ؛ تنقل بين دانية وبلنسية ، وتتلمذ لأبي عمرو الداني ؛ سمع عنه جل مؤلفاته في القراءات وسواها ، وهو أجل أصحابه ، وأثبت الناس فيه.

قال ابن بشكوال : هو من جلة المقرئين وفضلائهم وخيارهم ، عالماً بالقراءات ورواياتها وطرقها حسن الضبط لها ؛ ثقة ديناً ، بعث اليه يوسف ابن تاشفين يلتمس منه صالح الدعاء ، وكان معروفاً بالاستجابة، توفي ببلنسية سنة (496 هـ).

له (62) مؤلفاً ، منها : « كتاب البيان ، الجامع لعلوم القرآن » - في ثلاثمائة جزء ، وكتاب « التبيين لهجاء التنزيل » .

قال الإمام القصار : وهذا الكتاب - يعني التبيين - لم يدخل عدوة المغرب .

وله كتاب الاعتماد في أصول القراءة والرواية : أرجوزة في ثمانية عشر ألف بيت ، عارض بها الامام الداني ، وقد خالف ابن نجاح أستاذه الداني في كثير من مسائل الرسم والضبط أشار الخراز الى بعضها في مورده.

- العقيلة (عقيلة أتراب القصائد ، في أسمى المقاصد) - لأبي محمد القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير ، ويعرف بولي الله.

ولد بشاطبة سنة (538 هـ)، وتتلمذ لكثير من شيوخ الأندلس ؛ وكان حافظاً واعياً ، إماماً في القراءات ؛ رحل إلى المشرق ، واستوطن مصر ؛ وكان يقول عند دخوله اليها: (.. أحفظ وقر بعير من العلوم . . .) واحتفل به القاضي الفاضل ، وأنزله مدرسته ، وبالغ في اكرامه وتخرج على يديه كثير من أئمة هذا الشأن ؛ انتشرت كتبه في الشرق والغرب - وخصوصاً منها قصيدته اللامية : (حرز الأماني) - في القراءات السبع ، وتعرف بالشاطبية ؛ وقصيدته الرائية (عقيلة الأتراب) - في الرسم ، توفي الامام الشاطبي بالقاهرة سنة (590 هـ).

- المنصف - لأبي الحسن علي بن محمد المرادي البلنسي ، استوطن مراكش ، ونظم كتابه (المنصف) للأمير أبي علي الحسن بن عبد المؤمن سنة (563 هـ) ؛ قال فيه :

أكملته في النصف من شعبانا
فظهر الفضل به وبانا
عام ثلاثة إلى ستينا
من بعدها خمس من المئينا

وقد اقتبس منه أبو عبد الله الخراز نحو اثنتي عشرة مسألة ، اشتهر أمرها في عهده ؛ ورواه المرادي عن شيخه ابن لب القيسي ، عن أبي عبد اللّٰه المغامي ـ تلميذ الإمام الداني .

هذا وأضاف الخراز بعض أحكام إلى الغـازي بن قيس القـرطـبي وغيره .

ثالثاً ـ مصطلحات ضمنها كتابه المورد ـ اختصاراً للطريق ، وتقريباً للغرض المقصود :

وفي الـذي كـرر منـه اكتفي	بـذكـر مـا جـا أولا من أحـرف
منـوعـاً يكـون أو متـحـدا	وغـيـر ذا جئت بـه مـقـيـدا
وكـل مـا قـد ذكـروه أذكـر	مـن اتـفـاق أو خـلاف أثـروا
والـحكـم مـطلقـا بـه اليـهـم	أشير في أحكـام مـا قـد رسمـوا
وكـل مـا جـاء بـلفظ عنـهمـا	فـابن نجـاح مـع دانٍ رسـمـا
وأذكـر الـتي بـهـن انـفـردا	لـدى الـعقـيلة عـلى مـا وردا
وكـل مـا لـواحـد نـسـبت	فـغيـره سـكـت ـ إن سـكـت
وان أتـى بـعـكـسـه ذكـرتـه	على الـذي من نصه وجـدتـه

إلى آخر ما أورده في المقدمة من مصطلحات وإشارات .

خصص المؤلف الأبواب الثلاثة ـ لحذف حروف العلة : الألف ، والواو ، والياء ؛ والحذف أنواع : إشارة ، واختصار ، واقتصار ـ وهو أوسع باب استغرق نحو ثلثي الكتاب .

وتحدث في الباب الرابع عن حذف إحدى اللامين المتصلتين نحو اليل والذي والتي ، وما إلى ذلك . وتكلم في الباب الخامس عن الهمز وكيفية تصويره وأقسامه وأنواعه ، وضمنه أربعة فصول :

أ ـ في الهمزة المبتدأة .

ب ـ في المتحركة المسبوقة بساكن .

جـ ـ في الساكنة المتوسطة والمتطرفة .

د ـ في المتحركة المتوسطة .

وذكر في الباب السادس الأحرف الزوائد في المصاحف من واو أو ياء أو ألف .

وبين في الباب السابع أحكام الإبدال ، وهو إما إبدال واو من ألف ، أو ياء منها كذلك.

وتحدث في الباب الثامن عن الفصل ، وذكر الحروف المقطوعة ـ وهي أحد عشر حرفاً ـ ضمنها ستة فصول .

وأوضح في الباب التاسع أحكام الوصل ، وبين الكلمات الموصولة وهو يحتوي على أربعة فصول .

وتكلم في الباب العاشر ـ وهو آخر أبواب الكتاب ـ عن رسم هاء التأنيث تاء إذا أضيفت الى ظاهر ، وجعل الكلام فيها ينحصر في أربعة فصول ، ويمكن القول بأن المصاحف العثمانية التي رسمت هاء التأنيث تاء تارة وهاء أخرى ـ أرادت أن تجمع بين لغتين مشهورتين عند العرب ، استعملتهما في كلامها ، ونطقت بهما في أشعارها.

ويذكر المؤلف في نهاية الأرجوزة ـ أن نظمه لها ، أو على الأصح تحريره اياها ـ كان سنة (711 هـ) .

قد انتهى والحمد لله على
ما مَنَّ مِنْ إنعامه وأكملا
في صفر سنة احدى عشرة
من بعد سبعمائة للهجرة

وأشرت سابقاً ـ الى أن المؤلف ألحق برجزه « مورد الظمآن » ـ رجزاً آخر له في الضبط ، ليكون ـ كما قال ـ جامعاً مفيداً :

هذا تمام نظم رسم الخط
وهأنا أتبعه بالضبط

حتى يكون جامعاً مفيداً
على الذي ألفيته معهودا

ما هو الضبط ؟

الضبط : علم يعرف به ما يدل على عوارض الحرف : من فتح وضم وكسر وسكون وشد ومد . . . ويرادفه الشكل ، ويدخل فيه النقط ؛ ومن فوائده رفع اللبس عن الحرف .

ومعلوم أن العرب لم يكونوا أصحاب نقط وشكل ، فكانوا يصورون الحركات حروفاً ؛ فصوروا الفتحة ألفاً ، ووضعوها بعد الحرف المفتوح ؛ كما صوروا الضمة واواً ، ووضعوها بعد الحرف المضموم ؛ والكسرة ياء ، ووضعوها بعد الحرف المكسور ؛ ولما كتب الصحابة القرآن في المصاحف ، لم يصوروا فيها تلك الحروف الدالة على ما تدل عليه تلك الحركات ـ مخافة أن تلتبس بأحرف المد واللين ، ولم يكن الضبط بالعلامات موجوداً عندهم .

والمرجح أن أبا الأسود الدؤلي هو المستنبط له ـ في قصة يطول ذكرها ، فوضع ذلك على هيئة نقط تشبه نقط الإعجام ، الا أنها تخالفه في اللون ؛ ثم جاء الخليل فاخترع الأشكال الثلاثة المأخوذة من حروف المد ، وجعل مع ذلك علامة الشد (ش) ـ آخذاً من أول شديد ؛ ووضع الهمز والإشمام والروم ، وجعل لكل علامة ؛ فاتبعه الناس على ذلك ـ مع بعض تغيير حدث مع الزمان :

مستنبطاً من زمن الخليل
مشتهراً في أهل هذا الجيل

وقد ذكر المؤلف مسائل هذا الفن مجردة غير منسوبة إلى أربابها ـ كما فعل في مورد الظمآن ، لقلة الخلاف فيها ؛ وضمنه ثمانية أبواب :

1 ـ في الأشكال الثلاثة ومواضعها .

2 ـ في السكون والتشديد والمط (المد) .

3 ـ في المدغم والمظهر .

4 ـ في الهمزة ـ وقد عالجه من جانب آخر ـ وهو : هل صورة الهمز نقطة أو عين ؟ وهل لونها ـ حسب الخط المرسوم بالصفراء أو الحمراء ؟ وما موضعها ؟ وكيف يمتحن إن لم تكن له صورة في المصحف ؟ ولوازم تغييرها من مد ونحوها ـ إلى آخر ما ذكروه هنا .

وقد قال التنسي : (وهذا باب من أعظم أبواب هذا النظم تنويعاً ، وأكثرها تأصيلاً وتفريعاً ، وأدقها تعليلاً وتوجيهاً ، وأحوجها تبييناً وتنبيهاً . .) :

فضبط ما حقق بالصفراء   نقط وما سهل بالحمراء . . .

وهناك مسائل انفرد بها المؤلف ـ وهي من بنات فكره ، (انظر شروح هذا النظم) .

5 ـ في الصلة :

فصلة للحركات تتبع   ففوقه من بعد فتح توضع
وتحته ان كسرة ووسطه   ان ضمة كذا أتت مرتبطه

6 ـ النقص في الهجاء ، وقد اقتضب المؤلف القول فيه اقتضاباً ، وأجحف غاية الإجحاف .

7 ـ ما زيد في الهجاء من ألف أو واو أو ياء .

8 ـ لام ألف وكيفية رسمها :

والقول فيما جاء في اللام ألف
والحكم في الهمزة منه مختلف
فقيل ثانيه وقيل الأول
وهمز أول هو المعول

ثم ألحق بهذا الباب مواضع فاته أن يذكر لها لوناً ، فنبه على أنها تكتب بالأحمر :

وكـل مـا ذكـرت من تنـويـن أو حـركـات أو مـن السكـون
أن تجعل الجميع بالحمراء . . .

ويذكر المؤلف أن نظمه لهذا الرجز كان سنة (703 هـ) ـ أي قبل مورد الظمآن بنحو ثمان سنوات . وكان للكتابين : « الدرر اللوامع » ـ لابن بري ، و « مورد الظمآن » ـ للخراز ـ الصيت الذائع ، والشهرة الفائقة ؛ ذاك في مقرأ نافع ، وهذا في رسمه وضبطه ؛ وكان كل منهما مدرسة قائمة بذاتها تمثل اتجاهها الخاص ، ويجتمعان في الطابع المغربي الأصيل .

ولم يكد ينتصف القرن الثامن الهجري ، حتى رأينـا إقبال النـاس عـظيماً على هـذين الموردين ؛ وقـرىء الكتـابـان في مـدارس المغـرب والأندلس ، بل وفي سائر أقـطار أفريقيـة ؛ ويذكـر الشيخ ابـراهيم عطوة عوض ـ وهو يتحدث عما ألف في رسم القرآن وضبطه ـ أن كتاب « مورد الظمآن » بشروحه ـ لا يزال يدرس بالأزهر الشريف إلى يوم الناس هذا ؛ وقد تحدثنـا سابقـاً عن الكثرة الكـاثرة التي تنـاولت أرجوزة ابن بـري ، وأوردت نيفا وثلاثين ما بين شرح وتعليق أو تذييل ـ على قلة ما بين أيدينا من مصادر .

ولنذكر بعض الذين كتبوا عن مورد الظمآن ، أو اختصوا رجزه في (الضبط) ـ بالشرح والتعليق ؛ وقد ذكرت آنفـاً أن المؤلف كرس حيـاته لتعليم كتاب الله ، وتدريس علومه ؛ ومن تلاميذه الذين لازموه طويلاً ، وأخذوا عنه جل مؤلفاته ، وكان من السباقين الى شرح أرجوزته : (مورد الظمآن) ، بل يعتبر أول شارح لنا :

* هو أبو محمد عبد اللّه بن عمر الصنهاجي المعروف بابن آجطا ، ولعله من صنهـاجـة أعمـال صفـرو ؛ تعلم بفـاس ، وبهـا تـوفي سنـة (750 هـ) ؛ وضريحه بالباب الحمراء ، وهو الآن غير معروف .

جلس أبو محمد آجطا على كرسي الإقراء بفاس ، وتتلمذ له كثير ؛ من بينهم : أبو عبد اللّه محمد بن آجروم المعروف بمنديل ، وأبوالحسن

علي بن يخلف المديوني الشهير بابن جزو ، من شيوخ السراج ، ذكره في فهرسته.

ويحمل شرحه هذا عنوان (التبيـان في شرح مورد الظمآن) ، وهو شرح مطول ، يقع في نحو 200 صفحة من القطع الكبير ، وصدره بخطبة مسجوعة طويلة يقول فيها : (. . . ولما رأيته محسناً ، في نظمه متقناً . . . واعتنى الناس بحفظه في البلدان ، وتردد ذكره بين الشيوخ والولدان ، أردت أن أشرحه ، وأذكر مشكله وموضحه ، وكنت ابتدأت هذا الشرح في حياة ناظمه ، وكانت لي في ذلك عزيمة ونية ، وانتهيت به الى الأسماء الأعجمية ، يعني قوله في باب الحذف :

والأعجمية كنحو لقمان ونحو إسحاق ونحو عمران

ثم عزفت نيتي ، وانحلت عزيمتي لأعذار أوجبت ذلك ، منها الاشتغال بتعليم الصبيان ، لاستغراقهم جميع الزمان ، وتغير الأحوال ، ومكابدة العيال ، وأمور كثيرة حالت بيني وبين اتمامه. . .

ثم يذكر أنه في سنة (744 هـ) قدم عليه بعض طلبة تلمسان وسألوه إقراء هذا الرجز ، وألحوا عليه في الطلب ، فلبى رغبتهم ، وكان ذلك من دواعي اتمام هذا الشرح ، (. . فأخذت في اتمامه على المنهاج الذي بدأته أولاً كما ذكرت ، على أني أيضاً لم أر أحداً من أهل عصرنا تعرض لشرحه ، والاعتناء به ، إذ كان ناظمه ـ رحمه اللّه ـ قد أجازني فيه ، وسمعته منه وقرأته عليه قراءة تفقه وبحث . . .) .

وقد عاد ابن آجطا إلى الأصول التي اعتمدها الخراز ، وأورد نصوصها ، وقارن بينها ، وناقش المؤلف في استنباطاته منها ، وربما شافهه في بعض ذلك ، فتراه مثلاً يقول في مسألة نسب أبو عبد اللّه الخراز الحكم فيها الى أبي داود في تنزيله : (. . وقد طالعت نسخاً من التنزيل ، فلم أجد أبا داود ذكر ذلك ، ففاوضت الناظم في هذا مدة سكناه بالبلد الجديد ، فواعدني البحث عليه ، فلم أره بعد ذلك رحمه اللّه . .).

ورجع ابن آجطا كذلك الى عشرات المصادر في هذا الفن ، ونخلها وعرف كيف يستفيد منها ؛ وعلى الجملة ، فهو في غاية التحرير والاتقان ، وكل الشروح عالة عليه ؛ وقد كتب أبو عبد اللّه القصار ـ الى تلميذه أبي العباس الشريف العلمي يقول : (. . وأعجبني اقراؤك الخراز ، واعتمد على ابن آجطا ، فإن نقله صحيح ، وكثير من شروح الخراز فيه تحريف . . .) .

وهناك نسخ مختصرة من هذا الشرح تحمل نفس العنوان : (التبيان) ـ منسوبة الى المؤلف ، ولعل ذلك مما قيده بعض تلاميذه أيام إقرائه لهم .

* المجاصي ـ وهو أبو عبد اللّه محمد بن شعيب بن عبد الواحد بن الحجاج المجاصي اليصليتني ، ذكر أنه تعلم برباط تازة على أبي الحسن ابن بري ، وهناك أخذ عنه كتابه « الدرر اللوامع » .

ويذكر المجاصي من شيوخه بتازة ـ أبا عبد اللّه المالقي نزيل تازة ، وأبا عبد الله محمد بن الحسن بن أحمد بن أبي بكر التسولي اللنتي .

وأخذ بفاس عن أبي الحسن علي بن سليمان القرطبي مقرىء فاس ، وأبي العباس بن عبد الرحيم بن تميم المجاصي الشهير بالمكناسي ، وأبي الحسن علي بن عبد الرحمان بن محمد بن بادس الغابري ، وسواهم .

وأورد سنده المتصل في مقرأ نافع الى الرسول ـ عليه السلام ـ لم يمكن لي إيراده لطوله ، على ما فيه من فوائد جلى .

وكان المجاصي معلم الصبيان ـ بجامع ابن أصناج بمدينة تازة ، وتتلمذ له الكثير من أبناء هذا البلد وغيره ؛ ويذكر السراج في فهرسته ـ أن من تلاميذه ـ أبا عبد اللّه بن آجروم المعروف بالمنديل ، قرأ عليه فاتحة الكتاب بالقراءات السبع ، وبعض الشاطبية ، وبعض الدرر اللوامع ؛ وناوله شرحه عليه . . . توفي أبو عبد اللّه المجاصي أواسط القرن الثامن الهجري ، وخلف مؤلفات في علوم القرآن ، منها :

ـ شرحه على موردالظمآن ، وعندي نسخة فيها بتر كبير لم أستطع أن أستفيد منها كثيراً ، ذكر أنه فرغ منه عام (743 هـ) .

ـ شرح ضبط الخراز .

ـ شرح الدرر اللوامع وقفت عليه اخيراً وهو شرح موسع ذكر أنه كتبه سنة (723 هـ) ، وهو مهم جداً .

ـ منظومة في غريب القرآن ، جاء في مقدمتها :

وبعـد حمـد الـواسـع المجيب	فلنبتـدىء في القول في الغـريب
مـختـصـراً مـرجـزاً في الـلفظ	لـراغـب فـي درسـه والـحـفظ
عن الـذي قـد صـح عنـدي فيـه	مـن كتـب الإيضـاح والـتنبـيـه

وتختلف نسخها اختلافاً بيناً ، ولعل المؤلف زاد فيها ونقص ، فرواها الناس كذلك .

* ومن أهم الشروح : « تنبيه العطشان ، على مورد الظمآن » ـ لأبي علي الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي (ت 900 هـ) ـ دفين أولاد برحيل بقبيلة المنابهة .

له مؤلفات ، منها : « حلية الأعيان ، على عمدة البيان » ، وشرحه « تنبيه العطشان » من أوسع شروح مورد الظمآن ، اعتمد فيه كثيراً على ابن آجطا (الشارح) ، وناقشه في بعض آرائه ؛ وقد انتقد الخراز في مواضع من هذا الكتاب ، وأغلبها مسبوق بها ؛ وأورد في باب الحذف فقط ـ اثني عشر اعتراضاً ، أجاب عن جلـها وقال في الباقي : انها اعتراضات لازمة .

وطريقته : أن يورد في كل موضوع عدة أسئلة ثم يجيب عنها واحداً واحداً ، وينتهي من كل بيت باعراب ما يحتاج الى اعرابه في إيضاح المعنى .

وله اصلاحات وتكميلات لبعض الأبيات ، ووجد في بعض النسخ أنه فرغ منه عام (842 هـ) (كذا) ؟

* « فتح المنان ، المروي بمورد الظمآن » ـ لأبي محمد عبد الواحد ابن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري ، هاجر أسلافه من الأنـدلس الى

عدوة المغرب ، واستوطنوا مدينة فاس ، وبها ولد في حدود (990 هـ) ، ونشأ على كريم الأخلاق ، وتربى في بيت يغمره الفضل والصلاح.

حفظ القرآن وجوده على أبي العباس اللمطي ، وأخذ القراءات السبع عن أبي العباس الكفيف ، ثم عن أبي عبد اللّه الشريف المريني التلمساني ؛ وتتلمذ للشيخ القصار ، وأبي القاسم ابن القاضي ، وأبي عبد اللّه ابن الجنان ، وسواهم.

كان رحمه الله عالماً متبحراً في علوم القرآن ، مشاركاً في سائر الفنون ؛ ناسكاً ، ورعاً زاهداً ؛ مثابراً على التعليم ، كثير الإنصاف في مباحثاته ، انفرد في عصره بعلم الرسم ؛ وتخرج على يديه كثير ، منهم : الشيخ ميارة ، والحافظ المقرىء أبو زيد بن القاضي ؛- رحل الى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وهناك نظم أرجوزته : «المرشد المعين» ، وكان ينكر على الناس قراءة القرآن في جنائزهم ، ويرى أن اصطناع الحزابين في ذلك من البدع التي تجب محاربتها.

وعلى الجملة ، فقد كان مثال العالم العامل ، اعتكف وجاهد ، ونصح العباد ، توفي سنة (1040 هـ) ؛ وخلف آثاراً علمية قيمة ، منها :

- « المرشد المعين ، على الضروري من علوم الدين » ، شرح مختصر خليل ـ لم يكمله ، عمل الربع المجيب (رجز في التوقيت) ، تعليق على كبرى السنوسي .
- « الاعلان ، بتكميل مورد الظمآن » ـ في رسم غير نافع من بقية السبعة ، وله عليه شرح .

وشرحه « فتح المنان » يدل على تبحر في علوم القرآن ، وتضلع شامل في فنون اللسان ؛ ووضع أبو زيد المنجرة حواشي عليه .

- ولأبي اسحاق الدرعي تذييل على مورد الظمآن .

* « منهاج رسم القرآن ، في شرح مورد الظمآن » ـ لأبي الفضل

مسعود بن محمد بن جموع السجلماسي ، أخذ تعليمه الأولي ببلده سجلماسة ، ثم ارتحل الى فاس ، وبها أنهى دراسته .

أخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي ، وولده أبي عبد الله (محمد) ، وأخذ علوم القرآن عن أبي زيد بن القاضي .

كان عالماً بالحديث والسير ، والفقه والتصوف ، والنحو والبيان ، والتفسير واللغة ؛ خيراً ديناً فاضلاً ، لا يرى إلا مدرساً أو كاتباً ، أو ناسخاً أو باحثاً.

انتقل في أخريات حياته الى سلا ، ونزل بزاوية أبي العباس حجي ؛ ودرس بها البخاري ، والشفا ، والشمائل ، توفي عام (1119 هـ).

له مؤلفات في القراءة والرسم ، منها : هذا الشرح الذي أبان فيه عن اطلاع واسع ، وفهم دقيق لمسائل هذا الفن ؛ وقد استقى كثيراً من مكتبة شيخه ابن القاضي ، وله تذييل على الخراز فيما أغفله من مسائل الرسم ، واستدرك كثيراً على اعلان ابن عاشر ـ ونظم ذلك في رجز .

وهناك شروح أخرى مختصرة نجمل الكلام عنها فيما يلي :

* « الدرر الحسان ، في اختصار التبيان » ـ لأبي عبد الله محمد بن خليفة بن صالح الصنهاجي ، كتب جله في رحلاته الى أفريقية سنة (836 هـ).

* طرر لأبي الحسن التروالي المعروف بالزرهوني ، وهي مهمة جداً ؛ جمعها بعض تلاميذه وزاد عليها زيادات ، وأسماها « مجموع البيان ، في شرح مورد الظمآن ».

* تعليق : لأبي عبد الله شقرون الوهراني (ت 929 هـ).

* غربلة مورد الظمآن ـ لسعيد بن سعيد الكرامي الجزولي ، من أهل القرن التاسع .

* شرح في نحو مائة صفحة من القطع الصغير ، لأبي العباس أحمد ابن عبد الله بن يعقوب الجزولي ، كتبه سنة (1085 هـ).

* تقييد على مورد الظمآن لمحمد بن مجبر .

* (الخلاف والتشهير والاستحسان ، فيما أغفله مورد الظمآن) ، لأبي زيد بن القاضي (ت 1082 هـ)، وذيله برجز يقول فيه :

وهاك ما حذف في التنزيل   وليس في المورد خذ تفصيلي

* ومن أحدث الشروح : « دليل الحيران ، على مورد الظمآن » ـ لأبي اسحاق ابراهيم المارغني ، (ت 1341 هـ).

ـ وله شرح على اعلان ابن عاشر سماه « تنبيه الخلان ، على الاعلان بتكميل مورد الظمآن » ـ .

ـ طبع كل من الشرحين بتونس .

* ومن الذين اختصوا ذيل مورد الظمآن (الضبط) ـ بالشرح : أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن عبد الجليل التنسي ـ نسبة الى تنس من أعمال تلمسان ، أخذ عن ابن مرزوق الجد ، والقاسم العقباني ، وابراهيم التازي ، وسواهم.

اشتهر بالعلم في عصره ، له معرفة بالقراءات ، والرسم والضبط ، تتلمذ له أبو العباس ابن داود الأندلسي ، والخطيب بن مرزوق حفيد الجد ، وأبو عبد اللّه بن صعد ، وابن الامام ابن العباس ، قال هذا الأخير : لازمت مجلس شيخنا التنسي عشر سنوات ، وحضرت اقراءه تفسيراً ، وحديثاً ، وفقهاً ، وعربية ، وغيرها.

ووصفه تلميذه ابن داود الأندلسي ـ بشيخنا بقية الحفاظ ، وقدوة الأدباء ؛ وقال ـ عند خروجه من تلمسان ـ لما سئل عن علمائها ـ : العلم مع التنسي ، والصلاح مع السنوسي ، والرياسة مع ابن زكري.

توفي ـ رحمه اللّه ـ سنة (899 هـ) .

له مؤلفات ، منها :

ـ « نظم الدرر والعقيان ، في دولة آل زيان » ، « راح الأرواح ، فيما قاله أبو حمو أو قيل فيه من الأمداح » .

ـ فهرس بأسماء شيوخه ، فتاوى نقل عنها الونشريسي في معياره ؛ و « الطراز في شرح الخراز » الذي نحن بصدد الحديث عنه ـ وهو من أحسن الشروح وأتمها تحريراً ، وأكملها ضبطاً ؛ قال في مقدمته : (. فتاقت نفسي أن أضع عليه شرحاً وسطاً ، يكون أنشط لقاريه ، وأقرب لفهم طالبيه . .) .

والخراز في هذا النظم ـ لم ينسب الأحكام الى قائليها ، ولا أضاف مسائل هذا الفن الى أربابها ـ كما فعل في (مورده) ؛ وشفيعه في ذلك : أن أكثر مسائل الضبط ليس فيها اختلاف كثير ، لكن أبا عبد اللّه التنسي ـ حاول أن يرجع النصوص الى أصولها ، ويضيف الأحكام الى ذويها ؛ فعاد الى المصادر التي اعتمدها أبو عبد اللّه الخراز وتفهمها ، وعرف مراميها وقارن بينها ؛ وربما ناقش المؤلف في استنباطاته منها ، واختيارته لبعض الوجوه فيها؛ وهو ـ في الغالب الأعم ـ يؤيده في آرائه، ويوجه أحكامه بتوجيهات سديدة ، فتراه مثلا يقول : ان الناظم اختار هذا الوجه لكونه مذهب الجمهور ، أو عمل الناس في عصره ، أو هو معتمد الامام الداني ، أو ما عليه نقاط المدينة (مدينة الرسول عليه السلام) ، أو . . أو . . .

وربما قال : وهذا مما انفرد به الامام الخراز أو من آرائه الخاصة ـ وهو صحيح ، مما يدل على تمكنه من مسائل هذا الفن . . .

وقد تعرض أبو عبد اللّه التنسي لإعراب أبيات النظم ، وتقديرها وسبكها ـ ان اقتضى المقام ذلك ـ حرصاً على توضيح معانيه ، وافهام قاريه ؛ وإن اختلفت الأبيات في رواياتها ، اختار منها ما هو أوفق بالصواب ، وأقرب الى الوجه الصحيح .

وينوه التنسي بصنيع الناظم في كثير من الأبواب ، ولنستمع اليه يقول في باب ما زيد في الهجاء : (هذا باب من الأبواب التي مد فيه الأئمة النفس والباع ، وشعبوا الأقسام والأنواع ؛ وكثروا فيه التوجيه والتعليل، وسلكوا أيضاً في نقطه ذلك السبيل ؛ ونكب المصنف عمالهم في ذلك من الإكثار ، ورغب في طريق التقريب وايثار الاختصار ؛ فخلط لذلك أنواعه

بعضها ببعض - كما جرت به عادته - مشيراً في الغالب الى كل نوع بكلمته ، فحسنت بذلك في الاختصار صناعته ؛ واقتصر في النقط على وجه واحد مما قيل في كل مسألة - إما لشهرته مطلقاً ، أو في عصره ، أو جرياً على ما أصله ؛ فجزاه الله تعالى ، على اجتهاده في ذلك خيراً ، وضاعف له في الدار الآخرة أجراً . .) .

والخراز في هذا النظم ، تكلم - فقط - على ضبط نافع ونقطه ، كما اقتصر في المورد على رسمه ؛ ولم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى ضبط باقي القراء السبعة ؛ بخلاف الداني ، وأبي داود بن نجاح ، وسواهما ممن ألفوا في هذا الميدان ، فقد تكلموا عن رسم القراء جميعهم .

وهي حقيقة أغفلها كثير من الشراح ، وخلطوا بين ما عند الناظم وغيره ؛ وقد رد التنسي من هذه الزاوية عدة ايرادات وانتقادات وجهت الى (هذا النظم) - وهو منها براء .

ولأهمية (طراز التنسي) - وهو طراز فريد - وضعت عليه تعاليق وحواشي ، وهي - أولاً بالذات - خدمت الامام الخراز ، ودافعت عن مذهبه وآرائه ، وناقشت التنسي في كثير من أبحاثه .

ومن أهم هذه الحواشي :

- تعاليق أبي العلاء المنجرة وولده أبي زيد على شرح التنسي - جمع ابراهيم بن محمد الخلوفي .
- حاشية أبي علي الحسن بن يوسف الزياتي النحوي المقرىء ، (ت 1023 هـ) .
- حاشية أبي زيد عبد الرحمان بن ادريس المنجرة ، (ت 1179 هـ) ؛ وهو من أئمة هذا الشأن ، له مؤلفات عديدة سنتحدث عنها في موضع آخر؛ وكل ما يمكن أن نقول هنا: هو أنه كان قاسياً على التنسي، وإن كان ينصفه في بعض الأحيان فيقول : وهذا منه جيد وحسن .
- وكتب الامام ابن عاشر على التنسي طررا مهمة جداً .

- شرح ضبط الخراز لأبي زيد التنهلي القصري الفرمي .

وثمة شروح مختصرة على ضبط الخراز ، نذكر منها :

- شرح أبي عثمان سعيد بن سعيد الكرامي الجزولي ، سماه « إعانة الصبيان ، على ذيل عمدة البيان » .

- يعني به ضبط الخراز الذي كان جعله أولاً ذيلاً لرجزه « عمدة البيان ، في رسم القرآن » ، ثم ألحقه بـ « مورد الظمآن » - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً .

وأبو عثمان هذا من أهل القرن التاسع ، له مؤلفات عدة ، أغلبها مختصرات ، وقد أوردنا جملة منها فيما سبق .

- تقييد على الضبط لمحمد بن مجبر السلاف الذكر .

- شرح أبي عبد اللّه محمد بن سليمان الجزولي .

وكما ذيلت بحثي عن ابن بري بطائفة من قراء هذا العصر ممن كتبوا في مقرأ نافع ، أذيل حديثي هذا عن الخراز بطائفة أخرى لهم كتابات في فن الرسم والضبط ، ولنذكر على رأس هؤلاء :

* أبا العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي ، المعروف بابن البناء ، كان أبوه بناء ، فانصرف هو لطلب العلم ، فبلغ فيه الشأو البعيد ، ولد بمدينة مراكش - في حي يعرف بقاعة ابن ناهض - عام (654 هـ) .

قرأ القرآن على أبي عبد اللّه بن عيسى المعروف بابن مبشر ، وتلا بحرف نافع روايتي ورش وقالون - على المقرىء الصالح الشهير بالأحدب ، قال : وكان كثيراً ما يدعو لي بالخير ، لأني كنت أخفف عنه بعض الأعمال التي كان يتناولها بالمكتب ، فانتفعت بدعائه .

وابن البناء له عدة جوانب لا تتسع لها هذه الكلمة الوجيزة ، وقد قامت شهرته على ما كتب في علم الرياضيات من مؤلفات ورسائل .

وسأقتصر في حديثي هذا عن الجانب القرآني ، وما خلفه ابن البناء

فيه من آثار ، وله في هذا الباب عدة مؤلفات ، منها :

- تفسير الباء من (بسم الله الرحمان الرحيم)، تفسير سورتي العصر، انا أعطيناك الكوثر ، حاشية على الكشاف ، منحى التأويل - نحا فيه منحى ابن الزبير في كتابه « ملاك التأويل في المتشابه اللفظي من آي التنزيل » ، رسالة في تسمية الحروف وخاصية وجودها في أوائل سور القرآن ، رسالة في إحصاء عدد أسماء اللّٰه الحسنى من القرآن ، واخراجها منه على حسبما هي من غير تغيير وتداخلها من جهة العموم والخصوص .

- تفسير بعض الآي من القرآن ، « عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل » ، وهذا الأخير هو الذي يعنينا الآن ؛ وقد افتتحه بقوله : (. . الحمد لله منزل الكتاب ، وهادي الألباب . . قال فيه : وسميته « عنوان الدليل في مرسوم التنزيل » ، هو لأولي الألباب ، مفتاح تدبر الكتاب . .) .

وذكر أن للرسم القرآني أسراراً وحكماً ، تشهد بأن العرب كانوا الغاية القصوى من الذكاء ، ولطافة الهجاء ، فسبحان من أعطاهم ذلك وخصهم به . . ! .

وقد نوه به ابن هيدور وقال : (جزء نبيل في تعليل رسم المصحف الامام) .

* أبو عبد اللّٰه القيسي (ت 810 هـ)، له أرجوزة في الضبط وتعرف بالميمونة ، يقول فيها - في باب همزة الوصل :

فألف الوصل تكون فيها
الحجرة الغراء كن نبيها
إن أمكن الوقف على ما قبلها
كنحو قال الله حصل أصلها
فإن أتى متصلا بها ولم
يمكن عليها الوقف فاسمع الحكم

فـالـجـرة الـغـراء لـيـسـت تـجـعـل
في ألـف الـوصـل لـمـا قـد عـللوا
كـبـسـم ربـك وبـالـله نـعـم
والـلـه بـالـله وتـالـلله الـقـسـم

* وقد شرحها أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن يوسف بن محمد بن عطية المديوني ، الشهير بالجاديري ؛ ولد سنة (776 هـ) ، ثم رحل الى فاس وأخذ بها عن جملة من مشايخها ـ كأبي عبد اللّه بن عمر المؤقت ، وأبي عمر وعثمان الزروالي ؛ قرأ بالسبع على أبي عبد اللّه الفخار ، وأبي عبد اللّه القيسي ، وسواهما ؛ استوطن فاساً ، وكان بها عدلاً مبرزاً ، له مشاركة تامة في علوم الحديث ومعرفة بالقراءات ، ومهارة في فن الفلك ، ولي التوقيت بجامع القرويين ، وتوفي سنة (818 هـ) .

* أبو وكيل ميمون الفخار (ت 816 هـ) ، مر الحديث عنه في جملة من ألف في مقرأ نافع ، له مؤلفات في الرسم والضبط ، منها :

- (الدرة) في الرسم .
- (المورد الروي ، في نقط المصحف العلي) .

قال في الدرة :

وليس شيء خط في الكتاب   الا له وجه من الصواب
يعرفه الحاذق والنحرير   والله ربنا هو الشكور

* أبو العباس أحمد بن العياش الصنهاجي اليحمدي الوطيلي ، له تأليف في الرسم .

* أبو القاسم المزياتي ، له كتابات في الرسم ، ينقل عنه ابن آجطا في شرحه ، وقد ذكر أن في السماوات ثلاث ألفات محذوفة .

* محمد بن عبد الرحمان المراكشي ، له (محذوفات القرآن) .

* أبو محمد عبد الجبار الصحيني ، من تلاميذ الصغير ، له نظم في « تأمننا » .

* أبو زيد عبد الرحمان بن علي الجزولي ، له قصيدة في الكلمات المحذوفة في القرآن .

* ابراهيم بن محمد التازي ، له قصيدة لامية .

* أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن جابر الغساني المكناسي ، أخذ عن أبي عبد اللّه الذكواني الأندلسي ، وابن قاسم بن داود السلوي ، وأبي عبد اللّه المراكشي المعروف بابن عليوات ، وأبي العباس ابن عبد المنان ـ الأديب الشهير .

تتلمذ له الحافظ القوري ، وولده أبو عبد اللّه ، وأبو زيد العبدوسي ، روى عنه حديث المصافحة ، كان عالماً أديباً ، وشاعراً مجيداً ، عارفاً بالقراءات وتوجيهها ، متصرفاً في فنون العربية واللغة .

قال ابن غازي في حقه : شيخ مشايخنا الأستاذ المقرىء ، والشاعر المجيد ، ذو التصانيف الحسنة . . توفي عام (827 هـ) .

له أرجوزة حاذى بها « مورد الظمآن » ، في مائة بيت (100) ، ينقل عنها ابن القاضي في (الخلاف والتشهير والاستحسان . .) ، ومنها قوله في حذف طئف :

وعن سليمان استحب الحذف اشارة لمن رواه طيف

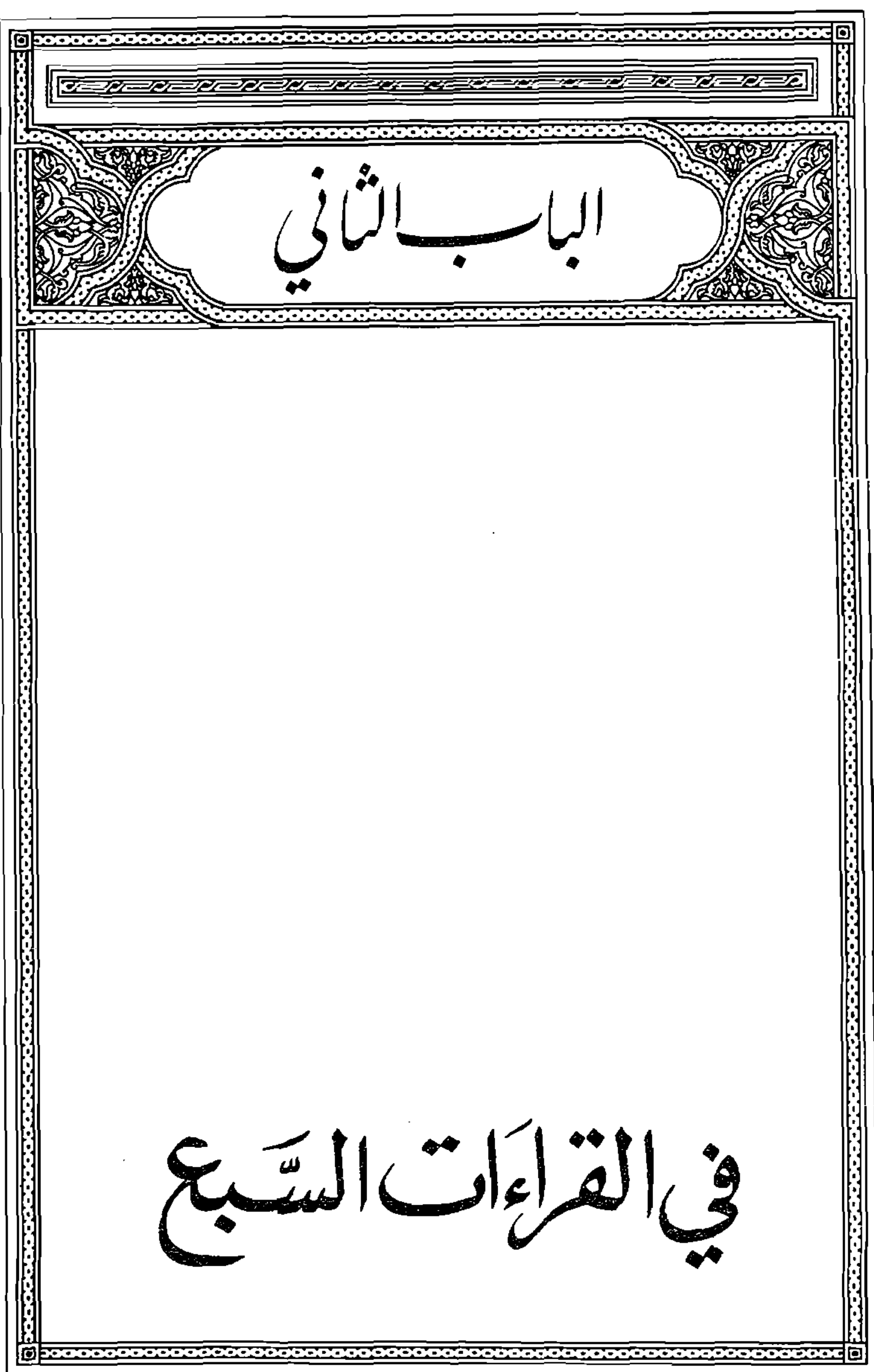
* أبو عبد اللّه بن الأعمش الصحراوي (ت 1285 هـ) له مؤلف في رسم المصحف .

* محمد بن العربي السباعي ، من آثاره : (المصباح في الرسم القرآني) ، أرجوزة في (129) بيتاً .

* محمد التهامي بن الطيب الغربي السيفي ، له أرجوزة في رسم ورش عن شيخه نافع ، أسماها (نصرة الكتاب) ـ تقع في (367 بيتاً) .

* أبو الحسن علي بن ابراهيم الحيحي القرقاوي ، له (القرقاوية ، في رسم القراء السبعة) ، فرغ من تأليفها يوم الأربعاء 21 من شهر رجب سنة (1278 هـ) ، ينقل عن ابن القاضي وعبد الرحمان المنجرة.

هذا ، ويطلق على هذه المؤلفات الأولية في الرسم والضبط والتجويد اسم (الكراريس) .



الباب الثاني

في القراءات السبع



تمهيد

قبل الحديث عن القراءات السبع وكيفية آدائها ، ينبغي أن نعرف ما هي القراءة ؟ وما هو الأداء ؟ وما القارىء ؟ وما المقرىء؟ .

القراءة : علم يعرف منه اتفاق الناقلين واختلافهم في اللغة والإعراب ، والحذف والإثبات ، والفصل والوصل ـ من حيث النقل .

والأداء : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها ـ معزواً لناقله .

أما القارىء فهو من علم بها أداء ، ورواها مشافهة . والمقرىء : مبتدىء ومنته ، فالمبتدىء : من أفرد الى ثلاث روايات ، والمنتهي : من نقل عنه أكثر من ذلك .

طريقة المغاربة في القراءة :

وطريقة المغاربة في القراءات السبع : أن الطالب اذا حفظ القرآن برواية ورش ، جمع اليها رواية قالون في ختمة أو أكثر ـ مما يتأتى حفظه فيه ؛ فإذا حفظ حرف نافع ، جمع اليه حرف عبد اللّٰه بن كثير من روايتيه في ختمة أو أكثر ؛ فإذا حفظ حرفيهما ، جمع اليهما حرف أبي عمرو البصري من روايتيه أيضاً في ختمة أو أكثر كذلك ؛ فإذا حفظ الأحرف الثلاثة ، جمع اليها الأحرف الأربعة الباقية من رواياتها الثمان ـ دفعة واحدة ، وينتهي الى حال يرضى بها في نفسه ، أو يرضى له بها شيخه ويأذن له في الاقتصار أو التعليم إن رآه أهلاً لذلك .

وهناك طريقة لبعض قراء أهل سوس ـ يجمعون الى الأحرف الثلاثة حرف ابن عامر الشامي من روايتيه كذلك ، ثم الأحرف الثلاثة الباقية .

وللكثرة الكاثرة من حفاظ السبع في كل عصر من عصور المغرب ، ارتأيت أن أخص كل عصر بفصل يضم أشهر المشاهير فيه ، وسأقتصر على المنتجين الذين خلفوا آثاراً علمية في مختلف فنون القراءات .

الفصل الأول

في قراء العصر المريني ـ وآثارهم

كان أبوالحسن المريني ـ أول من دشن مدرسة « السبعيين » ، بفاس الجديد سنة (720 هـ) ، ومن الرواد الأول في هذا الميدان :

* أبو عبد اللّه محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف الفاسي (ت 656 هـ)، عالم متبحر ، وإمام في فن القراءات ، له شرح على الشاطبية أسماه (اللآلىء الفريدة ، في شرح القصيدة) .

قال عنه ابن الجزري : وقد أحسن فيه ، وهو من أهم المصادر في هذا الشأن .

* أبو الحكم مالك بن المرحل السبتي ، العالم الأديب ، والشيخ المقرىء ، (ت 699 هـ) .

له مؤلفات ، منها : قصيدة في القراءات ، عارض بها لامية الشاطبي : « حرز الأماني » ، سماها (التبيين والتبصير ، لكتاب التيسير) .

* أبو الحسن التادلي المالكي ، له: ملخص من الوافي ، بما في التيسير والكافي ـ في التجويد والقراءات .

* أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الشهير بابن آجروم ـ مر الحديث عنه ـ فيمن كتبوا عن درر ابن بري ، ومن مؤلفاته : « فرائد المعاني ، في شرح حرز الأماني » ـ وهو من أنفس شروح الشاطبية ، له فيه تحقيقات بعد العهد بمثلها .

* أبـو الحسن علي بن سليمان بن أحمـد بن سليمان القـرطبي ، مقرىء فاس وشيخ الجماعة بها ، (ت 730 هـ) ، له في القراءات :
- (الاختلاف الكبير بين الأئمة الثلاثة : الداني ، مكي بن أبي طالب ، ابن شريح) .
- مختصـره: (ترتيب الأداء ، وبيـان الجمع بين الـروايات في الاقـراء) - وسنتحدث عنه بشيء من التفصيل في فنون القراءات . وذكرت له بعض الفهارس قصيدة في القراءات .

* أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي ، امام القراء بالمغرب - كما يقول ابن خلدون - وهو من شيوخه: أخـذ عنه القـراءات السبع بـالجمع الكبير ، كان من الذين يحضرون مجلس أبي الحسن المريني ، وكان يؤثره للصلاة لجودة قراءته ، وحسن صوته ، توفي غريقاً في أسطول أبي الحسن هذا سنة (749 هـ) . وخلف مؤلفات في العربية والقراءات ، والأسف أنه لم يصلنا منها شيء .

* أبو القاسم بن عمران الحضرمي السبتي ، ذكره صاحب (بلغـة أمنيـة اللبيب) ، وأورد من مؤلفـاتـه : (الشـافي ، في اختصـار التيسيـر والكافي) ، (ت 750 هـ) .

* أبو عبد اللّٰه محمد بن ابراهيم الصفار المراكشي ، كان له تضلع في علم القراءات ، استدعاه أبو عنـان لحضرتـه ، وكان يعـرضه القـرآن بالروايات السبع ، (ت 761 هـ) . من مؤلفاته : (جواب الخل الأود ، عن كيفية أداء المد) ، و (الجمان النضيد ، في كيفية الأداء والتجويد) .

* أبو عبد اللّٰه محمـد بن أبي الربيـع سليمان بن مـوسى القيسي الأندلسي الفاسي ، شيخ عارف بـالقراءات ، مـاهر فيهـا ، بل هي جـل علمه ؛ له في ذلك قصائد ومنظومات ، منها (الأجوبة المحققة) - قصيدة رائية في القراءات ، (ت810 هـ) .

* أبو وكيل ميمون مساعد المصمودي مولى أبي عبد اللّٰه الفخار ، ولذا ينسب اليه ويقال له ميمون الفخار ؛ عالم محقق، وفقيه ورع ؛ لـه

الصيت الذائع في علم القراءات ، نظم قصائد خاطب بها علماء الأندلس في فن القراءات ، (ت 816 هـ) .

مشيخة العصر :

* ويعتبر أبو عبد الله الصغير شيخ العصر ، وهو محمد بن حسين النيجي الشهير بالصغير ، أخذ عن أعلام عصره : أمثال أبي العباس الفلالي ، وأبي الحسن الوهري ، وأبي راشد الحلفاوي ، وسواهم .

كان إماماً في القراءات متبحراً فيها ، عارفاً بطرقها وأسانيدها ، اقرأ بفاس فنوناً عدة برواياتها وأسانيدها ، حتى لقد قال أبو زيد المنجرة : إن أسانيد عامة أهل المغرب في السبع والعشر من طريقه ، (ت 887 هـ) . له تعاليق مهمة على (حرز الأمان) ناقش فيها الحساب ـ أبا القاسم الشاطبي ، ينقل عنه المنجرة (الابن) في حواشيه .

ومن أشهر تلاميذه : أبو عبد اللّه بن غازي الذي سنفرده بفصل كمدرسة قائمة بذاتها ، وأبو العباس أحمد الدقون الذي يأتي من بين تلاميذ ابن غازي ،وأبو محمد عبد الجبار الصحيني ، له منظومة في « تأمننا » ـ يقول فيها :

وجلهم يرويه بالإخفاء ... للسبعة الغربلا امتراء
وهو الذي عليه أحبار الأدا ... سادتنا المعلمون للهدى
كشيخنا الصغير المبرور ... إمام نظم العرب والمنثور

وحمل حملة شعواء على قراء البادية ، ورماهم بالجهل والجمود ؛ ونظم قصيدة يهجوهم فيها جاء في ذلك قوله :

ولا تكن كنفر البوادي ... ترتكب الجهل مع العباد
يا عجبا منهم كيف سادوا ... بغربنا والعلم عنه بادوا
وصاروا في الأقطار عند الناس ... أئمة بالرأي والقياس . . .

موضوعات تتصل بعلم القراءات :

وهناك موضوعات تتصل بعلم القراءات ، كتب عنها جماعة من أئمة هذا العصر وسواهم ، وهي ـ كما يلي :

أ ـ فنون القرآن :

وهو موضوع شغل الناس به قديماً وحديثاً ، وقد قام أبو علي الحسين ابن علي الشوشاوي السوسي ـ بمحاولة جريئة في هذا الصدد ، فألف في الموضوع كتاباً سماه « الفوائد الجميلة ، في الآيات الجليلة » ، عالج فيه أبحاثاً هامة في علوم القرآن ـ على غرار ما في كتاب (البرهان) للزركشي ، ولا إخاله اطلع عليه لأن أكثر مصادره أندلسية ومغربية ؛ وقد ضمنه عشرين باباً ، منها :

ـ كتابة القرآن ، قراءاته ، مشكلاته ، أحوال حامل القرآن ، فضائل القرآن ، ختم القرآن ، عدد آياته ، هل القرآن مخلوق ؟ ـ تفضيل بعض القرآن على بعض ، مكي القرآن ومدنيه ـ في مواضع أخرى .

وأبو علي الشوشاوي مقرىء جليل ، وعالم منتج ؛ له مؤلفات في مختلف العلوم والفنون ، تحدثنا عنه ضمن الذين كتبوا عن « الخراز » .

(ب) ـ التجويد :

هو علم يعرف به مخارج الحروف ، وكيفية مدها ، وقصرها ، وتسهيلها ، وترقيقها ، وتفخيمها . . وتأتي أكثر أبحاثه عرضاً في كتب القراءات ، وقد عرفنا شيئاً منها عند ابن بري في خاتمة أرجوزته (الدرر اللوامع) .

* ومن الذين اختصوه بالتأليف : أبو عبد الله محمد بن يوسف الجناتي ، عالم مقرىء ، وفقيه حافظ مشاور ؛ ولي قضاء سبتة والتدريس بها (ت 778 هـ) .

له كتاب (البستان ، في تجويد القرآن) ـ وهو مختصر ، ضمنه ثمانية عشر باباً عالج فيها الموضوعات التالية :

ـ أصل الألفات ، الهمزات ، المد وأقسامه ، حروف اللين ، الإظهار والإخفاء ، الفك والادغام ، التفخيم والترقيق ، الإمالة ، حروف القلقلة.

ومن طريف أبوابه : (باب أنفاس الحروف وأرواحها وأجسادها) ، وقد ذكر أن أنفاسها : نقاطها ، وأرواحها : حركاتها . . . أما أجسادها ، فهي صور الحروف بمعانيها.

ومن الذين ألفوا في الموضوع من قراء هذا العصر :

* أبو عبد اللّه محمد بن ابراهيم الصفار ، له : كتاب (الجمان النضيد ، في كيفية الأداء والتجويد) ـ سبق الحديث عن الصفار ومؤلفاته ـ في جملة من كتبوا عن مقرأ نافع .

(ج) ـ الجمع والإرداف :

من أهم الموضوعات التي تحدثت عنها كتب القراءات ، وابتدعها ـ كما قيل ـ المغاربة والأندلسيون : (الجمع والإرداف) ، وذلك بأن يجمع القارىء عدة قراءات ، ويردف بعضها على بعض ـ في ختمة واحدة ، وللناس في ذلك مذاهب ـ على ما سنبينه بعد.

* ولعل أقدم من ألف في الموضوع من المغاربة : هو أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مقرىء فاس وشيخ جماعتها ، (ت 730 هـ) . له كتاب (ترتيب الأداء ، وبيان الجمع بين الروايات في الإقراء) . وقد ضمنه مقدمة وبابين ، تحدث في المقدمة عن الأسباب الحافزة له إلى وضع هذا الكتاب :

(. . وبعد : فهذا كتاب قصدت فيه الى ترتيب الأداء ، وبيان الجمع بين الروايات ، لما رأيت لمنتحلي الإقراء في زماننا وما قبله من ارتكاب ما نهى

عنه السلف ، ومن تبعهم من عالمي الخلف ؛ في الجمع بين الروايات من تقطيع حروف القرآن ، والإخلال بنظمه ، ومعنى الإعجاز فيه ـ في نفس واحـد ؛ ولا يفصلون بينها بـوقف ولا بسكت ، ولا يعتبرون تعلقهـا بمـا قـبلهـا ولا بما بعدها ؛ فيفرقون بين العامل والمعمول ، والتابع والمتبوع ، والصلة والموصول ، والمضاف والمضاف اليـه ، والمعطوف والمعـطوف عليه ؛ مع اشتراكهما في الإعراب والحكم ، أو في احدهما ، أو ما أشبه ذلك .

قال : (وحملهم على ذلك طلب الاختصار ، وعدم التكرار لما لا خلاف فيه بين القراء ؛ فوقعوا فيما لا يجوز ، ولا يقول به أحد من علماء القراءة وسلف الأمة . .) .

وتكلم في الباب الأول ، عن القراءة الصحيحة وكيفية التلاوة ؛ وذكر أن القراء أجمعوا على التزام التجويد ، فهو حلية الأداء ، وزينة الإقراء ، وأورد لذلك عدة أدلة .

ثم بين أن طرق الأداء ثلاث :

- تحقيق : وهو الترتيل ، فيمطط الحروف ، ويشبع الحركات وحروف المد واللين على الاطلاق .
- حدر : وهو الإسراع ، فلا يمطط الحروف ، ولا يشبع الحركات ؛ بل يخطفها خطفاً من غير اخلال بشيء من صفاتها ومخارجها .
- تدوير : وهو عبارة عن التـوسط بين المقامين ، ـ والـطريق الأول قراءة ورش ؛ وخص الباب الثاني للحديث عن كيفية الجمع بين الروايات ، وبيان الجائز منها وغير الجائز ، وأورد طائفة من الآيات ـ كنماذج تطبيقية للقواعد التي قررها في الباب .

* وقد لخص أكثر مسائل هذا الكتاب ـ شيخ القراء في عصره : أبو العلاء ادريس المنجرة (ت 1137 هـ) ـ في كتاب له سماه (نزهة الناظر والسامع ، في اتقان الإرداف والأداء ـ للجامع)، ذكر أن السلف لم يكونوا

يجمعون بين الروايات في ختمة واحدة ، وإنما حدث ذلك أثناء المائة الخامسة - عصر الداني ، وابن شيطا ، والأهوازي ، والهذلي ، ومن بعدهم ؛ وأن الناس في هذا الجمع على ثلاثة مذاهب :

1 - الجمع بالحرف - وهو أنه إذا ابتدأ القارىء القراءة ومر بكلمة فيها خلاف أصلي وفرشي ، أعاد تلك الكلمة حتى يستوعب جميع أحكامها ؛ فإذا ساغ الوقف وأراده ، وقف على آخر وجه ، واستأنف ما بعدها ؛ وإلا وصلها بما بعدها مع آخر وجه ، ولا يزال كذلك حتى يقف .

2 - الجمع بالوقف - وهو أن يبتدىء القارىء بقراءة من يقدمه من الرواة مثل ورش عند المغاربة ، أو قالون عند الأندلسيين ؛ ويمضي على تلك الرواية حتى يقف حيث يريد ويسوغ ، ثم يعود من حيث ابتدأ ، ويأتي بقراءة الراوي الذي يثني عليه ؛ ولا يزال كذلك يأتي براو بعد راو حتى يأتي على جميعهم - الا من دخلت قراءته مع من قبله فلا يعيدها ، وفي كل ذلك يقف حيث وقف أولاً .

3 - المذهب المركب من المذهبين - وهو أن يأتي القارىء برواية الراوي الأول ويتمادى على ذلك إلى أن يقف على موضع يسوغ الوقف عليه ، فمن اندرج معه فلا يعيده ، ومن تخلف فيعيده ؛ ويقدم أقربهم خلفاً الى ما وقف عليه ، فإن تزاحموا ، قدم الأسبق فالأسبق ، وينتهي إلى الوقف السائغ مع كل راو ؛ وعلى هذا المذهب عمل أهل المغرب ، قال أبو عبد اللّه الزفري في أرجوزته :

الجمع للبدور في مغربنا مركب من مذهبين فافطنا
حرفي ، ووقفي ، وله أركان عطف تداخل له البيان

6 - فن الحطيات :

يقوم فن «الحطيات» على احصاء شامل لما في القرآن من حروف وكلمات ، وجمل مكررة أو متشابهة ! وظهرت مدرسة « الحطيات » بالمغرب في حدود أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، ومن أبرز مشايخها

بجنوب المغرب ـ أبو عبد اللّه اعجلي ، وبالشمال ـ أبو العباس الميزوري ، وسيأتي الحديث عنهما بعد .

هـ ـ الختم في القرآن :

قلما يخلو كتاب من حديث الختم في القرآن وكيفية ذلك ، وما ورد فيه من أخبار . . .

* وقد تقص آثاره واستوعب مسائله أبو القاسم بن علي السبتي ـ في كتاب له سماه (التحفة) ، ينقل عنه السفاقسي في (غيث النفع) كثيراً ؛ وأورد له عدة صيغ في دعاء الختم ، منها :

(. . اللهم إني أسألك إخبات المخبتين ، وإخلاص الموقنين ؛ ومرافقة الأبرار ، واستحقاق حقيقة الإيمان ؛ اللهم انفعنا بما علمتنا ، وعلمنا ما ينفعنا ، وزدنا علماً تنفعنا به ؛ اللهم إني أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ؛ والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ؛ والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

* وورد على أحمد بن المبارك السجلماسي ـ سؤال في حكم قراءة سورة الاخلاص 3 مرات عند ختم القرآن : هل له أصل في السنة أم لا ؟ .

فأجاب عن ذلك بجواب مطول .

الفصل الثاني

في قراء العصر الوطاسي

وإذا تجاوزنا عتبة العصر المريني ، نجد أن علوم القرآن في العصر الوطاسي قد اتسع نطاقها ، وتعددت مدارسها ؛ وقلما تجد عالماً لا يحسن علم القراءات ، بل صار مادة أساسية في برنامج المدرسة المغربية ؛ فكان هناك كرسي للتيسير والشاطبية ، وأوقاف ومرتبات للسبع والعشر لا ينالها إلا العالمون البارزون ؛ وقد لقيت علوم القرآن تشجيعاً كبيراً من ملوك العصر ، فكان أبو العباس الوطاسي محباً للعلم ، مؤثراً لأهله ، واقفاً عند إشاراتهم .

* ومن شيوخ العصر الوطاسي وأئمته البارزين : أبو عبد اللّٰه محمد ابن أحمد بن محمد بن محمد بن علي العثماني المكناسي ـ نسبة الى بني عثمان : بطن من قبيلة كتامة ، استوطنوا مكناسة الزيتون ؛ وبهذه المدينة ـ (مكناس) ولد أبو عبد اللّٰه بن غازي سنة (841 هـ) ، وبها نشأ وتعلم ؛ وكان لوالدته رحمة بنت الجنان ـ الفضل الأكبر في تنشئته على حب العلم والأخلاق الفاضلة ؛ وكانت تحفظ الكثير من صحاح الأحاديث ، وجيد الأخبار ؛ وتدرس القرآن العزيز في المصحف ، وكان لها إلمام واسع بقصص القرآن وأخباره ؛ أخذت كل ذلك عن زوجها الأول العالم المحدث ، والشيخ المجود ، أبي عبد اللّٰه محمد بن عزوز الصنهاجي ؛ رحل الى المشرق وأفاد من أعلامه ، وعاد ثانية فتوفي هناك ؛ فتزوجت أرملته بنت الجنان هذه ـ أبا العباس بن غازي ، فولد لها منه أبو عبد اللّٰه (مترجمنا) ؛ فنشأته على غرار زوجها وأستاذها ابن عزوز ـ في سيرته وعلمه .

ورغبة في المزيد من العلم والمعرفة ؛ وتحقيقاً لآمال كانت تراوده من حين لآخر ، رحل فتانا الى فاس ، وأنهى بها دراسته العليا ؛ فلقي جمهرة من المشايخ ، والتهم كل معارف عصره ، وأربى فيها على من سواه . ومن الشيوخ الذين اعتمدهم في علوم القرآن:

* أبو عبد اللّٰه محمد بن قاسم القوري ، سمع عليه ـ تبحراً وتوسعاً ـ بعض التفاسير ، وكان امام وقته في المعقول والمنقول ، لا يجارى في علوم الحديث والتفسير ، (ت 872 هـ).

* أبو الحسن علي بن محمد بن منون الحسني المكناسي ، العالم المقرىء النحوي ؛ كان صدراً في الفنون كلها ، ختم عليه ختمات في القرآن ، وتمرن في إعرابه وأوقافه ؛ قال : أفدت منه كثيراً ، (ت بعد 870 هـ).

* أبو عبد اللّٰه الصغير السالف الذكر ، لازمه ابن غازي طويلاً ، وقرأ عليه القرآن ثلاث ختمات ، آخرها للقراءات السبع على طريقة الداني ؛ وأخذ عنه بعض المصنفات في القراءات ـ بأسانيدها إلى أربابها ، وأكثر أسانيد ابن غازي جاءت من طريقه.

وهناك شيوخ آخرون أخذ عنهم مختلف العلوم والفنون ، ضمنهم فهرسته التي سنتحدث عنها وشيكاً .

كرس ابن غازي حياته لطلب العلم ونشره ، وانتهت إنيه الرئاسة في عصره ؛ وتخرج على يديه عامة طلبة فاس وغيرها ، وشدت اليه الرحال ، وتنافس الناس في الأخذ عنه ؛ وكان عذب المنطق ، فصيح اللسان ، حسن الايراد ، عارفاً بصناعة التدريس والإقراء ؛ قال فيه تلميذه أبو محمد الونشريسي : (.. كان إماماً مقرئاً مجوداً ، صدرا في القراءات ، متفنناً فيها ، عارفاً بوجوهها وعللها ؛ طيب النغمة ، قائماً بعلم التفسير والفقه والعربية ، متقدماً فيها ؛ متبحراً في الحديث ، حافظاً له ، واقفاً على أحوال رجاله وطبقاتهم ، ضابطاً لذلك كله ؛ ذاكراً للسير والمغازي

والتواريخ والآداب ، فاق في كل ذلك أهل عصره ؛ قال : وعلى الجملة فهو آخر المقرئين ، وخاتمة المحققين . .).

تتلمذ له من شيوخ القراءات :

أبو العباس الدقون (ت 921 هـ) ، وأبو عبد اللّٰه شقرون الوهراني (ت 929 هـ)، وأبو عبد اللّٰه الهبطي ـ واضع وقف القرآن بالمغرب (ت 930 هـ)؛ وأبو العباس الحباك (ت 936 هـ)، وأبو عبد اللّٰه ابن عدة الأندلسي، (ت 975 هـ)؛ والقاسم بن محمد بن ابراهيم الدكالي المشترائي ، (ت 978 هـ)، وأبو الحسن علي بن عيسى الراشدي ، وسواهم.

وكان ابن غازي ـ إلى ذلك ـ من دعاة الاسلام ، خطيباً مفوهاً ؛ تولى الخطابة بمكناس بلده ، وبفاس الجديد ، ثم الإمامة والخطابة بجامع القرويين ؛ باذلا النصح للعباد ، محرضاً على الجهاد ؛ وقد أعطى المثال من نفسه ، فرابط على ثغور الهبط التي كان يتهددها الاحتلال البرتغالي ـ عدة مرات ؛ فكان له اليد الطولى في إنقاذ بلده من التسلط الأجنبي ، ولقد خرج في أخريات حياته الى الغزو بقصر كتامة ، فمرض وحمل إلى فاس على الأعناق ، فتوفي ـ رحمة الله عليه ـ شهيداً سنة (919 هـ) ، ودفن بالكغادين من عدوة الأندلس.

ومن دعائه ـ رضوان الله عليه ـ : اللهم ثبتنا على الإيمان حتى نلقاك .

خلف أبو عبد اللّٰه بن غازي ، مؤلفات في الفقه ، والحديث ، والعربية ، والقراءات ، والتاريخ ، والفرائض ، والحساب ، وسواها ؛ وسنقتصر في هذه العجالة على ما يتصل بعلوم القرآن ، ونذكر منها :

1 ـ (التعلل برسوم الإسناد ، بعد انتقال أهل المنزل والناد) ـ فهرسة ذكر فيها أسماء شيوخه وتراجمهم ، ورواياته وأسانيده ، فرغ منها عام (896 هـ) .

2 ـ ذيلها ، ذكر فيه اجازة ابن مرزوق له ، انتهى منه سنة (905 هـ) ؛ وقد تسألني : وأي علاقة بين القراءات ، والفهارس والأثبات ؟

الجواب : أن من أركان القراءة صحة الاسناد ، فعلى القارىء أن يعرف أحوال الرواة وطبقاتهم ؛ والقراءة سنة متبعة ، ونقل محض ؛ وقد تقرر أن من شروط المقرىء أن يكون عاقلاً ، عدلاً ، ثقة ، كامل الضبط ؛ ولا يجوز له أن يقرأ إلا بما سمع ممن تتوفر فيه هذه الشروط ، أو قرأ عليه وهو مصغ له ، أو سمعه بقراءة غيره عليه ؛ وتشدد المتأخرون فلم يجيزوا إلا القراءة على الشيخ ، لأن المقصود كيفية الأداء ، ولا تتحقق الا بذلك ، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء كهيئته .

أما الصحابة ، فربما ساعدتهم فصاحتهم وسليقتهم على الأداء كما سمعوه من النبي ـ صلى اللّٰه عليه وسلم ـ ، ولأن القرآن نزل بلغتهم .

والإسناد من خصائص هذه الأمة ، ومن فضائلها التي ميزها الله بها ؛ قال عبد اللّٰه بن المبارك : الإسناد من الدين ، وقال سفيان الثوري : إنه سلاح المؤمن ، ومن لا سلاح معه فبأي شيء يقاتل ؟ وهو قسمان : عال ، ونازل ؛ فالعالي : ما قلت فيه الوسائط ، والنازل : ما كثرت وسائطه ؛ قال أبو عبد اللّٰه محمد بن مسلم الطوسي : قرب الاسناد قربى ، وعن يحيى بن معين أن الاسناد العالي قربة إلى الله وإلى رسوله .

وقد تنافس الناس في الأسانيد العالية ، وشدوا الرحال من أجلها ، وحلوا فهارسهم وأثباتهم بها ؛ ولنذكر هنا بعض أسانيد ابن غازي التي أوردها في فهرسته ، قال : وأروي عن أستاذي الصغير ، عن أبي الحسن الوهري ، عن أبي وكيل ميمون الفخار ، عن أبي عبد اللّٰه محمد بن جحلون ، عن أبي بكر بن أحمد بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن أبي عمرو الداني ، عن محمد بن أحمد الكاتب ، عن أحمد بن موسى ، عن مضر بن محمد الضبي ، عن أحمد بن أبي بزة ، عن عكرمة بن سليمان ، عن

عبد اللّٰه بن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

قال أبو زيد المنجرة : وهو سند عامة أهل المغرب في السبع ، والعشر الصغير .

ويحدثنا ابن غازي عن أسانيده العالية ـ وهو فخور بذلك ـ فيقول : وأروي عن شيخي أبي الحسن المنوني ، عن أبي عبد اللّٰه الفخار ، عن أبي يعقوب يوسف بن مخوت ـ أستاذ فاس الجديد ؛ قال : وهو سند عال ـ ولله الحمد والمنة ـ ساويت فيه شيخنا أبا عبد اللّٰه الصغير من وجه ، وساويت بعض شيوخه من وجه آخر ؛ وهذا موضوع خص بالتأليف ، وهو من أشرف موضوعات هذا الفن .

3 ـ (إنشاد الشريد ، من ضوال القصيد) ـ شرح على الشاطبية ، رتبه ترتيباً عجيباً ؛ جاء في مقدمته : (الحمد لله الذي من علينا بوراثة كتابه العزيز ، ووفقنا لإدمان تلاوته حتى برزنا في حفظه أي تبريز ؛ وبعد : فهذا (إنشاد الشريد ، من ضوال القصيد) ، رتبته أبدع ترتيب ، على ما يهواه اللبيب ، ويستجيده الأريب . .). عالج فيه الصعب الشرود من مسائله ، والبعيد المنال من قواعده وأحكامه ؛ واقتصر على القول الذي تدعمه الرواية ، وتثبته الحجة ؛ وكثيراً ما نجده يقول : وبهذا فقط قرأت على الأستاذ أبي عبد اللّٰه الصغير ، أو هو ضعيف لا أذكر أني قرأت به ؛ فإذا كانت هناك رواية لها وجه من النظر ، قال : وربما أقرنا بها أستاذنا الصغير في أحيان نشاطه .

وعلى الجملة ، فهذا الكتاب أكثره روايات عن شيوخه ، وبوجه خاص أستاذه الصغير .

ومن المصادر التي اعتمدها في هذا الشرح :

ـ التيسير لأبي عمرو الداني ، والدر النثير لشارحه أبي محمد المالقي ؛ ومن شراح الشاطبية : السخاوي ـ وهو أول شارح لها ، وأبو

عبد اللّه الفاسي ، وأبو شامة ، والجعبري ، وقد ناقش هذا الأخير في كثير من المسائل .

بيد أننا نجد أبا الحسن السفاقسي (ت 1118 هـ) - في (غيث النفع) - يقلل من أهمية هذا الكتاب ، ويرمي ابن غازي بالوهم والخطأ ؛ وهو انتقاد - وإن كان يحمل بعض الحقيقة - ففيه كثير من المبالغة ، وهو تحامل لا مبرر له ؛ وقد نبه على هذه المسائل التي ربما أخطأ فيها ابن غازي ، أو أخذ فيها بوجه ضعيف - وهي لا تتعدى رؤوس الأصابع - العالم المقرىء أبو عبد اللّه محمد بن مبارك السجلماسي (ت 1092 هـ) - في طرره على انشاد الشريد ، بأسلوب علمي نزيه ؛ وحتى إنه أخفى اسمه حسب النسخ التي بأيدينا - رفقاً بهذا الامام التي احتلت شهرته الصدارة في عالم القراءات .

ولولا هذه الاحالة فقط : (. . قلت في منظومتي :

في السيئات امنعن لا المنشئات لحذ
ف ألف ولياء فيه منفردا)

لما عرفنا من هو !

- ولو طبقنا قاعدة السفاقسي على كل من وهم أو أخطأ ، لنبذنا كثيراً من مؤلفات الأئمة ؛ فهذا الامام الداني يخطىء في كلمة « الشياطين » فيذكر في كتابه (المقنع) : أنها جمع مذكر سالم ، وصغار الطلبة يعرفون أنها جمع تكسير ؛ وهذا إمام الأئمة نافع الذي طبقت شهرته الآفاق ، واعتنق المغاربة مذهبه عن جدارة - منذ قرون وأجيال - يقرأ كلمة معايش (معائش) - على وزن صحائف ، ظناً منه أنها جمع معيشة - على وزن صحيفة ؛ مع أن الياء في معيشة أصلية - على وزن مفعلة ، والأمثلة في هذا كثير ؛

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

4 ـ (فواصل الممال) ، وتصحف في « الاتحاف » بفواصل المقال .

وهو رجز في فواصل الآي الممالة ، وله عليه شرح أدرجه في انشاد الشريد ؛ قال لدى قول الشاطبي : (وعند رؤوس الآي ترقيقها اعتلا) ـ : وقد كنت نظمت فيها رجزاً ، يرفع اللبس عن فواصلها ـ إن شاء اللّٰه تعالى ـ رأيت أن أثبته هنا باختصار ، وهو :

وهاك في فواصل الممال	كشف قناع الوهم والخبال
للمدنيين وللمكي	والشام والكوفي والبصري
مقرباً نظامه المقتاد	ما بعّد القيسي والمجراد

وابن غازي يفضل رجزه هذا على القصيدة البائية في الموضوع ـ لأبي عبد اللّٰه محمد بن سليمان القيسي (ت 810 هـ) ـ وقد سبقت ترجمته .

وكذلك على اللامية التي نظمها أبو عبد اللّٰه محمد بن عمران السلوي المعروف بابن المجراد (ت 778 هـ)، تقدم الحديث عنه ضمن الذي شرحوا ابن بري .

والفواصل جمع فاصلة : كلمة آخر الآية كقافية الشعر ، وقرينة السجع ؛ وفرق الداني بين الفواصل ورؤوس الآي ، فكل رؤوس الآي ـ عنده فواصل ، ولا عكس .

ووقعت رؤوس الآي في إحدى عشرة سورة ، نظمها أبو عبد اللّٰه التاملي (ت 1048 هـ) ـ في هذه الأبيات :

طه وسال والضحى الأعلى علق	والنجم والشمس وليل ذي غسق
وزد لها عبس والقيامه	والنازعات سل بها علامة
هي الفواصل التي تمال	ولا خلاف عندهم يقال

وللتاملي هذا : مختصر في فواصل الآي المواليـة لميم الجمع ، استقى فيه كثيراً من رجز ابن غازي وشرحه . وممن الفوا في الموضوع : أبو عبد الله الخروبي ، له أرجوزة في فواصل التنزيل .

5 ـ تفصيل عقد الدرر في طرق نافع العشر :

دونك عشر طرق لنافع	تنشر طي (الدرر اللوامع)
طريق الأزرق وعبد الصمد	عن ورشهم والأسدي بالسند
والمروزي وأحمد الحلواني	والقاض عن قالون ذي الإتقان
ثم عن اسحاق طريقة ابنه	ونجل سعدان امام فنه
وسند ابن فرح المفسر	ونجل عبدوس عن ابن جعفر
بينهما وبينه الدوري	ومن سوى ورشهم حرمي

والطرق إلى نافع كثيرة ، أنهاها بعضهم إلى مائتين وخمسين طريقاً (250) ؛ منها ثمان وستون لورش ، وست وسبعون لقالون ؛ والمشهور منها هذه العشر التي اقتصر عليها ابن غازي في أرجوزته :

- طريق أبي يعقوب يوسف الأزرق من رواية ورش ، وبدأ بها لأنها طريق أهل المغرب في مقرأ نافع ، تقدمت ترجمة الأزرق في حديثنا عن ابن بري والطرق التي اختارها في قراءة نافع :

- عبد الصمد بن عبد الرحمان بن القاسم العتقي ـ صاحب الامام مالك ، إمام مشهور ثقة ؛ قرأ على ورش عرضاً ، وله عنه نسخة ، (ت 230 هـ) .

- أبو بكر محمد بن عبد الرحمان الأصبهاني ـ مولى بني أسد ، كان إماماً في رواية ورش ، ضابطاً لها ، مشهوراً بالديانة والعدالة ؛ أخذ الناس عنه حتى صار أهل العراق لا يعرفون رواية ورش الا من طريقه ، فلذلك نسبت اليه دون ذكر أحد من شيوخه ؛ قرأ على أصحاب ورش ، وأصحاب أصحابه ؛ فهو يروى عنه بواسطة وبواسطتين ، (ت 296 هـ).

- أبو نشيط محمد بن هارون الربعي البغدادي ، وطريقته هي المشهورة عن قالون ، سبق الحديث عنه مع الأزرق .

- أبو الحسن أحمد بن يزيد الحلواني ، إمام في القراءات ، ضابط متقن ؛ روى عن قالون مشافهة ، ورحل اليه بالمدينة مرتين ، (ت 260 هـ).

- القاضي إسماعيل بن اسحاق الأزدي ، صاحب المبسوط ، ثقة مشهور ؛ أخذ عن قالون ، وله عنه نسخة ؛ صنف كتاباً في القراءات جمع فيه قراءة عشرين اماماً ، (ت 282 هـ) - ببغداد.

- أبو عبد اللّه محمد بن اسحاق المسيبي - بفتح الياء - مقرىء ، عالم مشهور ، ضابط ثقة ؛ أخذ عن والده ، وأخذ عنه روايته جماعة ، (ت 236 هـ).

- أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير الكوفي النحوي ، إمام كامل ؛ مؤلف (الجامع) أو (المفرد) ، وغيرهما ؛ له اختيارات لم يخالف فيها المشهور ، (ت 231 هـ).

أخذ عن اسحاق المسيبي السالف الذكر مشافهة ، والمسيبي هذا من رواة نافع ، (ت 206 هـ) .

- أبو جعفر أحمد بن فرح البغدادي المفسر ، إمام ثقة كبير ؛ أخذ عن اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير ، وهو من رواة نافع بواسطة الدوري ، (ت 301 هـ).

- أبو الزهراء عبد الرحمان بن عبدوس الهمداني البغدادي ، من جلة أهل الأداء وحذاقهم ؛ أخذ عن اسماعيل بن أبي كثير الآنف الذكر - بواسطة الدوري أيضاً ، (ت نحو 280 هـ) .

- وألف في الطرق العشر كثيرون ، سواء منهم القدامى والمحدثون ؛ ولعل أحسن ما كتب في هذا الباب : (التعريف) للإمام الحافظ أبي عمرو الداني ، وقد لخصه وأخذ زبدته ابن غازي في هذه الأرجوزة ؛ وأضاف الى ذلك إضافات ذات أهمية ، مما جعل هذا الفرع يفوق أصله ، وينال الشهرة الفائقة ؛ ضمن ابن غازي أرجوزته ، (تفصيل عقد الدرر) ،

مقدمة وستة أبواب ، فصل بها ـ كما يقول ـ درر ابن بري ونشر طيها :

سميتها لما جرت بفكري (تفصيل عقد درر ابن بري
في نشر طرق المدني العشر)

تحدث في المقدمة عن عهود ومصطلحات لمح اليها داخل الكتاب :

فالكل إن سكت فيما أطلقا
أو عم أو عزا له كاتفقا
وواحد من كل طرقه انفرد
ان خصه ولم أخالف ما اعتمد
وان عزا لواحد خلافاً
ولم تجد له مني انعطافا
فخصه بالمروزي والأزرق
سكت أو ذكرته أو من بقي
فإن فهمت وجه تفصيل الذهب
للدر فاعملن بمفهوم اللقب

وخص الباب الأول للتعوذ والبسملة ، واصطلاحه : أن يترجم بالباب ، أو الذكر ، أو القول ـ وهي كلها ألفاظ تؤدي معنى واحد ـ وهو الفصل بين مسائل وأخرى ـ في مواضيع مختلفة .

وتحدث في الباب الثاني عن أحكام ميم الجمع ، وهاء الضمير ، وجعلهما باباً واحداً ـ طلباً للاختصار .

وتكلم في الباب الثالث عن الممدود والمقصور والمتوسط .
وذكر في الباب الرابع مسائل الإظهار والادغام والفتح والممال ، وهي أبواب متعددة جمعها في باب واحد ، كما جمع في الباب الخامس أحكام الراءات واللامات ـ مفخمة ومرققة .

وعقد الباب السادس لفرش الحروف ـ وهي مسائل مختلفة ، جعلها

خاتمة الكتاب :

وهـأنـا بـعـون رب الـعـرش   أتبـع مـا أمليتـه بـالـفـرش

وقد نظم ابن غازي هذه الأرجوزة سنة (891 هـ) ، وأبياتها مائة وتسعة وأربعون بيتاً :

ثم لتسع بقيت في التاسع   من القرون ذا حباء واسع

ويرغب الرحمان في الجواز   محمد بن أحمد بن غازي

ويروى أنه لما أكملها دعا طلبته لسماعها بمدرسة الصفارين ، ففسرها لهم في يوم واحد ؛ ومن الذين رووها عنه : أبو الحسن علي بن عيسى الراشدي - وهو من أئمة هذا الفن ، أخذ عنه أبو زيد القصري وغيره ؛ قال : لما قرأت هذا الكتاب على مؤلفه - رحمه اللّه - وفرغ منه ، قلت له : ادع لي ؛ قال : أما العلم فقد حصلته ، ثم دعا له فقال : اللهم ثبتنا على الايمان حتى نلقاك . وكان لهذه المنظومة صداها البعيد - في الأوساط العلمية والثقافية ، وقد نوه بها كثيرون ؛ ولنورد هذه الأبيات لشيخ الجماعة بفاس : أبي علي الحسن الدرعي - منوهاً بها ، مغرياً على قراءتها :

أيا من تصدى للقراءة قاصداً
لتحصيل مذهب الامام أبي عمرو
على ما رواه العدل ورش لنافع
وقالون بعده واسحاق ذو السر
ومن بعد اسماعيلهم نجل جعفر
على ما رواه العشر عنهم بلا عسر
عليك بتفصيل ابن غاز فإنه
كفيل بها حقاً حقيقاً بلا نكر
فبين تبييناً وأوضح مشكلاً
وفسر مغلقاً وأبعد عن جور

وضـمـنـه ذكـر الـقـراءات كـلـهـا
سـوى أحـرف فيهـا أحـال على البـري
وزاد عـلى الـتـعـريـف نـشـر فـوائـد
جـزاه الالـه خـيـراً عـلى خـيـر

وقد شرحها جماعة ، منهم :

* أبو زيد عبد الرحمان بن محمد القصري ـ ويعرف بالخباز ، من أهل القرن العاشر ؛ وهو أول شارح لها ، ويحمل شرحه هذا عنوان : (بذل العلم والود ، في شرح تفصيل العقد) ؛ قال في مقدمته : (فاني لما قرأت كتاب الشيخ العالم العلامة قدوة عصره ، وفريد دهره ؛ الامام الحافظ المتقن ، شيخ شيوخنا أبو عبد اللّه محمد بن غازي ، الذي وضعه على طرق نافع العشر ، وسماه : (تفصيل عقد الدرر) ؛ وصورته على شيخنا الامام الحافظ المتقن الضابط ، أبي الحسن علي بن عيسى الراشدي ، وهو ممن رواه عن ناظمه مشافهة ؛ فقرأته عليه ثلاث مرات ، وأخذت في قراءة الطرق المتقدمة عليه ، ولم أر أحداً شرحه ، ولا تكلم عليه) .

* أبو الفضل مسعود بن محمد بن محمد بن جموع (ت 1119 هـ) ، سبقت ترجمته ضمن الذين كتبوا عن ابن بري ، والخراز ؛ وله عدة مؤلفات ، منها : شرحه لهذه المنظومة سماه (كفاية التحصيل ، في شرح التفصيل) ، وهو أوسع شرح لها ؛ أورد فيه ترجمة مسهبة لابن غازي ، وبسط القول في كل طريق من الطرق العشر ، وأحال على المصادر التي اعتمدها الناظم في هذا الرجز كالتعريف وغيره.

* ووضع أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبي القاسم الجزولي تأليفاً في الطرق العشر ، سماه (أنوار التعريف ، لذوي التفصيل والتعريف) جمع فيه بين تفصيل ابن غازي وتعريف الداني وقال إنه زاد زيادات ليست في التفصيل.

* أبو العباس أحمد بن ادريس الفاسي ، له شرح على (تفصيل عقد الدرر) .

* ومن الذين ألفوا في الموضوع ـ من أئمة هذا العصر : ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن يوسف النروالي ، الشيخ المقرىء ، والعالم الصوفي ، كان نحوياً عارفاً بالقراءات العشر وغيرها.

تتلمذ لأبي عبد الله الخروبي ، وأبي عمرو المراكشي وله صحبة مع الشيخ الشطيبي ؛ أخذ علم القراءات عن أبي سعيد عثمان بن عبد الواحد اللمطي المكناسي قبيلا ؛ قدم على فاس ، وكان له قدم في التصوف ؛ وتتلمذ له جماعة ، منهم : أبو العباس أحمد بن أبي المحاسن الفاسي ، رحل الى الشرق ، وله مطارحات مع الحطاب المالكي ، جاور بمكة وبها توفي.

له مؤلفات في القراءات وغيرها ، منها مختصر في الطرق العشر ؛ ينقل عنه ابن القاضي في شرحه على (الدرر اللوامع) ، وتوجد منه عدة نسخ .

6 ـ رسالة أجاب بها ابن غازي علماء تلمسان عن سؤال وجهوه اليه حول مراتب المد عند العشر ، وكيفية ترتيب ذلك عند الجمع ـ : أن الخطب في ذلك سهل ، ثم فصل القول فيه حسب القواعد المقررة عند أرباب العشر .

ويبدو أن هذه الرسالة ، هي غير الرسالة المعنونة بـ (المسائل الحسان ، المرفوعة الى حبر فاس والجزائر وتلمسان) .

ـ والآن فلننقل كلمة عن بقية تلاميذ هذه المدرسة ممن لهم انتاج ومساهمة في المكتبة القرآنية لهذا العهد ، ولنقتصر ـ كما هي عادتنا في هذه البحوث المقتضبة على أشهر المشاهير ؛ ومن بين هؤلاء :

* أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي الأندلسي ـ شهر بالدقون ، أخذ عن جملة من مشايخها ، فقرأ على أبي عبد الله الصغير بالسبع ثم أكمل على ابن غازي ؛ وسمع من أبي عبد الله المواق فهرسته ،

وتتلمذ له كثير من شيوخ هذا العصر ، كان عالماً أديباً ، ومحدثاً راوية ، ومقرئاً مجوداً ، تولى الخطابة بجامع القرويين ، وكان يحضر مجالسه الشيوخ المعممون.

له قصيدة مؤثرة يرثي فيها جزيرة الأندلس موطن أسلافه ، كتب الى أبي عبد اللّه شقرون يجيزه :

أجاز لك الدقون يا نجل سيدي
أبي جمعة والآل كل الذي روى
فحدث بما استدعيت فيه اجازة
وسلم على من خالف النفس والهوى

توفي سنة (921 هـ) .

له كتابات في موضوع القراءات ، من ذلك : قصيدة لامية ينقل عنها ابن القاضي في (علم النصرة) ، قال فيها :

وإن جاء حرف المد من قبل مدغم
فلابن العلا التشليث يروي أبو العلا
وظاهرها الاشباع مع قصر لينها
وليس لهم في اللين نص فيمثلا

* أبو عمران موسى الزواوي ، له كتابات في القراءات ، وتعاليق على الشاطبية .

* أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني - عرف بشقرون ، أصله من تلمسان ، قدم الى المغرب وتتلمذ لكثير من شيوخه ، أخذ عن ابن غازي ، ولما توفي رثاه بقصيدة مطولة كان لها صداها البعيد في الأوساط الثقافية ، وأجازه أبو العباس الدقون الآنف الذكر - في آخرين . وفد على السلطان بفاس فأكرمه ، وولاه الفتوى بمراكش وسائر أقطار المغرب ، فكان يتردد لنشر العلم بينها وبين فاس ، وأخذ عنه أعيانهما.

قال صاحب السلوة في حقه : (الأستاذ المقرىء المتكلم ، الحافظ الضابط ؛ علم الزمان ، وفارس المنافي وعروس الكراسي ؛ طلق اللسان ، منفسخ الصدر ، كثير المعرفة ؛ يحضر مجلسه الفقهاء والسلطان بنفسه ، وانتفع به العموم . .) ، توفي سنة (929 هـ) .

له مؤلفات ، منها :

- (جامع جوامع الاختصار والتبيان ، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان) .
- (تقييد على مورد الظمآن) ، ورد ذكره في فهرسة الخزانة التيمورية .
- قصيدة لامية في قراءة نافع ، ينقل عنها ابن القاضي في الفجر الساطع .
- « التقريب » في القراءات .
- أرجوزة أسماها « الدرة المضينة » .
- فهرسة جمع فيها مروياته .

* أبو محمد عبد الجبار الصحيني ، له منظومة في « تامننا » سبق الحديث عنه ضمن تلاميذ الصغير .

* أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الخباز القصري نسبة الى قصر كتامة بشمال المغرب (القصر الكبير) ، أخذ تعليمه الأولي ببلده ، ثم رجل الى فاس وأنهى بها دراسته ؛ والخباز - وإن لم يدرك ابن غازي - فهو من خريجي مدرسته ، أخذ عنه بواسطة ؛ تتلمذ لأبي الحسن علي بن عيسى - الراشدي ، وسمع عليه تفصيل عقد الدرر وهو أخذها بدوره عن ابن غازي مؤلفها - كما أشرت الى ذلك في حديثي عن شروح هذه المنظومة ؛ تولى أبو زيد الخباز الإقراء ببلده القصر الكبير ، وأخذ عنه جماعة من أبناء هذا البلد ؛ من بينهم : أبو المحاسن الفاسي ، جود عليه القرآن ، وحضر دروسه في الرسالة ، وألفية ابن مالك ، ولامية الأفعال ، وصغرى السنوسي ، وسواها.

كان الشيخ الخباز مقرئاً وفقيهاً مشاركاً ، توفي سنة (964 هـ) .

له شرح على تفصيل عقد الدرر في الطرق العشر - لابن غازي ،

سماه : (بذل العلم والود ، في شرح تفصيل العقد) ـ تحدثنا عنه سابقاً .

* أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المصمودي ، كان حياً سنة (897 هـ) ؛ لـه المنحة المحكيـة ، في القـراءة الـمكية ـ أرجـوزة في (311) بيتاً .

* أبو عبد الله محمد بن محمد الخزرجي ، له شرح على منظومة في مخارج الحروف .

* أبـو العباس أحمـد بن (المنجور د ت 995 هـ) لـه أجوبـة في القراءات ، فرغ منها أواسط جمادى الأولى عام (981 هـ) .

* ابراهيم بن محمد التازي ، له قصيدة لامية في القراءات .

الفصل الثالث

في قراء العصر السعدي ـ وآثارهم

لم تكن علوم القرآن في العصر السعدي أقل شأناً منها في العصر الوطاسي ، بل كانت أكثر اهتماماً لرجـالات هذا العصـر ؛ فهذا محمـد الشيخ ـ مؤسس الدولة السعدية ـ كان من قراء القرآن ، ومن أهـل العلم والدين ؛ عارفاً بالتفسير ، له كتابات في ذلك ؛ ومن أشياخه : أبو الحسن علي بن عثمان التاملي ، وأبو محمد المضغري ، وأبو عبد اللّه اليستثني ، أخذ عنه علوماً ، منها : التفسير ، قال المنجور : وكنت أنا قارئه بين يدي أمير المؤمنين .

وكان لولده أبي العباس المنصور إلمام بعلم القراءات ، وتفنن في التفسير ؛ له حواش على الزمخشري ، تتلمذ للفقيه الأستاذ أبي عبد اللّه الدرعي ، والفقيه القاضي سليمان بن ابراهيم ، والشيخ أبي عمران موسى ابن أحمد التدماوي ؛ وعن هذا الأخير أخذ ـ في صغره ـ مبادىء القراءات ، فلما وفد عليه بمراكش ، أجلسه إلى جانبـه ، وأجرى عليـه جرايـة طول حياته ؛ مما جعله يتفرغ للتعليم ، وتدريس علوم القرآن بوجه خاص .

مشيخة العصر :

* ومن كبار مشيخة هـذا العصر : أبـو عبد اللّه محمـد بن يوسف الترغي المستاري ـ نسبـة الى ترغـة احدى قـرى قبيلة بني زيات بجبـال غمارة ، على بعد نحو (65) كلم من تطوان ؛ والمستاريون أحد الفروع التي استـوطنتها ، وأصلهم فيمـا يبدو ـ من بني مستـارة ـ احدى القبـائل الجبلية المجاورة لوزان .

ولد أبو عبد اللّٰه الترغي بفاس ، ولعل والده أبا يعقوب هو الذي قدم اليها .

* وهو عالم مقرىء (ت 1000 هـ)، وربما كان له الفضل الأكبر في تكوين هذا الولد، وتحبيب علوم القرآن اليه؛ ثم انتقل أبو عبد اللّٰه الى مراكش ، وقضى بها جل حياته ، أخذ بفاس عن أبي النعيم رضوان الجنوي ، وأبي عبد اللّٰه الخروبي ، وأبي القاسم بن ابراهيم الدكالي ، وأبي الحسن علي بن عيسى الراشدي ، في آخرين.

كان أبو عبد اللّٰه الترغي أستاذاً مجوداً ، عارفاً بالمقارىء السبعة ، محققاً فيها ، مع المشاركة في غيرها من الفنون ؛ وهو مؤدب أولاد الملوك ، شدت الرحال للأخذ عنه ، وتزاحمت الركبان على بابه ؛ وعنه انتشرت القراءة بالمغرب بسائر طرقها ، توفي بفاس سنة (1009 هـ).

لم يشتغل أبو عبد اللّٰه بالتأليف ، وإنما تلاميذه كتبه ـ وهم كثير ؛ وقفت له على أجوبة في مسائل مختلفة في علم القراءات ، كتب اليه في ذلك ـ تلميذه أبو عبد اللّٰه محمد بن محمد المرابط ، وتتلخص أسئلته فيما يلي :

- الوقف على (عظيم) من قوله تعالى في قصة بلقيس : ﴿ **ولها عرش عظيم** ﴾ .
- هل تفخم الراء في قوله تعالى :﴿ **يستأخرون** ﴾ ؟ وكان جوابه : الثابت عن ورش الترقيق .
- هل ترقق الراء في (قل إن افتريته ـ فأغرينا ـ وجرين ـ لبشرين ـ البحرين) .

  فأجاب بأنها كلها مفخمة .
- هل ألف ـ أنا ـ من قوله تعالى : ﴿ **إن أنا إلا نذير** ﴾ ـ تثبت في النطق ، أم لا ؟ ـ وذكر في جوابه : أن القراء ، اختلفوا في ذلك . ـ وكان السؤال الأخير عن مخرج الضاد والظاء ؟

* ومن أشهر تلاميذ هذه المدرسة ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف

التاملي ، ولد بمراكش ـ وأصله من سوس ؛ اختص في علوم القرآن بأبي عبد اللّه الترغي ، وأخذ بفاس عن أبي علي الدراوي ، وأبي عبد اللّه الصغير المستغانمي ، وأبي العباس المقري ، وسواهم.

قال فيه صاحب أعلام مراكش : (الشيخ الأستاذ المجود الأديب ، معلم الملوك ؛ أحد الفقهاء المغاربة ، الممتطين سنام الفضل وغاربه ؛ عالم ماضي شبا السنان والقلم ، وعلم فضله أشهر من نار على علم ؛ له في الأدب يد تقصر عن ادراك غاية ، وباع تلقى راية البلاغة فكان عرابة تلك الرواية ؛ كان من المهرة في القراءات ، مشهوراً بالإتقان وجودة الضبط . .) .

كتب الى أستاذه المقري يستجيزه :

أموقظ جفن الدهر من بعد ما غفا
وباسط كف البذل من بعد ما كفا
ومحيي رسوم الأكرمين التي عفت
ومحيي معين الفضل من بعد ما جفا
أجزني بما قد قلته ورويته
ففضلك يا ذا الفضل قد حير الوصفا!

فأجابه المقري بقوله :

أمشكاة أنوار القراءة والأدا
وساحب أذيال الكمال على الأكفا
وحائز أشتات الفضائل اذ غدت
فما ضره في أذن مغربنا شنفا

الى أن يقول :

ولست بأهل أن أجاز فكيف أن
أجيز على أن الحقائق قد تخفى !

وكتب اليه فيما يتصل بعلم القراءة ـ بعدما رجع من فاس الى مراكش يقول : (. . ولا زائد على ما نعرفكم به ، سوى ما ألهم الله بفضله من

معاطاة كؤوس القراءة مع طلبة هذه الحضرة ، ولقد خرجوا للقائي متعطشين ـ على مرحلة من مراكش ، في جمع كثير أزيد من ثلاثمائة طالب ؛ وقد بدأت مع الطلبة بالمدرسة الغالبية ـ الشاطبية بعد العصر ، والكراريس ـ يعني الأمهات التي يبتدأ بها في الرسم والضبط ـ بعد العشاء ، ووقت التجويد من طلوع الشمس الى العصر.

والذي معي من الطلبة في الجمع الكبير ثمانية ، وفي العشر ستة ـ وهم في الازدياد ؛ وقد عزمت على جمع فهرسة أذكر فيها من لقيت من الأفاضل أمثالكم) . . .

وجرت بينه وبين شيخه المقري ـ وهو ببلاد المشرق مكاتبات ـ نظماً ونثراً ، أورد في النفح وفي فتح المتعال ـ طائفة منها ؛ وتتلمذ لأبي عبد اللّه التاملي ـ أكثر الشيوخ الذين سنتحدث عنهم بعد : أمثال أبي عبد اللّه الجزولي الحامدي ، وأبي فارس عبد العزيز الزياتي ، وأبي زيد ابن القاضي ، وأبي عبد اللّه الرحماني ، وغيرهم كثير ؛ توفي أبو عبد اللّه التاملي سنة (1048 هـ) .

وخلف في ميدان القراءات :

1 ـ قصيدة لامية في قراءة نافع ـ أشرنا إليها سابقاً .

2 ـ رسائل في الثبت والحذف .

3 ـ مختصر في فواصل الآي ، قال في مقدمته : (سألني من الأصحاب من لا يمكن إلا إسعافه، ولا يصح في حكم الوداد خلافه؛ ـ أن أجمع له فواصل الآي الدالة على الجمع التي يصلها الواسطي من طريق الحلواني ـ على مذهب المدني الأخير ـ الشيخ اسماعيل بن جعفر الأنصاري راوي نافع المدني . . فاختصرت ذلك على وجه يستحسنه الأديب ، ويستجيده اللبيب . .) .

4 ـ أبيات في رؤوس الآي التي تمال ، والسور التي وردت فيها .

5 ـ له استدراكات على تفصيل ابن غازي ، أورد طائفة منها تلميذه الجزولي في أنوار التعريف .

ـ وسبق أن ذكر في بعض رسائله ، أنه عازم على جمع فهرسة يذكر فيها أشياخه ، والأفاضل الذين لقيهم . .

ولا ندري هل حقق هذا العزم أم لا ؟

ولنذكر الآن بقية شيوخ هذه الفترة ممن عاصروا أبا عبد اللّه الترغي ، أو تتلمذوا له بواسطة أو بدون واسطة :

* ومن بين هؤلاء ـ وهو من خريجي مدرسة الامام الترغي . أبو العباس أحمد بن علي بن شعيب شهر بابن شعيب ـ نسبة الى جده .

هاجرت أسرته من الأندلس الى المغرب ، واستوطنوا فاسا ، وبها ولد أبو العباس ـ في حدود منتصف القرن العاشر الهجري ؛ أخذ عن والده علم القراءات ، وتتلمذ لأبي العباس الضرير ، وأبي علي الحسن بن محمد الدرعي ، والحسن الزياتي ، وسواهم من شيوخ فاس.

ثم رحل الى مراكش ، وأخذ عن إمام هذا الفن أبي عبد اللّه الترغي ، وهو لا يذكره دائماً إلا بالأستاذ المحقق ؛ وسنرى أنه من الشيوخ الذين اعتمدهم في كتابه (اتقان الصنعة).

وابن شعيب من القراء المبرزين ، حلاه بعضهم بالشيخ الأستاذ المجود الحافظ . . ومن تلاميذه : الشيخ المقرىء أبو عبد اللّه البوعناني (ت 1063 هـ) .

توفي أبو العباس سنة (1015 هـ) ، له منظومة في القراءات .

وأشهر مؤلفاته كتاب (اتقان الصنعة ، في التجويد للسبعة) ـ هكذا في النسخة التي بين أيدينا ، وفي بعض الفهارس . . في القراء السبعة ! وربما كان أنسبها : النسخ التي تحمل عنوان (اتقان الصنعة في التجويد والقراءة للسبعة) ؛ وقد جاء في مقدمته : (وبعد : فقد بان لي من النظر السديد ، والرأي الرشيد ـ أن أضع هذا التأليف في ضبط القراءة ، وأحكام التجويد ـ للائمة السبعة ؛ فوضعته مختصراً ، تقريباً لحصول النفع به . .).

ورتبه على طريقة الشاطبية والتيسير ، فبعد أن تحدث عن التعوذ والبسملة ، وحرر القول في مراتب المد ؛ أورد أهم مسائل القراءة

والتجويد ـ مرتبة حسب السور.

ومن المصادر التي اعتمدها : التيسير وشارحه ، وقصيدة الحصري في القراءات ، والشاطبية وشراحها :

السخاوي ، الفاسي ، الجعبري ، ابن آجروم ، ابن غازي في انشاد الشريد ، وتفصيل العقد ؛ وربما أورد في معرض الاستشهاد ـ أبا عبد اللّه القيجاطي ، وأبا عمران الزواوي ، وأبا الفضل ابن المجراد ، وأبا العباس الدقون ، وأبا عبد اللّه بن مجبر . . .

وتبدو شخصية ابن شعيب واضحة في أبحاثه ومناقشاته ، فهو لم يعتمد فقط على النقل ، بل ناقش وانتقد كثيراً أبا القاسم الشاطبي في حرزه ، وابن غازي في انشاده ، والجعبري في أبحاثه واستظهاراته . .

وأصلح عدة أبيات من الشاطبية جاءت غامضة متكلفة ، أو لم تستوف شروط القاعدة ؛ وكثيراً ما نراه يقول : وبهذا قرأت ، أو به فقط ، أو بالوجهين مع تصدير كذا . .

ومن الشيوخ الذين اعتمدهم في رواية هذا الكتاب : أبو عبد اللّه الترغي ، وأبو العباس الضرير ، وأبو علي الدرعي .

ويذكر في مجال الخلاف بين قراء العصر : أن الكلمة النهائية ، كانت دائماً للشيخ الامام أبي عبد اللّه الترغي، وشيوخ فاس أنفسهم يستفتونه في ذلك ؛ مما يؤيد ما ذهبنا إليه من أنه أمام مدرسة، وشيخ القراء في عصره.

ومهما يكن ، فالكتاب حسن في بابه ، مركز في أسلوبه ، محرر في مسائله؛ لم يذكر من وجوه الخلاف إلا ما اعتمده الأئمة ، وزكاه شيوخه بقراءته عليهم وسماعه منهم ؛ فكان ـ بحق ـ (إتقان الصنعة . .) .

* أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي ـ نسبة الى بني زيات ، احدى قبائل غمارة ، وأصله من بني عبد الوادي من تلمسان ؛ ويعرفون ـ الى الآن ـ بأولاد مهدي ، وهم أهل علم وفضل.

ولـد أبو الـطيب سنة (964 هـ)، في قـريتـه الصغيـرة بني جـلا (مخلدت) ؛ وبعد أن حفظ القرآن ، وأتقن تجويده ، وربما تعلم شيئاً من العـربية ومـا كان ضرورياً من علوم الـدين ؛ رحل الى فاس ، وأخذ عن مشيخة ذلك العصر ؛ فقرأ على أخويه : أبي العبـاس ، وأبي عبد اللّه ؛ وعمدته في القراءات : الشيخ أبو العباس أحمد ابن قاسم القدومي ؛ وكان أبو الطيب عالماً فاضلاً ، مقـرئاً ، نحـوياً ؛ تتلمـذ له ابن شعيب الآنف الذكر ـ على جلالة قدره ، ولازم حضور مجالسه في الشاطبية والبـرية ؛ وكانت له آراء جريئة ، وبحوث عالية في هذا الميدان انفرد بها عمن سواه من أقران عصره ، توفي سنة (1032 هـ).

له كتابات في القراءات ، منها حاشية على شرح الضبط للتنسي ، تحدثنا عنها سابقاً .

* أبو القاسم بن محمد السوسي ، رحـل الى المشرق ، وحـدث بالجامع الأموي بدمشق ؛ وكانت له غيرة صارمة على الدين ، مهاباً لدى الحكام ، مرجوعاً إليه للمشورة ، له اليد الطولى في علم القراءات ، توفي سنة (1038 هـ) .

وضع شرحاً على الشاطبية ، وآخر على النشر .

*** أبو محمد عبد الواحد بن عاشر (ت 1040هـ)، من أئمة القراءات في هذا العصر، تحدثنا عنه وعن مؤلفاته ضمن الذين كتبوا عن الخراز.**

* أبو محمد عبد الله بن طاهر الشريف (ت 1040 هـ)، له (الدر الأزهر ، في مناسبات الآي والسور) .

* أبـو الحسن علي بن عبـد الـواحـد الأنصـاري السجلمـاسي (ت 1054 هـ)، ألف كثيراً في مختلف العلوم والفنون ، له شرح على ابن بري ، وتفسير للقرآن الكريم ، وله أنظام في السيرة ، ومصطلح الحديث ، والتصريف ، والبيان.

* محمد بن عمر التنملي ، له أرجوزة في قراءة ورش .

ـ تحفة الأليف في القراءات .

* أبو فارس عبد العزيز بن الشيخ الحسن الزياتي الآنف الذكر ، تتلمذ لخاله أبي حامد الفاسي ، وقرأ بمراكش على الشيخ المقرىء أبي عبد اللّٰه محمد بن يوسف التاملي الذي هو قيدوم مدرسة الإمام الترغي ، وخليفته في عاصمة الجنوب ـ كما أشرنا الى ذلك سابقاً .

ثم رحل أبو فارس إلى المشرق، وأخذ علوم القرآن عن الشيخ سلطان المزاح وغيره ، واستقر أخيراً في تطوان وبها توفي في طاعون سنة (1055 هـ) له :

1 ـ (نفائس الحلى ، في قراءة ابن العلا) ـ تأليف في قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري .
2 ـ أرجوزة في القراءات ـ وذكر له في الصفوة مؤلفاً في الموضوع .
3 ـ وتوجد بأيدي الناس بعض أجوبته في القراءات ، وكأنه أراد أن يجعل لهذا الفن نوازل كنوازل الفقه ، وهو مختص في هذا الميدان ، يدل على ذلك كتابه (الجواهر المختارة ، في نوازل غمارة) .

وربما كان أبو فارس هو أول من فتح هذا الباب أمام القراء ، فكثرت أجوبتهم ، وتعددت في ذلك مؤلفاتهم .

* أبو علي الحسن بن محمد بن عبد اللّٰه بن مسعود الدراوي المعروف بالهداجي ، (ت 1006 هـ). من آثاره : منظومة في القراءات ، وله عليها شرح .

* أبو عبد اللّٰه محمد بن أحمد بن أبي القاسم الجزولي الحامدي ، من أهل القرن الحادي عشر الهجري ، تتلمذ لعبد الواحد بن عاشر وغيره ؛ له كتاب «أنوار التعريف، لذوي التفصيل والتصريف»، وهو مختصر في الطرق العشرية ؛ فرغ منه عام (1026 هـ) ـ بالمدرسة العنانية بفاس ـ مر الحديث عنه ضمن الذين كتبوا عن تفصيل عقد الدرر لابن غازي .

* عبد الكريم، له أرجوزة في حكم الهمز في الإبدال وشرح ما فيه من الإشكال ـ في (102 بيتاً) ، وقد لخص فيها تأليفاً لأبي عمرو الداني في الموضوع ، ولا نعرف شيئاً عن حياته .

الفصل الرابع

في قراء العصر العلوي
وهم من الكثرة بمكان

ويمكن تقسيمهم الى ثلاث مدارس :

- مدرسة ابن القاضي (ت 1082 هـ) .

- مدرسة أبي العلا المنجرة (ت 1137 هـ) .

- مدرسة ابن عبد السلام الفاسي (ت 1214 هـ) .

1 ـ أبو زيد ابن القاضي :

وإذا انتقلنا الى العصر العلوي ، فإن أول ما يطالعنا مدرسة ابن القاضي ؛ وهو أبو زيد عبد الرحمان بن أبي القاسم المعروف بابن القاضي ، أصله من مكناسة ، انتقل أسلافه الى فاس ؛ وهو من رهط أبي العباس صاحب الجذوة والدرة ، وهم بيت عم وفضل ؛ يتصل نسبهم - بالقاضي المكناسي صاحب المجالس ، ولعل منه جاءهم هذا اللقب (ابن القاضي) ، ويعرفون ـ قديماً ـ بأولاد ابن العافية نسبة الى ابن أبي العافية الأمير الشهير.

ولد أبو زيد بفاس سنة (999 هـ)، وربي في حجر أبي المحاسن الفاسي ، ونشأ نشأة عفاف وصلاح ؛ حبب اليه تلاوة القرآن ، وفتح عليه في علومه وحروفه.

أخذ عن والده ـ وهو امام في العربية ، مقرىء حافظ للروايات ؛ ودرس أبو زيد علوم الحديث على الشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي ، وحضر له مجالس عدة ؛ وتخصص في علم القراءات على الشيخ

الامام أبي عبد الله محمد بن يوسف التاملي الآنف الذكر ، وأجازه في كل ما رواه عن شيوخه ؛ وأخذ عن شيوخ آخرين ، وأكثر رواياته تتصل بابن غازي ؛ ومن بين هؤلاء الشيوخ :

- أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الواحد السجلماسي ، عن شيخه المري ، عن أبي القاسم بن ابراهيم الدكالي ، عن ابن غازي .
- أبو محمد عبد الهادي بن عبد الله بن طاهر ، عن أبيه ، عن الحسن الدراوي ، عن عبد الله من لا يخاف ، عن ابن غازي .
- أبو العباس أحمد العرائشي ، عن الحسن الدراوي ، عن المنجور ، عن ابن غازي .
- ومن شيوخه في هذا الفن - وقد اعتمده كثيراً في كتبه - أبو محمد عبد الواحد بن عاشر السابق الذكر .

كان أبو زيد إمام عصره في القراءات ، عارفاً بتوجيهاتها ؛ حافظاً لمذاهب أئمتها ، بلغ رتبة الاختيار والترجيح فيها ؛ قال فيه صاحب الصفوة : وهو ممن أدرك أيام ازدهارها (القراءات) ، فلا تجد أستاذاً بالمغرب إلا وقد روى عنه أو عن تلامذته.

وقال صاحب السلوة في حقه : إمام القراء وشيخ المغرب الشهير ، وأستاذ الأساتيذ - ؛ كان شيخاً حافظاً ، وحجة محققاً لافظاً ؛ مجوداً إماماً ، وبركة هماماً ؛ شيخ الجماعة في الإقراء بوقته ، ومفرداً في تحقيق القراءات ووحيد نعته ؛ زواراً للصالحين ، بحاثاً عن مآثرهم . . إلى ما كان عليه من الدين المتين ، والورع المبين ؛ وصدق اللهجة ، ولين الجانب للخاص والعام .

وكان ينشد في طلبة وقته :

ولعب الشيطان بالقراء　　　كلعب الصبيان بالجوزاء

توفي صبيحة الأربعاء ثاني عشر رمضان عام اثنين وثمانين وألف (1082 هـ) ، ودفن بروضة أبي الحسن الصنهاجي .

قال في الصفوة : وكانت جنازته من المشاهد التي لم ير مثلها منذ أزمان ، وقد رثاه أبو علي اليوسي بقصيدة مطولة .

خلف أبو زيد تراثاً قيماً في علم القراءات ، وقلما تخلو مكتبة ـ في الشرق أو الغرب من مؤلفاته ؛ فهو لم يترك جانباً من جوانب هذا الفن الا وألف فيه ـ نظماً ونثراً ، ولذا يجوز لنا أن نسميه بداني المغرب لحفظه واتقانه ، ووفرة انتاجه ، وهذه مؤلفاته تشهد بذلك ، وها نحن نورد ما وصلت اليه أيدينا منها ، ونقدمها للقارىء ـ حسب أهميتها ـ في نظرنا :

1 ـ (الفجر الساطع ، والضياء اللامع ، في شرح الدرر اللوامع) .

سبق ذكره ضمن شروح ابن بري ، ولا بد أن نقف ـ هنا ـ وقفة لنتحدث عنه بشيء من التفصيل ؛ فالفجر الساطع أوسع شروح منظومة ابن بري في مقرأ نافع ، وأوفاها بمقاصد هذا الفن ؛ ولا نبالغ إذا قلنا إنه أكبر موسوعة في قراءة نافع ، فالكتاب لم يترك شاذة ولا فاذة الا أحصاها ، حتى إنك لو أردت ـ فقط ـ أن تصنف المصادر التي عاد اليها ، لهالك الأمر ؛ فالرجل حافظ واعية ، قدر له أن يطلع على المكتبتين : الأندلسية والمغربية ، ويحيط علماً بكل ما فيهما ؛ ثم ينخل كل ذلك ، فيخرج الى الناس بهذا الشرح العجيب ، النادر الغريب ؛ الى جانب ما لابن القاضي من تحقيق ، وادراك لدقائق الأمور في هذا الباب .

وله وقفات مع الداني والشاطبي وابن بري وسواهم ، يخطىء هذا ، ويصوب ذاك ؛ وربما قال لهم : أخطأتم جميعاً ـ والحجة هذه ـ وسبحان من لا يضل ولا ينسى !

ومهما يكن ، فابن القاضي أدرك مرتبة لا تسامى في هذا الشأن ، وحلق في أجواء وقف دونها معاصروه وكل من جاءوا بعده ؛ وهو معتز بعلمه ، واثق بحجته ؛ يردد كثيراً هذه الحكمة : اعرف الرجال بالحق ، ولا تعرف الحق بالرجال .

ومن مصادره التي اعتمدها في هذا الكتاب : شرح المنتوري على

ابن بري ، وقد تتبع المراجع التي عاد اليها هذا الشارح فألفاها تربو على المائة وسبعين ديواناً ـ ما بين تفسير وحديث وعربيـة ، ومؤلفات في علم القراءات .

طريقة أبي زيد في هذا الكتاب :

وطريقة أبي زيد في الفجر الساطع :

- أن يذكر الألفاظ التي اختلف الرواة فيها ، أو على الأصح تلاميذ الشيخ ، فكل روى حسبما سمع ، وقد تختلف وجهة نظر المؤلف فيها ؛ ولذا يختار أبو زيد آخر ما سمع منها ، فيؤثر رواية البلفيقي ـ وهو آخر رواة ابن بري ؛ وربما اعتمد ما عنده من نسخ وصلت اليه بخط يد المؤلف .

- ثم يورد أقوال الشراح ، وآراء الأئمة في كل مسألة ، وهنا تبرز براعة ابن القاضي وسعة أفقه ؛ فيذكر ما بينها من وفاق أو خلاف ، ويبين وجهة نظر كل ؛ ثم يذكر رأيه في الموضوع ، أو ما سمعـه من شيوخـه في ذلك ؛ فيقول : قلت هو المعمول به عندنا في أرض المغرب ، أو هو الذي نأخذ به أو يترجح لنا . . والحجة في ذلك كذا . .

- وينتهي من كل بيت بإعرابه ، فإذا اختلف الشراح في وجه من الوجوه ، أورد مذاهب النحاة ، وحرر القول في ذلك ، مما يدل على طول باعه في هذا الميدان .

- والفجـر السـاطـع من أول مؤلفـات ابن القـاضي ، فـرغ منـه عـام (1041 هـ) ؛ وقد قضى في تأليفه هذا زمناً ليس بالقصير ، وعانى في البحث والتنقيب ما عانى ؛ وعاد الى عشرات المراجع ، فكان الكتاب الجامع المانع في هذا الباب .

وعلى الجملة فهو من ذخائر المغرب ، ومن تراثنا الذي نعتز به في خدمة القرآن ، فما أحراه بالنشر والتحقيق العلمي !

2 ـ « بيـان الخلاف والتشهيـر ، وما وقـع في الحرز من الـزيـادات على

التيسير » ، هو بحث طريف في ميدان آخر وهو خصومات القراء على نطاق أوسع ـ أعني لا في مقرأ نافع وحسب ، بل في القراءات السبع كلها .

والكتاب صغير الحجم، لكنه كثير العلم؛ جعله ميزاناً لآراء العلماء ، وأقوال المؤلفين التي تكاثرت وتضاخمت على أرباب هذا الفن ، فلم يدروا ما يأخذون منها وما يذرون به ؛ وقد نخلها ، واختار منها ما اختار ؛ وعمدته في ذلك ما سمعه من شيوخه ، أو ما قيده عن الثقات ؛ وقد ابتدأه بقوله :

(أما بعد حمد اللّه يؤتي من يشاء ما شاء من حكمته ، ويوفق من أراد لحمل كتابه العزيز وخدمته ، منًّا منه تعالى وإسباغاً لنعمته . . فإني صنفت كتابي هذا المسمى « بيان الخلاف والتشهير ، وما وقع في الحرز من الزيادات على التيسير» ـ ما رويته من ذلك على مشيختي القدوة ، وقيدته عن الأئمة الصفوة . .) .

فهو يدور كما ترى على محورين أساسيين ، هما :

أ ـ زيادات الشاطبية على التيسير .

ب ـ خلافات القراء وبيان الراجح والمشهور منها .

منهجه :

وقد عالج مسائل القراءات حسب السور على طريقة التيسير والشاطبية ، فابتدأ بالتعوذ ، ثم البسملة وفاتحة الكتاب ،ثم سورة البقرة ، فآل عمران الخ .

ـ يعرض المسائل التي اختلف القراء فيها ، فبعد أن يذكر وجوه القراءات ، وينسب كل وجه فيها لامام من الأئمة السبعة ؛ يردف ذلك بروايات تلاميذهم ، وما أخذ به منها وما لم يؤخذ ؛ فإذا به أمام حشد كبير من الآراء ، فيحاول التوفيق بينها ؛ فإذا لم يجد إلى ذلك سبيلاً ، وضع

ميزانه ، فما رجحت به الحجة عمل بـه وأعطاه لقب الراجح ، أو المشهور ، ورفض ما سوى ذلك بالمرة.

ونجد أكثر الخصومات بين الأندلسيين أنفسهم ، أو بينهم وبين المغاربة ؛ لكننا نرى ابن القاضي ـ وهو بطبيعة الحال ـ عادل في حكومته ، لا يتسرب الشك الى نزاهته ؛ يلجأ كثيراً ـ الى الحكم بالعمل ، فترجح كفة المغاربة في كثير من الأحيان ؛ وربما كان في ذلك حيف على الأندلسيين ، فلكل قوم عملهم ـ وهنا يبدو الصراع بين المدرستين ، وتبرز شخصية المدرسة المغربية واضحة المعالم ـ وكأنها انفصلت تماماً عن أختها الأندلسية ؛ ولعل للظروف التي عاشها أثراً في ذلك ، وربما رأى ابن القاضي ـ وهو الفقيه الورع ـ أن يخضع قوانين القراءات لقواعد الفقه ؛ فالمعمول به ـ مقدم وإن كان ضعيفاً ـ على الراجح والمشهور :

وما به العمل غير مشهور مقدم في الأخذ غير مهجور

على أن ابن القاضي لا يقول بالعمل الذي لا مستند له ، فهو يهاجم المغاربة ويعنفهم أشد ما يكون العنف عندما أخطأوا السبيل ؛ فلنستمع اليه ـ وهو يتحدث عن الإمالة المحضة وغير المحضة ـ فيقول : (فليحذر القارىء كل الحذر مما جرى به العمل في أرض المغرب عند المتصدرين ـ قاطبة : من تسكين الحرف الممال ، وزيادة ياء بعده ؛ وقد أجمعت الأمة ـ كما يقول ـ على أن هذا خطأ فاحش ، لم نقرأ به ، ولم يقل به أحد ألبتة ؛ ويخاف على من تعمد ذلك ـ دخوله في قول عياض في الشفاء ـ فافهم ، لأنه غيَّر وزاد ، فواجب على كل قارىء ـ معلم ومتعلم ـ أن يحترس من ذلك ، ويتحفظ جهده ؛ ولا يغتر بالعمل ، فقد ذهب أهل التحقيق وبقي الهمل . .).

وفي أثناء ذلك أعني عند دراسة كل مسألة من المسائل المختلف فيها ـ طبعاً ، يذكر ما زاده الشاطبي في حرز الأماني ـ على تيسير الداني ، وقد أحصى هذه الزيادات وعدها عدا ؛ مما يدل على سيطرته على مسائل

هذا الفن ، ومعرفته لصغيرها وكبيرها ، وحتى الشواذ منها ؛ وقد جمع بين الرواية والدراية ـ وهي ميزة لا تتوفر لكثير من أئمة هذا الشأن ، ولا سيما في العصور المتأخرة .

وقد ألف ابن القاضي هذا الكتاب بعدوة الأندلس في فاس سنة (1048 هـ) ، ومصادره تكاد تكون هي نفس مصادر صنوه « الفجر الساطع » الآنف الذكر ، وكأن هذا خلاصة ذاك ؛ وسنرى أنه قام بنفس العمل في فن الرسم ، وربما في نفس التاريخ ؛ فوضع كتاباً جمع فيه زيادات أغفلتها الدواوين المشهورة في هذا الفن :

3 ـ (بيان الخلاف والتشهير والاستحسان ، وما أغفله مورد الظمآن ، وما سكت عنه التنزيل ذو البرهان ، وما جرى بُه العمل من خلافيات الرسم في القرآن ، وما خالف العمل النص فخذ بيانه بأوضح بيان » .

هذا عنوان طويل لمؤلف صغير ، لا يتعدى حجمه ثلاث عشرة صفحة من القطع الوسط ؛ ولكنه ذو قيمة كبرى بالنسبة لموضوعه ، وما حرره فيه مؤلفه من مسائل اختلف الناس فيها قديماً وحديثاً ؛ وكأنه أراد بهذا العنوان العريض أن يبرز النقط الرئيسية من موضوع الكتاب ، وهي طريقة يستعملها ـ الى اليوم ـ كثير من الباحثين ـ اعطاء للقارىء صورة مختصرة عن موضوع البحث ، وربما كان ذلك حافزاً له على قراءته .

ومهما يكن ، فالكتاب فريد في بابه ، جمع فيه مؤلفه كل المسائل الخلافية في فن الرسم ، وما شهره الأئمة وما استحسنوه ، وما جرى به عمل القراء في المغرب والأندلس ؛ وربما اصطدم عمل الناس مع النص ، فوجب نبذه بالعراء ؛ وقد استدرك خلافات أغفلها المختصون في هذا الشأن : أمثال ابن نجاح في التنزيل ، والبلنسي في المنصف ، والخراز في مورد الظمآن ، وسواهم ؛ فأكمل ما نقصوا ، وأزال الحيرة عن القارىء الذي كان يرتطم بهذه الخلافات ، فلا يدري ما يدع منها وما يأخذ ؟ ورجع الى عشرات المصادر في هذا الفن ، وأحاط بالصغيرة والكبيرة فيه ـ على

عادته في كل فن تناوله بالدرس والتحليل ، فاستخلص من بين فرث ودم - لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

قال في مقدمته : (اعلم - رحمنا الله واياك - أن متابعة مرسوم الامام ، أمر واجب محتم على الأنام ، كما نص عليه الأئمة الأعلام ؛ فمن حاد عنه فقد خالف الاجماع ، ومن خالفه فحكمه معلوم في الشرع بلا نزاع ؛ فلا فائدة في الطول والإكثار ، بل قصدنا غاية الاختصار . .) . ثم أورد طائفة من النصوص تدل صراحة على حرمة مخالفة مرسوم المصحف ، وانتقد رأي المخالفين ، وأبطل تعليلاتهم ، وكل شبهة لديهم ؛ وقد اعتمد في ذلك ما أورده عياض في (الشفا) ، والونشريسي في (جامع المعيار) ، وابن الحاج في (المدخل) ، والسيوطي في (الاتقان) ، واللبيب في (شرح العقيلة) ، والخراز في (عمدة البيان) ، الى غير ذلك .

طـــريقته :

وطريقته : أنه يذكر الكلمات القرآنية التي اختلف القراء في رسمها ، ويبين وجهة نظر كل رأي فيها ؛ ثم يذكر الراجح والمشهور فيها ، أو ما به عمل القراء في بلدته فاس أو المغرب عموماً ؛ فإن كان هناك عمل لم يعضده نص ، يقول لك : اضرب به عرض الحائط :

فخير أمور الناس ما كان سنة ... وشر الأمور المحدثات البدائع

وقد نظم كل مسألة تشعبت آراء القراء فيها ، واضطربت مذاهبهم لديها :

والجمع بين المط والإدخال ... هو الصحيح - قل - من الأقوال
حجته الإشباع عند الناس ... به جرى الأخذ بلا التباس
ومن يقل بترك جعل المط ... يلزمه القصر فلذ بالقسط
والنص معدوم لمن تقدما ... علته قصر كما قد علما

ويقول في موضوع العقص والوقص :

إن قلبت أو حركت قل مطلقا
ولو بعارض فوقص حققا
كذا جرى العمل عند الناس
بفاسنا الغرا بلا التباس

وفي حديثه عن مسائل خالف العمل فيها النص يقول :

(. . إن العمل بفاس في « يحيي الله » وبابه ـ بإلحاق الياء ، والمختار خلافه ؛ لأن الضبط مبني على الأصل ، لقوله : إن لم يكن همز ولا سكون . قال التنسي في الطراز ـ : لا تلحق الياء لإجماعهم ؛ لأن النقط مبني على الأصل ، ولا يلتفت الى من زعم أنه يلحق ، اذ لم يقل به أحد من أئمة القدماء) .

وزاد ابن القاضي يقول : (غلام) جرى العمل في المغرب بإثباته ، والحق خلافه ؛ لأن الداني صرح بحذفه ، ولا كلام لغيره .

وفي أثناء كل ذلك يذكر ما أغفله الخراز في مورد الظمآن من خلافات القراء ، ويحيل على المصادر التي وردت فيها ، وكذلك ما سكت عنه أبو داود في التنزيل ؛ وقد تعجب ـ وابن نجاح هو الحجة الامام في هذا الباب ـ : كيف أغفل كثيراً من مسائل هذا الفن ـ وكم ترك الأول للآخر ؟

ثم ذيل الكتاب بنظم ضمنه زوائد وفوائد جاءت متنافرة في غضون الكتاب .

4 ـ « علم النصرة في تحقيق قراءة إمام البصرة » ، ومعلوم أن إمام البصرة هو أبو عمرو بن العلاء البصري أحد البدور السبعة .

وهذا لون آخر من دراسات ابن القاضي نحا فيه منحى التخصص ، فتناول كل امام من الأئمة السبعة فدرسه على حدة ، واستوعب مذهبه وقواعده ، وإذا كان قدم لنا في الكتابين السالفي الذكر ـ دراسات مستفيضة على مستوى القراء السبعة ـ في القراءات والرسم ، وكان قبل أعطانا في

كتابه « الفجر الساطع » ـ صورة واضحة عن مقرأ نافع ، ودراسات شاملة في سائر طرقه . . . وقلما أبقى زاوية لم ينرها ، ولم يسلط عليها أضواء فجره ؛ فهو قد خصص هذا الكتاب : (علم النصرة) لدراسة إمام آخر له مقامه المرموق في عالم القراءات ، ذلك هو أبو عمرو زبـان بن عمار التميمي المازني البصري ، (ت 154 هـ) .

قال الأصمعي في حقه : لم أر بعد ابن العلاء أعلم منه ، كان أعرف الناس بالقرآن والعربية ، مع الصدق والثقة والزهد ؛ مر به الحسن ـ وحلقته متوافرة ، والناس عكوف عليه ؛ فقال : من هـذا ؟ قالـوا : أبو عمـرو ، فقال : لا اله الا الله ، كادت العلماء أن تكون أرباباً ، كل عز لم يؤكد بعلم ، فإلى ذل يؤول ! .

ويروى عنه أنه قال : (لقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ، ما قدر الأعمش على حملها ؛ ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرىء ، لقرأت كذا وكذا ـ فذكر حروفاً ـ وقال : ما قرأت حرفاً بغير أثر) .

وقد عمت قراءته أكثر بلاد المشرق ، فصارت ـ كما تنبأ لها شعبة ـ إسناداً للناس ؛ ولما توفي ، جـاء يونس بن حبيب ليعـزي أولاده فقال : نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبهاً له ـ آخر الزمان ، والله لو قسم علم أبي عمرو وزهده على مائة انسان ، لكانوا كلهم علماء زهاداً .

وقد أورد له ابن القاضي ترجمة حافلة ، اقتبسنا منها هذه الفقرات .

ورواة أبي عمرو أحد عشر رجلاً ، والرواية المشهورة بالمغرب ـ كما يقـول ابن القاضي ـ هي روايـة اليـزيـدي : يحيى بن المبـارك العـدوي (ت 202 هـ) ، قـرأ على البصـري وصـدر عنـه بعلم كثيـر وهـو أمثـل أصحابه ؛ والطرق عنه تسعة ، أشهرها طريقان :

1 ـ طريق الدوري أبي عمرو بن عبد العزيز بن أصبهان الأزدي ، توفي في حدود (250 هـ) .

2 ـ طريق السوسي صالح بن زياد بن عبد اللّه الرستي ، والسوسي نسبة الى

سوس موضع بالأهواز ، (ت 261 هـ) ؛ وقد صدر ابن القاضي هذا الكتاب باسناده الى أبي عمرو ، وأورد السند السابق الى ابن غازي عن شيخه الصغير ، عن أبي العباس الفيلالي ، عن النجار ، عن الزواوي ، عن ابن الزبير ، عن العطار ، عن أبي حسنون ، عن ابن بقي ، عن العرجاء ، عن الطبري بن نفيس ، عن السامري ، عن الباهلي ، عن الدوري ، عن اليزيدي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن رسول الله ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ وهذه طريق الدوري .

أما طريق السوسي ، فيرويها بالسند المتقدم الى ابن نفيس ، عن السامري ، عن ابن جرير ، عن السوسي ، عن اليزيدي ، عن أبي عمرو .

ولم يقتصر ابن القاضي في هذا الكتاب على القراءة فقط ، بل ذكر كثيراً من مسائل الرسم والضبط والتجويد على مذهب أبي عمرو .

والمؤلف حريص كل الحرص ـ على أن يذكر في كل رواية من المقدم من الراويين : الدوري والسوسي ، ولا ينسى أن يذكر ما هناك من خلاف بين الأندلسيين والمغاربة ، كما هو شأنهم في مقرأ نافع ؛ فهؤلاء يقدمون ورشاً ، وأولئك يقدمون قالون ؛ فيذكر ـ هنا مثلاً ـ أنه شاع الأخذ بالمغرب بتخصيص السوسي بالإبدال ، والدوري بالتحقيق ؛ كما أنه إذا اجتمع المثلان أو المتقاربان مع البدل ، فقد يقدم السوسي ، ويؤخر الدوري ؛ ويذكر المؤلف في معرض حديثه عن الإمالة والفتح في « أبصارهم » ـ عند الراويين ـ أنه ورد سؤال من القسطنطينية الى مدينة فاس يقول : هل الفتح والامامة لكل من الدوري والسوسي ، أو الفتح للسوسي والوجهان للدوري . . ؟ فوقع الجواب : أن الفتح والإمالة لكل من الدوري والسوسي ـ كما هو ظاهر الشاطبية أو نصها ؛ ولكن ابن القاضي لم يرتض هذا الجواب وبين وجوه الاختلال فيه بما لا مزيد عليه .

وحاول أبو زيد أن يذكر لكل مسألة قاعدتها المطردة ، حتى يكون القارىء على بينة من أمره ؛ وقد عاد الى مصادر عدة ـ ولم يقف عند السرد والنقل ، بل تعدى ذلك الى التمحيص والتحقيق ؛ فنجده مثلاً يناقش الجعبري ـ وهو الإمام الحجة ـ حين يقول في كتابه (كنز المعاني) : إنه لم يقف على نص في اللين ـ فيأتي ابن القاضي فيقول لهم جميعاً ـ : إن النص كذا ـ ولله الحمد والمنة .

والكتاب في جزء وسط يقع في نحو (138) صفحة ، فرغ منه مؤلفه عام (1044 هـ) .

5 ـ وفي موضوع قراءة البصري ألف ابن القاضي رسالة تحت عنوان : (القول الشهير ، في تحقيق الادغام الكبير) ـ ذيل به ـ كما يقول بعض تلاميذه ـ (علم النصرة) ؛ وقد مهد لها بقوله : (وبعد : فقد جرى الأخذ عندنا في الادغام الكبير بعمومه ـ للبصري في طريقيه ، وتخصيص السوسي بإبدال الهمزة في روايته ؛ وقرأ به على الاطلاق في التلاوة والحدر والترتيل والتحقيق بالاتفاق ، فلنتحقق ذلك إن شاء الله) .

6 ـ كما وضع رسالة أخرى في قراءة البصري (وُقِّتَتْ) ـ بالواو ، سماها (واضح المشكلات ، في قراءة البصري (وقتت) بالواو في المرسلات) ، جاء في أولها : (اعلم أنه ورد علينا سؤال قبل هذا الوقت بكثير ـ بفاس المحروسة ـ ولم يجاوب عليه أحد ـ فأجبت بما هو مسطر عند الأئمة أهل الأداء ، وثبت الجواب في كتابنا (علم النصرة) ؛ وهأنا أبينه لكم وأوضحه ، وأزيده بياناً ـ قراءة ورسماً وضبطاً . .) .

وقد تحدث ابن القاضي عن كلمة (وقتت) من عدة وجوه : عربية ، ولغة ، وصرفاً ، وقراءة ، ورسماً ، وضبطاً . . وقال في خاتمتها : (ولعل في هذا المقدار كفاية لشغل البال ، وفتن الزمان

وتراكم الأهوال على القلوب والأجسام ، نسأل الله الموت على الشهادة ، بجاه صاحب الشفاعة) .

وهذه الرسالة فيما أعتقد ـ من آخر ما كتب ، وقد بلغ من الكبر عتيا ـ فرحمه الله رحمة واسعة .

7 ـ (الايضاح لما ينبهم عن الورى ، في قراءة عالم أم القرى) ـ يعني بأم القرى مكة ، وبعالمها الامام ابن كثير ؛ وهو من البدور السبعة الذين اختصهم ابن القاضي بالتأليف ، يقول في مقدمة الكتاب : (. . رغب منا بعض الإخوان، وكثير من الطلبة ممن شغف بهذا الشان ؛ ـ املاء يسفر عن كيفية قراءة الامام ابن كثير ويبينها أي بيان ، محتو على ما يحتاج اليه الطالب مع ذلك من توجيه ورسم وما يضطر اليه في كل أوان ؛ فأجبتهم الى ما رغبوا . .) .

وأورد على عادته في قراءة كل إمام ـ سنده المتصل إلى ابن كثير ، وهو نفس الطريق الذي أوردناه في مقرأ الامام البصري ، عن ابن غازي ـ الى ابن نفيس ، عن السامري ، عن ابن مجاهد البغدادي ، عن قنبل ، عن القواس ، عن أبي الإخريط ، عن اسماعيل القسط ، عن شبل ، عن ابن كثير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

أما رواية البزي ، فقد وصلته من طريق ابن نفيس ، عن السامري أيضاً ، عن أبي بكر الولي ، عن اللهبي ، عن عكرمة ، عن شبل ، عن ابن كثير ؛ والامام ابن كثير هو أبو معبد عبد الله بن كثير ـ إمام أهل مكة في القراءة ، ولذا يعرف بالمكي ؛ ولد بمكة وبها توفي سنة (120 هـ) ، لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم وأخذ القراءة عن عبد الله بن السائب فيما ذكره الداني وغيره ؛ وتتلمذ له كثيرون من بينهم الخليل بن أحمد ، وابن جريج ، وسفيان بن عيينة ، وأبو عمرو بن العلاء ؛ قال الأصمعي : قلت لأبي عمرو : قرأت على ابن كثير ؟ قال : نعم . ختمت على ابن كثير بعدما ختمت على ابن مجاهد .

وكان ابن كثير أعلم بالعربية من ابن مجاهد ، قال ابن مجاهد : ولم يزل عبد اللّه ـ يعني ابن كثير ـ هو الامام المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات .

ترجمه ابن القاضي ترجمة موسعة وقال : إن لـه رواة سبعة ، ذاع الأخذ عندنا بالمغرب باثنين :

1 ـ البزي أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن القاسم بن نافع بن بزة المكي ـ مقرىء مكة ، (ت 250 هـ) .

2 ـ قنبل محمد بن عبد الرحمان بن خالد المخزومي المكي ، شيخ القراء بالحجاز ، (ت 291 هـ) .

اختلف القراء في المقدم منهما ، قال ابن القاضي : (إن أهل الأداء على تقديم قنبل ، لكن الشاطبي عكس فقدم البزي لعلو سنده ، وتبعـه الناس على ذلك) .

والكتاب يقع في جزء وسط ، وتختلف نسخه ، وقد سقطت المقدمة في كثير من النسخ ، وتجردت من العنوان حتى تـوهم بعض المفهرسين أنهما كتابان .

وقد سار فيه المؤلف على نهج كتابه (علم النصرة ، في قراءة إمام البصرة) ، فاقتصر في كل مسألة على الراجح والمشهور وما به العمل ؛ فالتعوذ مثلاً ـ لم يأت فيه عن أحد من السبعة نص ، والذي عليه معظم أهل الأداء ، واختاروه جـميع القراء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ ولم يرد فيه عن ابن كثير نص بجهـر أو إخفاء ، لكن المختـار الجهر ؛ قـال في التيسير: (ولا نعلم خلافاً في الجهر في مذهب الجماعة ، اتباعـاً للنص واقتداء بالسنة ؛ وابن كثير يبسمل بين كل سورتين في جميع الـقـرآن ما خلا الأنفال وبراءة ، فلا خلاف في تركها بينهما ؟ وهل يسكت فقط أو له وجهان كورش ؟ قال أبو محمد مكي : بالسكت قرأت ـ وليس منصوصاً . قال ابن القاضي : (قلت) : وجرى الأخذ في زماننا بالوجهين كورش .

وفي (الصراط) ـ قرأ قنبل بالسين ، وقرأ البزي بالصاد ، واتفقت المصاحف على رسمه بالصاد ؛ ووجه السين أنه الأصل ، لأنه من السرط ـ وهو البلع واللقم ؛ فكأنه يبلع المارة به ، ولذا سمى الطريق لقماً ، وعليه عامة العرب ؛ وحجة الصاد قصد المجانسة والخفة ، لأن السين لا تجانس الطاء للتنافر ، فأبدلت السين صاداً ـ لتجانس الإطباق والاستعلاء ، فيسهل اللفظ ، ويجري اللسان على طريقة واحدة ـ وهي الفصحى ، وهي لغة قريش.

هذه طريقة ابن القاضي في هذا الكتاب ، وهي ـ كما ترى ـ تجمع بين القراءة والرسم وفقه اللغة ، وتوجيه كل قراءة ، والحجة في ذلك ؛ وفي معرض حديث ابن القاضي عن الهمز المسهل ، ذكر أنه جرى الأخذ بفاس والمغرب عموماً بهاء خالصة ، وبه قال الداني ؛ ومنعه أبو شامة ، والجعبري ، وفصل ابن حدادة.

ويذكر ـ وهي من الحقائق التاريخية التي لا نجدها عند غيره ـ أن كتاب النشر لابن الجزري ، لم يدخل المغرب إلا بعد تأليف هذا الكتاب بسنين كثيرة ـ يعني في حدود منتصف القرن الحادي عشر الهجري .

ويذكر كذلك أن أهل الأداء تتكرر في كتبهم هذه الكلمات : الحافظ ، الإمام ، الشيخ ؛ فيعنون بالحافظ الداني ، وبالإمام ابن شريح ، وبالشيخ أبا محمد مكي :

وابن شريح بالامام يعرف والمكي بالشيخ لديهم يوصف

8 ـ رجز في رسم مكي ، افتتحه بقوله :

الحمد لله الكريم المنان المانح الفضل لأهل القرآن

يقع في (78) بيتاً .

9 ـ تقييد ما يلتبس من رسم مكي ، اقتصر فيه على ما ذكره ابن نجاح في التنزيل ، والداني في المقنع ، والشاطبي في العقيلة .

10 ـ تقييد في الهموز والمسهل ـ في القراءات .

11 ـ كتاب المفردات ، نسبة اليه غير واحد ، وينقل عنه تلميذه الفشتالي كثيراً ـ على ما سنذكره بعد .

12 ـ (كتاب الجامع المفيد ، لأحكام الرسم والقراءة والتجويد) ـ وهو مختصر مفيد جداً ، جمع فيه خلاصة مسائل الرسم والقراءة والتجويد ، فما أحوج الطالب اليه !

13 ـ بغية المراد ، في بيان مخرج الضاد .

14 ـ (المنحة والتقريب ، في إمالة الكسائي على هاء التأنيث حالة الوقف) ، وذكر من الأسباب التي دفعته لوضع هذه الرسالة : أنه (. . لما كانت إمالة الكسائي على هاء التأنيث حالة الوقف أمراً مشهوراً معمولاً به ، ورواية مأثورة تمد لها الكفوف ؛ ثم رأيت من تصدى للإقراء ، وشمر عن ساعد الجد لصناعة الأداء ؛ لم يتحل بمعرفة ذلك ، ولا ميز الخلاف الذي هنالك ؛ فالتمس مني حين قراءته ـ حفظه الله ـ تقييداً يعرف نكرها ، وييسر عسرها ؛ فأجبناه لقصده موافقاً ، ولغرضه مطابقاً ؛ وأتيت بها على طريقة الشاطبي والتيسير ، في نبذ جامعة لشارحه المسمى بـ (الدر النثير) .

15 ـ (مقالة الأعلام ، في تخفيف الهمز لحمزة وهشام) .

16 ـ (تحقيق الكلام ، في قراءة الادغام) ـ رتبه على حروف المعجم .

17 ـ (القول الفصل ، في اختلاف السبع في الوقف والوصل) ، قال في مقدمته : (وبعد . فالغرض من هذا التأليف ، ذكر الأماكن التي اختلف فيها القراء السبعة بين الوقف والوصل . .) ـ فرغ منه عام (1044 هـ) .

18 ـ (إزالة الشك والالتباس ، في نقل « ألٓم أحسب الناس ») .

19 ـ تأليف حول التكبير .

20 ـ أجوبة ـ قيدها عنه بعض تلاميذه .

21 ـ فهرسة أشياخه ـ مفيدة في بابها .

22 ـ (تحفة القراء) ـ في نحو مائة بيت .

23 ـ المصدرة للطالبين في القراءات السبع .

وأكثرها رسائل يطول بنا القول لو تحدثنا عنها جميعاً .

تلاميذه :

عاش أبو زيد أواخر العصر السعدي وأوائل العصر العلوي : (999 ـ 1082 هـ) ، فطال عمره ، وألحق الأحفاد بالأجداد ؛ وظل مدة نصف قرن أو تزيد ينفق من علمه الفياض ، ويؤمه القاصي والداني ، فكان بمثابة جامعة تخرج الأجيال.

ولنقتصر في هذه العجالة ـ كما هي عادتنا ـ على أشهر المشاهير من تلاميذه ، ونذكر منهم :

* أبا عبد اللّه محمد بن محمد الأفراني السوسي ، رحل الى المشرق ونزل مصر ، وبها توفي شهيد الطاعون سنة (1081 هـ).

أخذ عن أبي زيد علم القراءات ، وتمهر في سائر فنونه ؛ تتلمذ له أبو الحسن علي بن محمد النوري السفاقسي (ت 1118 هـ)، نقل عنه كثيراً في كتابه (غيث النفع ، في القراءات السبع).

وذكر أن للأفراني منظومة في (آلان) سماها « غاية البيان ، لخفي لفظتي (آلان)» ، جاء في أولها :

يقول راجي العفو والغفران   من ربه محمد الأفراني

الحمد لله على ما يسرا   من فهم (آلان) بيونس جرى

وله قصيدة أخرى مقصورة في طرق السبعة أورد ذكرها في (غيث النفع) ـ كذلك .

* أبو عبد اللّه محمد بن مبارك بن أحمد بن أبي القاسم السجلماسي الفاسي ، ولد بفاس سنة (1019) ، وبها نشأ وتعلم ؛ أخذ عن شيوخ عدة ، على رأسهم أبو زيد بن القاضي ؛ وكان فقيهاً أستاذاً نحوياً ، حسن الصوت بالقراءة ؛ أم بمسجد الشرفاء الذي به ضريح المولى ادريس ودرس به ، وولي كرسي الوعظ بالقرويين ، (ت 1092 هـ).

ومن مؤلفاته :

- الدالية المشهورة في تخفيف الهمز لحمزة وهشام حالة الوقف ، نظمها برسم السلطان المولى رشيد العلوي ، تقع في (140) بيتاً ، افتتحها بقوله :

حـمـداً لمـن حـفظ الـقـرآن لـلأبـد
مـسهـلاً لـذوي الـتجـويـد والـسـنـد
وبعـد: خـذ ضبط قـانـون يفيـدك في
تخفيف حمـزة همـز الـوقف واعتمـد
ومـا يـوافـقـه فـيـه هـشـام اذا
مـا حـل مـنـزلـة الأطـراف ذو كبـد
عـلى قيـاس لـغـات الفـصحـاء ومـا
يـتبـع الـرسـم فـيـه غـيـر ذي فـنـد

وقد ضمنها مقدمة وستة أبواب وفصلين :

- المقدمة في حكم وقف القياس والرسم .
- الباب الأول في الهمز المصدر حقيقة أو حكماً .
- الباب الثاني في الهمز الساكن والمسكن طرفاً للوقف .
- الباب الثالث في الهمز بعد الساكن .

وأضاف الى هذا الباب فصلين :

1 - في الهمز المتطرف بعد حروف المد واللين .
2 - في الهمز المتوسط بين حروف المد واللين .

- الباب الرابع في تصوير الهمز واواً أو ياء - طرفاً على غير قياس .
- الباب الخامس في الهمز المتحرك - وسطاً بعد حركة .
- الباب السادس في الوقف بالروم والإشمام على المخفف طرفاً .

وقد لقيت هذه الدالية إقبالاً عظيماً من القراء فتدارسوها ، وتناولها كثير منهم بالشرح والتحليل ، من بينهم :

أبـو العلاء ادريس المنجرة ، وولده أبـو زيد ، وابن عبـد السلام

الفاسي ، والبدراوي ، وأبو القاسم الشاوي ، وكنبور ، وسواهم ـ يأتي الحديث عنهم بعد .

* أبو عبد اللَّه محمد بن محمد بن أحمد بن عبد اللَّه الرحماني المراكشي ، من قبائل الرحامنة ، نزل مراكش وبها توفي ، كان حياً سنة (1070 هـ) ، درس علوم القرآن على ابن يوسف التاملي السالف الذكر ، وأخذ عن جماعة من شيوخ فاس ، في مقدمتهم : أبو زيد بن القاضي ، وأبوعبد اللَّه بن أبي بكر المسناوي ، قال : وببركته نلت ما نلت من هذا العلم .

وصفه أستاذه التاملي بالأستاذ الضابط المتقن . . ويوجد بخزانة آسفي الحبسية مجموع فيه إجازات له من شيوخه في القراءات ، كأبي عبد اللَّه البوعناني ، وأبي زيد بن القاضي ، والمسناوي ، وأبي عبد اللَّه العمري ، وعبد القادر السفياني ، وابن يوسف التاملي ـ في آخرين .

ومن طريف ما في هذا المجموع : إجازة أبي الحسن علي بن هارون المظغري للسلطان أبي العباس الوطاسي ـ بحرف نافع نظما ، بلغ بالسند الى الداني ، فأتمه مترجمنا أبو عبد اللَّه الرحماني ، وأبلغه الى نافع ، ثم الى رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ .

ومن مؤلفاته :

1 ـ (تكميل المنافع ، في قراءة الطرق العشرية المروية عن نافع) ، اعتمد فيه على تقاييد بعض شيوخه ، واستقى كثيراً من تأليف أبي عبد اللَّه الزروالي الذي تحدثنا عنه ـ سابقاً .

2 ـ (الهدية المرضية ، لطالب القراءة المكية) ـ منظومة في قراءة ابن كثير ، تقع في مائتين وأربعة وستين بيتاً (264) ، نظمها سنة سبعين وألفاً :

وادع بأحسن الدعا كما ورد   (شمل) بها التاريخ (صدر) للعدد

ـ يعني سنة (1070) منظومة لطيفة ، جمعت أهم قواعد قراءة ابن

كثير في عبارة سلسلة ، وتحرير عجيب ؛ وكنت اقترحت على بعض أساتذة مدرسة القراءات السبع ـ بتطوان ـ تدريس هذه المنظومة لطلاب السنة الثانية ، وكنا شرعنا في تحقيقها وتهييئها للطبع ؛ ولكن بعض المسئولين أبدى تلكؤاً في ذلك ، فبقي المشروع ـ كما يقال ـ حبراً على ورق .

3 ـ وله قصيدة لامية في قراءة البصري يقول فيها :

حمدت إله العرش ثم صلاته
على أحمد والآل والصحب ذي العلا
وبعد : فاني ذاكر مقرأ الرضى
أبي عمرو البصري بنظم ليسهلا

شرحها ابراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن داود من لا يخاف.

4 ـ تأليف في محذوفات القرآن .

* ومن خريجي مدرسة ابن القاضي : الامام الحافظ الواعية ، أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي ـ سيوطي زمانه ؛ ولد بفاس سنة (1040 هـ)، أخذ عن والده ، وعن أبي حامد الفاسي ، وميارة ، وابن سودة ، والأبار ، وسواهم لازم أبا زيد بن القاضي في علوم القرآن ، وتلا عليه ختمة بالروايات السبع ، وأخرى بالطرق العشرية لنافع ، والشاطبية ، والكراريس ـ الأمهات ـ والتفصيل لابن غازي ، (ت 1096 هـ).

له في القراءات :

1 ـ (الشمعة ، في القراءات السبعة) .

2 ـ (التقييد ، لما سرد من نصوص الدرة والقصيد) ـ جعله تذكرة لقارىء الثلاثة الزائدة على السبع لتمام العشرة ، بطريق التحبير والدرة ـ في جزء وسط .

* أبو اسحاق إبراهيم بن محمد السريفي ثم القصري من ولد ابن حمو الشاوي ، تعلم ببلده فحفظ القرآن وجوده ؛ ثم رحل الى فاس وأخذ عن جملة من مشايخها ، منهم : أبو زيد بن القاضي ، وأبو عبد الله

البوعناني ، وابن مبارك السجلماسي ، وسواهم .

استوطن القصر الكبير ، وبه توفي سنة (1070 هـ) .

- له تقاييد في العشر الصغير .

* أبو عبد اللّه محمد بن محمد البوعناني (ت 1063 هـ) ، من آثاره « فهرسته » .

* أبو المكارم الرضي بن عبد الرحمان بن عيسى السوسي التادلي ، درس بفاس ، وأخذ علم القراءات عن ابن القاضي وأبي محمد عبد اللّه السرغيني ، وابن مبارك السجلماسي - في آخرين .

نزل قبيلة فشتالة ، وسلخ بها شطراً كبيراً من حياته - يعلم كتاب الله ويتدارسه مع تلاميذه وطلابه ، وتخرج على يديه كثيرون ؛ وكانت له شهرة عريضة أيام السلطان المولى اسماعيل ، ومن أجل تلاميذه : أبو القاسم بن دري الشاوي - خاتمة قراء العاصمة المكناسية - على ما سنذكره بعد .

توفي مترجمنا الرضي السوسي سنة (1113 هـ) .

وخلف مؤلفات قيمة في الرسم والقراءات ، منها :

1 - تأليف في الرواية المأخوذ بها في القراءات السبع ، لخص فيه كتاب (بيان الخلاف والتشهير ، وما وقع في الحرز من الزيادات على التيسير) - لشيخه ابن القاضي ؛ وأضاف اليه إضافات ، وفوائد وتنبيهات ؛ قال في مقدمته : (. . لما كثر في زماننا هذا - جمع القراء بين الأئمة السبعة المشهورين من غير تحقيق للرواية ، وتحصيل للدراية ؛ وكان كثير منهم ممن لا تحقيق عنده يختلفون في الرواية الواحدة ، فكل واحد يقول أخذ بكذا خلاف صاحبه ؛ وما ذاك إلا لقلة اعتنائهم بالمسائل ، وعدم تحقيقهم وضبطهم للرواية ؛ قام بعض الطلبة من تلاميذنا ، وأكرم الناس لدينا ؛ فطلب منا أن نقيد له روايتنا المأخوذ بها عن شيخنا أبي زيد بن القاضي - حسبما هي مقيدة في تأليفه المسمى : (بيان الخلاف والتشهير) ؛ فأجبته إلى ذلك - مقتصراً على الرواية فقط ، مبيناً الوجه المصدر من الوجهين المأخوذ

بهما ـ مخافة الذهول والنسيان ، الملازمين للانسان ؛ وربما ذكرت بعض الفوائد والتنبيهات . .

والكتاب مفيد جداً ، أبان فيه مؤلفه عن إلمام واسع بهذا الفن ، وتحرير عجيب لمسائله وقواعده ؛ وزيادة على ما أضافه من إضافات وفوائد وتنبيهات ، لم يغفل آراء بقية شيوخه ، وما به العمل من قراء عصره ؛ ومن أهم المصادر التي اعتمدها :

« اتقان الصنعة » لابن شعيب ، و« النشر » لابن الجزري ، و« الانشاد » لابن غازي .

2 ـ تأليف في رسم القراء السبعة ، ذكر في المقدمة الغرض نفسه الذي ألف من أجله صنوه السابق ؛ فكثير من القراء تصدروا للإقراء ، واشتهروا بذلك ـ وهم بمعزل عن معرفة فن الرسم في غير مقرأ نافع ، لم يحيروا جواباً ، أو أجابوا بغير صواب ؛ ولخفاء الرسم وعدم تحقيق كثير من الأساتذة إياه ؛ طلب مني بعض الطلبة ـ أن أقيد له الرسم على مقارىء البدور السبعة ـ سوى مقرأ نافع في غير الهمزتين ، لاستيفاء المورد ـ يعني مورد الظمآن ـ لرسمه ؛ فأجبته الى ذلك ، لكن منه ما وقفنا على نصه ، ومنه ما قلدنا غيرنا فيه ؛ لأنه لم يكن بيدي في هذه الساعة شيء من كتب الرسم ـ كالتنزيل ، والمقنع ، والعقيلة ، إلا الاعلان لابن عاشر . .) .

والغريب أن الرجل أملى الكتاب من حفظه ، وربما عاد الى بعض مذكراته ، وديوان أسانيده ورواياته ؛ ولم يكن أمامه أي مصدر يرجع اليه في هذا الفن الا الإعلان الذي هو كالتكملة لمورد الظمآن ـ تأليف الامام الحجة أبي محمد ابن عاشر الأندلسي الفاسي (ت 1040 هـ)، وهو من شيوخ ابن القاضي كما أسلفت .

3 ـ رسالة في اختلاف روايتي البزي وقنبل ـ في قراءة ابن كثير .

4 ـ (مصابيح الرسام ، القارئين للسبعة الأعلام) .

أرجوزة في نفس الموضوع ، جاء في أولها :

يقـول راجي رحـمـة القـدوس محمـد الرضى الأستـاذ السـوسي

5 ـ شرحه بعضهم شرحاً وسطاً .

6 ـ أجوبة في القراءات .

7 ـ رمز قراءات الأيمة السبعة المشهورين .

8 ـ شفاء الأسقام ، الواقع لكثير من قراء الأنام .

* أبو الفضل مسعود بن محمد بن جموع (ت 1119 هـ)، من تلاميذ ابن القاضي ، ينقل عنه كثيراً في كتبه ؛ مر الكلام عنه في أحاديثنا عن درر ابن بري ، ومورد الخراز ، وانشاد ابن غازي ؛ فالشيخ جموع كان جماعاً لهذه الفنون كلها ، مسهماً في التأليف فيها جميعاً.

* أبو سالم عبد اللّه بن محمد بن أبي بكر العياشي الرحالة المشهور ، (ت 1090 هـ).

أخذ ببلده عن والده ، وبدرعة عن الشيخ أبي عبد اللّه بن ناصر ؛ ثم انتقل إلى فاس وأنهى بها دراسته ، قرأ على أبي زيد بن القاضي ، وأبي عبد اللّه ميارة ، وأبي محمد عبد القادر الفاسي ـ وهو عمدته .

رحل الى المشرق وحج مراراً ، وجاور بالحرمين ، وبالقدس والخليل ؛ ولقي جملة من مشايخ العلم والقراءات ضمنهم رحلته وفهارسه.

وممن أخذ عنهم فن القراءات : أبو الحسن علي بن محمد الزبيدي ، لقيه بمكة سنة (1064 هـ)، فسمع منه وأجازه ؛ ثم اتصل به بالمدينة ، فقرأ عليه ختمة من القرآن العظيم ـ بقراءة ابن كثير.

ويحدثنا في هذا الصدد فيقول : (ابتدأت عليه القراءة سنة (1073هـ) ـ بالمسجد النبوي الشريف، فقرأ أأنذرتهم بالتسهيل بين بين، وكان حسن النطق به ؛ وقال : لا نعرف فيه محض الهاء ، فأخبرته بأن شيخنا أستاذ الجماعة بفاس أبا زيد بن القاضي قد نقل في مفرداته عن أبي عمرو الداني جواز إبداله هاء محضة؛ فسألني أن أطلعه على ذلك،

فأطلعته عليه فسر بذلك ؛ قال أبو سالم : وقد اشتد سرور شيخنا الملا ابراهيم بالاطلاع على ذلك ، لكونه ـ رضي اللّٰه عنه ـ غلبت العجمة على لسانه ، فيعسر عليه النطق بالهمز المسهل ، بل كان لا يطيقه ؛ فقال : الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة ، ولم يكلفنا فوق طاقتنا ؛ فنحن نقنع بموافقة قول إمام من الأئمة ـ خصوصاً هذا الامام المتفق على جلالته أبا عمرو الداني ـ رضي اللّٰه عنه . .

ثم أورد أسانيده في القراءات ، وإجازاته في ذلك سواء منها العامة أو الخاصة .

* أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان البوزيدي ، من تلاميذ ابن القاضي ، له مؤلفات في علم القراءات ، منها :

1 ـ «تسهيل العسير، في قراءة ابن كثير»، فرغ منه في شهر ربيع الثاني عام (1084 هـ) .

استقى فيه كثيراً من مؤلفات ابن القاضي في مقرأ ابن كثير ، قال في مقدمته : (. . وأتيت منه بما يكفي ـ نظماً ونثراً وتركت منه التطويل ، مخافة التعطيل ؛ وزدت على ذلك ما أمكنني نظماً في التقديم والتأخير ، وبيان بعض الحروف عند اختياره لها ـ وقفاً على المأخوذ به عنه ـ رحمه اللّٰه . .

وأدمج في هذا الكتاب قصيدة له في حكم ياءات الاضافة كان نظمها قبل ، وألحق بالكتاب ـ كما في بعض النسخ ـ أبياتاً تضمنت ما خالف فيه ابن كثير نافعاً من الوقف .

2 ـ قصيدة لامية في رسم القراء السبعة ، جعلها تكميلاً لمورد الظمآن .
3 ـ شرح على رسم ابن كثير ـ لعله لشيخه ابن القاضي .
4 ـ « الرقيا ، لرسم ابن العلا » ـ قصيدة لامية في (80 بيتاً) .
5 ـ قصيدة لامية في اختلاف القراء في الوقف والوصل ، نظم فيه كتاب شيخه أبي زيد في الموضوع .

* أبـو العباس أحمـد بن عبد الـرحمان بن عبـد الملك الفيـلالي الأنصاري ، له :

1 ـ « سمط الجمان » ـ (نظم) .

2 ـ « تقييد في الإمالة » .

* أبـو اسحاق ابـراهيم بن علي الدرعي ، لـه تـذييـل على مـورد الظمآن ، ذكرناه ضمن الذين كتبوا عن مورد الخراز ؛ وينقل أبو اسحاق في ذيله هذا عن ابن القاضي ويصفه بشيخنا ، وألحقه بعض الناسخين ـ خطأ ـ ببيـان الخلاف والتشهير والاستحسان ـ لابن القـاضي ، وجعله ذيـلاً لـه واستدراكاً عليه .

ب ـ أبو العلاء المنجرة (ت 1137 هـ) :

ثم جاء أبو العلاء إدريـس بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الشـريف المدعـو المنجرة ، فـأسس مدرستـه على أنقاض مـدرسـة ابن القاضي ، وحاول أن يضيـف اليها مواد جديدة أتى بها من الشرق : (. . واقتصرنا على هذا موافقة لـهـم لأنهم تولعوا بهذه الطريقة ـ طـريقة ابن القاضي ـ في المغرب ؛ ومن يريد القراءة بالطريقة الشرقية ، فندرج معه بفضل الله على ذلك السير ، ونعبر معه طريقة الخير . .) .

وقد اتسع نطاق المدرسة المنجرية ، وتعدت حدود المغرب ؛ حتى قال بعضهم : (. . لا ترى من سوس الأقصى ـ الى طرابلس ونواحيها إلا من قرأ عليه ، أو على أحد من تلامـذته ؛ حتى إن من لم يقـرأ عليه أو بطريقته ، لا يعد قارئاً . .) .

والمنجريون أصلهم من تلمسان ، قدموا الى المغرب أواسط المائة التاسعة للهجرة ، واستوطنوا فاسا ؛ وهم بيت علم وفضل ، يتصل نسبهم بعبد اللّه بن ادريس .

ولد مترجمنـا بفاس سنـة ست وسبعين وألف، (1076 هـ)، وتردد على مجالس العلم بالقرويين وغيرها من مدارس فاس .

أخذ علم القراءات عن شيوخ كثيرين ، نذكر منهم ـ وهو عمدته في هذا الفن :

أبا عبد اللّٰه البوعناني قاضي فاس (ت 1098 هـ)، والشيخ المعمر أبا عبد اللّٰه السرغيني المعروف بالهواري ـ من سرغن سجلماسة ، ويحتمل أن يكون من قبيلة السراغنة من بلاد تاستوت حوز العبيد بقرب مراكش ، (ت 1104 هـ) ، والأستاذ المحقق أبا الحسن علي بن قاسم بن جميل المالكي نسبا ، (ت 1102 هـ)، والشيخ المجود أبا زيد عبد الرحمان بن عمران السلاسي ، ت (1180 هـ).

ثم رحل الى المشرق وأدى فريضة الحج ، ولقي جماعة من أهل العلم وشيوخ القراءات ، فأخذ عنهم وأجازوه ، وقد ضمن ذلك فهرسته الآتي ذكرها .

كان أبو العلاء المنجرة عالماً ماهراً في القراءات ، شيخ المقرئين بفاس بل وفي المغرب كله ؛ اليه المرجع في ذلك ، مع المشاركة في سائر العلوم والفنون.

قضى الشطر الأكبر من حياته في تعليم كتاب الله ، يجلس بعنزة القرويين يستقبل وفود القراء والمتعلمين ما بين شاد ومنته ؛ جيد التلاوة ، فصيح العبارة.

وكان إلى ذلك زواراً للعلماء ، طوافاً على أهل الفضل والصلاح ؛ كثير التهجد بالليل ، لا يفتر لسانه عن ذكر أو قراءة ؛ مؤثراً للمساكين ، قوياً في ذات الله ، معظماً لكتابه وسنة نبيه ؛ شديداً على المبتدعة والظلمة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ؛ توفي سنة سبع وثلاثين ومائة وألف (1137 هـ).

قال في سلوك الطريقة الوارية : وأوصى أن لا يطعم في جنازته الا الخبز والعسل ، ودفن بجوار ابن عاشر قرب المصلى .

له مؤلفات في علم القراءات ، منها :

٦ ـ (نزهة الناظر والسامع ، في اتقان الأداء والارداف للجامع) . افتتحه بقوله : (الحمد لله الذي أنزل كتابه الذكر الحكيم ، واختار من أوليائه لتجويده ذوي الشرف العميم ، وأجزل ثوابه لمن تلاه بلحون العرب والقسطاس المستقيم ؛ وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، الذي أبدع الإعجاز في سلك نظامه فأفحم المعارضين ، وأودعه في صدور المصطفين ، فكان من أسباب قوله :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ . ورضي الله تعالى عن أصحابه الذين هم أساتيذ الفرق والجمع ، وعن أفضليتهم وقع الاجماع ودلت قواطع السمع ؛ وعلى التابعين وأتباعهم ، وأئمة القراءات بأسرهم . .).

ويلمح في المقدمة إلى المصادر التي اعتمدها في هذا الكتاب فيقول : (ورحم الله من قرأه أو تدبره ، وجزى خيراً السادات الذين صنفوا في اختلاف آياته وحروفه ـ الكتب المعتبرة ؛ فمنهم من نشر كنزه ومفتاحه ، وأوضح إرشاده ومصباحه ؛ وأغنى بالكافية القاصد والمفيد، فيسر المجتبى، وأنشد الشريد، ومنهم من أبرز حرز أمان في روضة التجريد ؛ بتلخيص العبارات ، وحصر المفردات ، بالتكملة المفيدة فانتهى اليه الاختصار بكتب الاشارات ؛ ومنهم من استنار في بستانه بالشمعة ، وبهر بدره عقد اللآلىء ، وهذب التذكار ، وحبر كتاب الشرعة ؛ وسطع فجره فأقنع بعنوانه الكافي الجامع للسبعة . .) .

وقد ضمنه ثلاثة أبواب :

ـ الباب الأول بين فيه شروط المقرىء ، وما ينبغي أن يكون عليه من آداب وأخلاق ؛ وذكر من بين الشروط أن يكون حراً مسلماً ثقة مأموناً ، صدوق اللهجة ، ضابطاً ، خالياً من أسباب الفسق ومسقطات المروءة ؛ قال : ويجب عليه خلوص النية لله تعالى ، والحذر من الرياء والحسد والعجب ؛ ويذكر في هذا الصدد أن الكسائي صلى مرة بالرشيد ،

فدخله عجب من قراءته ، فغلط في آية ما أخطأ فيها صبي ! ولكن هارون الرشيد لم يجرؤ أن يقول له أخطأت ، فلما سلم ، قال له : يا كسائي أي لغة هذه ؟ .

قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، قد يعثر الجواد ، قال : أما فنعم .

ويذكر أن على المقرىء ـ قبل التصدر للاقراء ـ أن يعلم من الفقه ما يصلح به أمر دينه ، ويرشد أصحابه إذا وقعوا في شيء من ذلك ؛ ومن النحو والصرف طرفاً ، فالتوجيه بين القراءات ، من أهم ما يحتاج اليه المقرىء ؛ وعمدته في ذلك هذان العلمان ، وإلا كان خطؤه أكثر من صوابه ؛ كما أن عليه أن يشدو قدراً صالحاً من اللغة والتفسير ، فالقراءات ـ وهي لهجات العرب ـ جزء من التفسير ، وأن عليه كذلك معرفة أحوال القراء ، وطرق القراءات ، وقد وهم كثير لذلك .

ـ وتحدث في الباب الثاني عن الأداء والقراءة ، والقارىء والمقرىء ؛ فذكر أن الأداء علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها ـ معزواً لناقله ؛ والقراءة علم يعرف منه اتفاق الناقلين واختلافهم في اللغة والاعراب والحذف والإثبات ، والفصل والوصل ـ من حيث النقل ـ كما أشرنا الى ذلك سابقاً .

أما القارىء فهو من علم بها أداء ، ورواها مشافهة ؛ والمقرىء مبتدىء ومنته ، فالمبتدىء من أفرد الى ثلاث روايات ، والمنتهي من نقل عنه أكثر من ذلك ؛ ثم عقد فصلاً بين فيه كيفية الأداء ، وأطال في ذلك ؛ وانتهى الى القول بأن التجويد ليس بهز الرأس ، ولا بمضغ اللسان ، ولا بتقعير الفم ، ولا بتعويج الفك ، ولا بترعيد الصوت ، ولا بتمطيط الشد ، ولا بتقطيع المد ، ولا بتطنين الغنات ، ولا بحصرمة الراءات . . وأن القراءة الصحيحة هي التي لا تعسف فيها ولا تكلف ، ولا تصنع ولا تنطع . . لا تخرج عن لحن العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءة والأداء .

ـ أما الباب الثالث ـ وهو المقصود بالذات ـ فقد خصه للكلام عن كيفية الجمع بين القراءات ، ومعرفة الإرداف . . وقد تحدثنا عنه سابقاً ـ ضمن الذين كتبوا في الموضوع ، وأوردنا خلاصة ما عند المؤلف في هذا الكتاب .

2 ـ (تقريب الكلام ، في تخفيف الهمز لحمزة وهشام) .

هذا موضوع وعر ، متشعب المسالك ، خاض فيه كثيرون ، سواء منهم القدامى والمحدثون ، وقد حاول المؤلف في هذه الرسالة ـ تقريب مسائله ، وتذليل صعابه ، يقول في المقدمة : (لما كان تخفيف الهمز من أصعب المسائل ، وتراجمه قل من يفهمها . . سيما كلام الحرز الذي هو أغمض من الرمز ؛ ألح علينا بعض الأخوان ممن أخذ علينا في طلب تأليف ، تتبين به كيفية تخفيف الهمز ، وتحصل ضوابطه ليتوصل به الى الذي هو كاللغز ، مقتصراً على ذكر بعض التخفيف بالقياس ، على حسبما ثبتت به الرواية عن أهل فاس ؛ كما تلقيناه عمن أدركنا من فحول صناديدهم ، وقدوة جهابيذهم . .) .

والكتاب يحوي ثلاثة أبواب وسبعة فصول :

ـ الباب الأول في الهمزة المبتدأة تحقيقاً المصورة ألفاً ، وفيه فصلان :

1 ـ في المبتدأة المسبوقة بالزائد .

2 ـ في الهمزة التي صارت بحسب الزوائد متوسطة .

ـ الباب الثاني في الهمزة المتوسطة ، ويتضمن ثلاثة فصول :

1 ـ في الهمزة المتوسطة المتحركة اثر ساكن صحيح .

2 ـ في المتوسطة المتحركة إثر ساكن غير صحيح .

3 ـ في المتوسط الواقع بعدها صحيح أو معتل .

ـ الباب الثالث في الهمز المتطرف الساكن ، وفيه فصلان :

1 ـ في المتطرفة اثر ساكن صحيح .

2 ـ في المتطرفة اثر ساكن معتل .

طـــريقـان :

وللمؤلف في الموضوع طريقان :

أ ـ طريق المغاربة ، وان شئت قلت طريق ابن القاضي ـ وعليه اقتصر في هذا الكتاب : (. . وحيث جرى العمل عند أهل عصرنا على ذلك ، اقتصرنا عليه ، لأنه لا يصح الأخذ الا بما روي مشافهة ؛ فوقفوا عندما حد لهم ، واقتصرنا على هذا موافقة لهم ؛ لأنهم تولعوا بهذه الطريقة في المغرب . .) .

ب ـ طريق المشارقة ، ويرويها عن شيوخ كثيرين ، منهم بمصر : أبو عبد اللّٰه محمد بن قاسم بن اسماعيل البقري ، وأبو السماح أحمد بن ضرغام البقري ، وشهاب الدين منصور المنوفي ؛ وبمكة أبو العباس المنوفي الضرير . . . على أنه لا يخفي ما بقي من أنواع التخفيف القياسي والرسمي مما صح رواية ، وتلقيناه مشافهة عن أشياخنا المشارقة . .).

ولولده أبي زيد تذييل على هذا الكتاب ، وكأنه أضاف اليه ما صحت روايته في الموضوع مما أخذه عن والده .

واشتهر الطريقان عن أبي العلاء ، وتناقلهما الرواة جيلاً بعد جيل ـ على ما سنذكره بعد .

3 ـ « النهج المتدارك ، في شرح دالية ابن المبارك » .

ولعل أبا العلاء هو أول شارح لها ، يقول في المقدمة : (. . وما زالت هذه المباركة متداولة بين طلبة الفن ، ولم يكن لهم بها كبير اهتمام منذ انشائها خلال المدة المذكورة ـ إلى عام (1113 هـ) ؛ فسألنا بعض الاخوان من السادات المحفلين الجامعين ـ وضع شرح يحل ألفاظها ، ويبين أغراضها . . فلبينا دعوته ، وأجبنا رغبته ؛ ووضعنا شرحاً منبهاً للمبتدي ، معيناً للمنتهي ؛ صغير الحجم ، بفضل اللّٰه كثير العلم . .) .

وبعد أن أورد ترجمة مفصلة للناظم ، وألمع إلى الظروف التي قال فيها هذه المنظومة ؛ ذكر سنده اليها ـ وقد حدثه بها أستاذه أبو الحسن علي بن قاسم بن جميل ـ وهو من تلاميذ ابن المبارك ، وعنه سمع أكثر أخباره .

وقد عاد أبو العلاء الى المصادر التي اعتمدها الناظم ـ كحرز الأماني ، والجعبري ، والنشر ، وسواها ، وله اختيارات وترجيحات .

وقد وقفت على نسخة من هذا الشرح عليها تعاليق لولد المؤلف أبي زيد ولعلها بخطه ، قال فيها : (الحمد لله هـذه الحواشي المكتوبة على هوامش هذا الشرح ، مما فتح الله به على كاتب الحروف عبده الفقير عبد الرحمان ولد الشارح ؛ فمن سرقها أو حرفها ، فالله حسيبه ؛ وقد أجزت لمن كانت له قدرة على اخراجها في أوراق أن يفعل ذلك ، ويلحقها بآخر شرحها ؛ ويصلح ما فيها من الخلل ، فإن أصل ابن آدم الزلل) .

4 ـ وورد في بعض الفهارس أن له على دالية ابن المبارك شرحاً آخر مختصراً .

5 ـ وله منظومة فيما اشتهر عن القراء تصديره من وجوه الروايات :

وهاك ما فيه خلاف مشتهر
عن القراء السبع فافهم ما ذكر
مما بدا عنهم في التقدم
مع المؤخر فحقق وافهم
كما به صحت لنا الرواية
عن الأفاضل ذوي الدراية

ـ أبياتها تنيف على المائة ، وقد نظمها سنة (1101 هـ) كما يشير الى ذلك قوله :

هنا انتهى مرادنا بالقصد
تاريخه في عام (شاق) العبد

6 ـ أرجوزة في رسم القراء السبعة ـ ما عدا نافعاً ، أسماها « كفاية الطلاب » :

وبعد خذ تحقيق رسم عن خبير
لبصر مع كوف وشام ابن كثير
على الذي صح لدينا عن ثقات
ذوي علوم وصلاح هم هدات
فكل ما خالفوا فيه نافع
أذكره في النظم هذا النافع
سميتها « كفاية الطلاب »
أرجو به الخير من الوهاب

وذيلها بمسائل الضبط :

هنا انتهى نظامنا في الخط
أتبعه مذيلا بالضبط
على الذي مضى لنا من حكم
وأسأل الله تمام الختم

ويبدو أن نظمه لها كان قبل رحلته الى المشرق ، فهو يتحرق شوقاً الى البقاع المقدسة ، ويضرع الى الله في زيارة القبر الشريف :

من لي بالتعري من مخيط	إني كثير الذنب من تفريط
عسى الذي من جوده أوجدنا	يرزقني السير الى أرض منى
أسأله المزار للشفيع	وتربتي تكون في البقيع

وقد جاء في شرحه على دالية ابن المبارك أنه في سنة (1107 هـ) ـ كان يحضر مجالس العلماء بالأزهر الشريف .

7 ـ ونظم قصيدة لامية في الادغام والاظهار ـ على مذهب أبي عمرو البصري :

وبعد فخذ ما في المماثل مدغم
وفي الجنس والمشروك خفف لتفضلا

وما خص بالادغام فيه وعكسه
وما شأنه الاظهار عن ولد العلا

8 ـ وقد وضع عليها تعليقاً يحل مضامينها ، ويشرح مسائلها ، يقع في نحو 13 صفحة .

9 ـ (فتح المجيد ، المرشد لضوال القصيد) ـ وهو شرح على الدرة المضية ، في قراءة الأئمة المرضية ـ لابن الجزري . ورد ذكره في الخزانة التيمورية ، ويشير اليه أحد تلاميذ ولده أبي زيد في تأليف له في القراءات الثلاث المكملة للعشر ، وربما كان أبو العلاء هو أول من كتب في موضوع القراءات الثلاث ـ من المغاربة ـ على ما سنذكره بعد .

10 ـ منظومة في الوقف والوصل ، ولعلها هي التي ورد ذكرها في بعض الفهارس ، باسم « التكميل في الوقف » .

11 ـ قصيدة ضمنها السور المكية والمدنية .

12 ـ جواب عن لغز ـ ذكرته بعض الفهارس .

13 ـ طرر على الجعبري ، أدرجها ولده أبو زيد في حاشيته الكبرى على « كنز المعاني ، في شرح حرز الأماني » .

14 ـ فهرسة أشياخه، سماها (عذب الموارد، في رفع الأسانيد)، جاء في مقدمتها : (. . أريد أن أسطر ذكر بعض أشياخي في التعليم والتربية، وبعض من اجتمعت به من السادات بالمغرب حضوراً وغيبة ، وبالمشرق في رحلتي الى مكة وطيبة ؛ تبركاً بهم ، لا دعوى أني منهم) ثم عدد مشايخه في العلم والطريقة والقراءات ، وذكر ممن أجازه من أهل مصر : أحمد بن محمد الفقيه ، وعبد الحي الشرنابلي ، والمعمر صالح بن حسن الفرضي ، وسواهم .

تلاميذ أبي العلاء :

* ومن أبرز تلاميذ أبي العلاء : ولده وخلفه في كرسي الاقراء بجامع القرويين أبو زيد المنجرة ، ولد بفاس في 3 شوال عام (1111 هـ) ، تتلمذ لشيوخ كثيرين - على رأسهم أبو عبد اللّه المسناوي ، وقد ضمنهم فهرسته الآتي ذكرها .

لازم والده في علوم القراءات حتى فاق أقرانه ، وأوفى على من سواه ؛ وصفه بعضهم بالإمام المجدد لهذا الفن ، قال في السلوة : (. . وكان شيخ المغرب في علم القراءات ، وأحكام الروايات ؛ اليه المرجع فيها في وقته ماهراً فيها ، عارفاً بطرقها وعللها وتوجيهاتها . . يحفظ القراءات العشر ، متفنناً في غيرها من لغة ، وعربية ، وبيان ، وأصول ، ومنطق ، وفقه ، وتفسير ، وحديث ، وتصوف . . .

تولى الامامة والخطابة بجامع الشرفاء ، وكانت أوقاته ما بين تدريس للعلم ، وإقراء لكتاب اللّه عز وجل ؛ يجلس من أول النهار بقبة المولى ادريس لتدريس البخاري ، والتفسير ، ثم المختصر الخليلي ؛ وبعد استراحة خفيفة ، ينتقل الى عنزة القرويين فيجلس للقراء ، وكانت الأكابر تقصده لتجويد القراءة وأحكام الرواية ؛ وكان يخصص يومي الخميس والجمعة لإقراء كتب ذلك الفن - بقبة المدرسة الرشيدية ، ولم يزل يوالي التدريس والإقراء حتى توفي سنة (1179 هـ) ؛ وكانت جنازته يوماً مشهوداً ، مشى فيها الرؤساء والأعيان ، وازدحمت على نعشه الخاصة والعامة ، دفن بأعلى القباب بجوار والده حول مصلى العيدين .

خلف أبو زيد آثاراً قيمة في القراءات وسواها ، منها :

1 - حاشيته الكبرى على الجعبري ، سماها : (فتح الباري ، على مشكلات أبي اسحاق الجعبري) ؛ أدرج فيها تعاليق والده ، وطرر ابن عاشر ، قال في المقدمة :

(. . وبعد : فقد كان الامام الحجة المتقن الراوية أبو محمد عبد

الـواحد بن عـاشر (ت 1040 هـ)، والامـام النحـريـر ، المشهـور بالاتقان والتحرير ، الشيخ الوالد . . قيدا على بعض مشكـلات كنز المعاني ، ما يشرح منه المباني ؛ ثم ان الله تعالى ، لما أهلني للإقراء بكرمه ، وأولاني جزيل نعمه ؛ انتهزت علاج بعض مقفله ، وتمهيد بعض معجـزه ؛ ولمـا وقف على ذلـك بعض أصحـابنـا من نجبـاء الطلاب ، سألني أن أجمع ذلك في تعليق سميته (فتح الباري ، على بعض مشكلات أبي اسحاق الجعبري)؛ وطرزتـه بكلام المحققين، العلماء الراسخين ؛ مشيراً بـ (ع) للأول ، وبـ (ش) للثاني . .) .

وقبل أن يدخل المؤلف الى المقصود بالذات ، لخص مسائل هذا الفن ؛ وجعلها تنحصر في مبحثين : وسائل ، ومقاصد ؛ فالوسـائل سبعـة أجزاء : الأسـانيد ، علم العـربيـة ـ ومنـه مخـارج الحـروف وصفـاتها ، الـوقف والابتداء ، الفـواصل ـ وهي فن عـدد الآيات ؛ مرسوم الخط ، الاستعاذة ، التكبير .

أما المقصود ، فيمكن حصره في جزءين :

أ ـ الأصـول ـ وهي عشرون بـاباً ، تضمنهـا القسم الأول من الشاطبيـة والتيسير .

ب ـ الفرش ـ وينحصر في السور القرآنية .

وقد تتبع المسائل المختلف فيها بين القراء ، وعدها عدا ، وبرهن المؤلف بهـذا الكتاب ـ على مـدى اطلاعـه وسعـة أفقـه لا في علم القراءات وحسب ، بل في سائر العلوم والفنون ؛ وناقش أبا اسحاق الجعبري في مواضع من شرحه ، وصحح أخطاء وقع فيهـا كثير من شراح القصيد .

ونبه على مواضع ـ وهم فيها الامام ابن عاشر ، وخالف والده في مسائل، وقال: ان الحق فيها مع الشارح ـ فهو كما يقول أرسطو: أحب الحق وأحب أفلاطون ما اتفقا .

وقد عاد أبو زيد الى عشرات المراجع ـ ما بين تفسير وحديث ولغة وعربية ، بالاضافة الى العدد العديد من كتب القراءات ؛ ومن مزايا هذه الحاشية :

* أن المؤلف كثيراً ما يربط فيها بين أبحاث القراءات ومسائل النحو ـ وكأنهما من مشكاة واحدة ، وهو امام في هذا الباب ، له قدرة الترجيح والاختيار .

* أنه ترجم لكثير من القراء الذين ورد ذكرهم في الشرح ، ونسب المؤلفات الى أربابها ، ورفع الالتباس عن المؤتلف والمختلف منها .

* خرج أحاديث تداولتها كتب القراءات ، ونبه على الصحيح والسقيم منها .

ـ الى مزايا أخرى يطول بنا القول لو تابعنا الحديث عنها .

2 ـ حاشية أخرى على الجعبري صغيرة .

3 ـ (المقاصد النامية في شرح الدالية) .

وهو شرح وسط على دالية ابن المبارك السجلماسي ، قال المؤلف إنه أخذ هذه القصيدة عن والده ، عن أبي الحسن علي بن قاسم بن جميل ، عن مؤلفها ؛ وقد اقتصر في هذا الشرح على ما يحتاج اليه من الإعراب ، وحاذى ـ كما يقول ـ كلام الناظم بعبارة تبين معناه ، وتسفر عن مبناه ؛ مع التأييد له فيما يحتاج اليه من النقل . .) .

4 ـ ذيل على تقريب والده في تخفيف الهمز لحمزة وهشام ـ الآنف الذكر .

5 ـ حواشي على شرح التنسي لضبط الخراز ، تحدثنا عنها ـ سابقاً ـ ضمن الذين كتبوا في الموضوع .

6 ـ (المسائل اللطيفة ، في الأبحاث الشريفة) ـ أجاب بها المؤلف في أخريات حياته ـ بغض تلاميذه .

7 ـ حاشية على (فتح المنان) ـ شرح ابن عاشر على مورد الظمآن ، ذكرناها ـ ضمن ما كتب عن مورد الظمآن .

8 ـ تأليف في التكبير .
9 ـ فهرسة أشياخه ، صدرها بالكلام عن نسبه ، ثم ذكر تنقلاته في البلاد ، واتصالاته بالشيوخ ، وأسانيده في القرءات وكتبها ، وأسانيد بعض العلوم المتداولة في عصره ، ثم سنده في الطريقة الشاذلية .
10 ـ ومن تآليفه في غير القراءات : حواشي على المرادي ، سماها (فتح الهادي على شرح المرادي) ـ يحيل عليها كثيراً في حاشيته الكبرى على الجعبري .

* ومن خريجي المدرسة المنجرية ـ أبو القاسم بن علي الشاوي المعروف بابن دري ، من موالي السلطان المولى اسماعيل ؛ قال في الإتحاف : إنه آخر الأساتذة المحققين بالعاصمة المكناسية ، تتلمذ لأبي عبد اللّٰه محمد البصري ـ وهو عمدته في علم القراءات ؛ قرأ عليه القرآن بالسبع عدة ختمات ، توفي سنة (1153 هـ) .

له مؤلفات في القراءات ، منها :

1 ـ « حفظ الأماني ، على كنز المعاني » ـ حاشية على الجعبري في مجلدات ، كتبها بأمر من أبي العباس أحمد بن مبارك صاحب الابريز ؛ أمره بذلك لما ورد على مكناسة في حدود سنة (1135 هـ) ـ وأقام ضيفاً عليه بداره أياماً .

قال في المقدمة : (ثم أمرني ـ أيده الله ـ بشرح كنز المعاني ، وحل كلمه الصعبة المباني ، فاعتذرت له بما أنا أهله من التقصير ، وسطوات الجهل والعجز والحصير ؛ وخاطبه لسان حالي بقول القائل :

ما أنت أول سائر غره قمر ... ورائد خدعته خضرة الدمن

فرأيت هناك مهامه تحار فيها القطا ، وشوامخ تكل عند اقتحامها الخطى ؛ ثم وقفت أتأمل الخوف عند فجأتها ، لكن قدمت الرجاء عند رؤيتها . .) .

2 ـ شرح على حرز الأماني .
3 ـ (تنبيه السالك ، الى جني ثمار ابن المبارك) ـ وهو شرح لدالية ابن المبارك السجلماسي .
4 ـ شرح باب الهمز من الشاطبية .
5 ـ تقييد على ابن بري ـ أشرنا اليه سابقاً .
6 ـ قصيدة لامية في تصدير ذي الوجهين ، يقول في أولها :

حمدا لمن جعل القرآن ذا شرف
لمن تلاه وذا فضل لمن عملا
وبعد خذ صدر ذي الوجهين منفرداً . .

* أبو عبد اللّه محمد بن القاسم بن محمد بان أحمد بن علي المرابط أرارو العلمي من قراء البادية ، ومن شيوخها المعدودين ؛ يتصل نسبة بالشرفاء العلميين المستوطنين مدشر أرارور يشر بسفح جبل العلم من قبيلة بني عروس ، انتقل هو أو والده الى بني خالد إحدى قبائل غمارة ؛ وجاء في إجازته : العلمي الدار ، الخالدي النسب . . . ولعل العبارة معكوسة ـ فالشأن أن يقال : العلمي النسب ، الخالدي الدار . . التحق بالكُتّاب على عادة ابناء البادية ، وبعد أن حفظ القرآن ، وأتقن رسمه وضبطه ، وشدا شيئاً من حروفه ؛ رحل الى فاس ، وتردد على حلقات العلم ، ومجالس القراءات بها ؛ وجلس طويلاً الى جانب الشيخ الأكبر أبي العلاء المنجرة ، فقرأ عليه ست ختمات بالروايات السبع ـ عرضاً من صدره ـ على حد تعبير الشيخ ؛ وأدرج في ذلك الادغام الكبير لأبي عمرو ابن العلاء ـ بطريق التيسير ومختصره : حرز الأماني .

وأجازه إجازة عامة ، ووصفه بالفقيه النبيه ، الأنوه الوجيه ، الخير المتبتل العفيف النزيه ؛ الحافظ اللافظ . . وقال إنه من أهل التجويد للقراءات ، مع الضبط لأحكامها . . .) .

كما أجازه في قصيدة الشاطبي « حرز الأماني » ، ورجز ابن بري :

« الدرر اللوامع » و « مورد الظمآن » ـ للخراز ، و « انشاد الشريد » لابن غازي ، وشرح المجيز على دالية ابن المبارك ـ و«النهج المتدارك » ، قال . وقد قرأ علي هذه الكتب كلها ، وأذنت له في ذلك كله إذناً عاماً .

وقد وقفت على هذه الإجازة عند بعض حفدته ، كتبت في رق بخط رائع لبعض الخطاطين ، زينت حواشيها برسوم ملونة وخطوط مذهبة ؛ ومقياس حجمها 78 سم طولاً 66 سم عرضاً ، مسطرتها 61 سطراً ، في كل سطر نحو 80 كلمة ؛ تخللتها سطور كتبت بماء الذهب ، تضمنت اسم المجيز والمجاز وألقابهما . . . وقد حشر فيها ما رواه عن شيوخه في الشرق والغرب ، وطرق كل شيخ الى رسول عليه السلام .

وجاء في خاتمتها : (. . . وأوصيه ونفسي بتقوى الله واقتفاء طريق الصواب ، والعمل بما يخلصه بين يدي اللّٰه تعالى يوم الحساب ؛ وليقدر قدر ما أنعم الله عليه من حمل كتابه الكريم ، وليعلم أنه حجة له أو عليه في الموقف العظيم؛ جعلنا الله واياه ممن اهتدى بهديه القويم، وسلك بنا واياه الصراط المستقيم . . .) . وقد وقع على هذه الاجازة واحد وعشرون عالماً ، من بينهم : أبو عبد اللّٰه المسناوي ، وأبو حامد العربي بردلة ، وأبو علي بن رحال المعداني ، ومحمد ابن الطالب ابن سودة المري ، وعلي بن أحمد الشدادي ، ومحمد بن ادريس العراقي ، وأحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي ، ومحمد بن حسن بناني ، ومحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي ، وادريس بن المهدي المشاط ـ في آخرين .

وعلى الجملة ، فهي تحفة نادرة ، وأنموذج رائع من الشهادات التي كان يتسلمها الطلاب من المدارس القرآنية التي أنهوا بها دراستهم على أيدي شيوخهم؛ فالذين لا شهادة لهم ، لا ثقة بعلمهم، ولا اعتماد على روايتهم . . . (سألني ـ أرشده الله ـ أن أجيزه بذلك، وأشهد له به في كتاب ، ليرفع عنه تخالج الظنون وخطرات الارتياب ؛ وليكون بيده حجة ساطعة ، وبنبله وثبات نقله بينة قاطعة . .) .

* أبو عبد اللّٰه محمد بن عبد السلام المضغري السجلماسي ، درس ببلده سجلماسة على أبي زيد عبد الرحمان بن يحيى الولالي ، وبفاس على أبي العلاء المنجرة وسواهما ، له :

ـ قصيدة لامية فيما اختلف فيه القراء من وقف ووصل ، وسماها « نهج الهداية » :

وسميته (نهج الهداية) قاصداً
به وجه ربي فاحفظنه وحصلا

وقد نظمها سنة (1118 هـ)، وعدد أبياتها (54) :

بعون الاله ربي مولاي سيدي
وأبياته (نـد) وعامه (عش حلا)

* ومن الذين أخذوا عن أبي العلاء بواسطة ـ وهم في عداد تلاميذ ولده أبي زيد ـ أبو الحسن علي بن علي الحساني العمراني ، من قبيلة بني حسان ـ على نحو 30 كلم من تطوان ؛ قال فيه أحد تلاميذه إنه كان من أعدل أهل زمانه ، وممن فاق ـ فيما رآه ـ جميع نظرائه ؛ وهو من الشيوخ الذين أسهموا في نهضة القراءات بهذه الجبال ، ومن مؤلفاته :

1 ـ قصيدته اللامية في تخفيف الهمز لحمزة وهشام ، سماها (التقريب والتكميل) ؛ ضمنها خلاصة تقريب الكلام لأبي العلاء المنجرة ، وذيل ولده أبي زيد عليه ، تقع القصيدة في (71) بيتاً .

2 ـ وله عليها شرح .

3 ـ رجز في تصدير أبي عمرو البصري .

4 ـ نظم ما للبزي من وجوه مع التكبير آخر والضحى ، والناس .

5 ـ جواب عن سؤال كتبه اليه ـ نظماً ـ تلميذه الفقيه المقرىء أبو محمد عبد السلام الشريف ، وصورة هذا السؤال :

جوابك في نون اللذين وبابه
لمن قرا بالتشديد ما وجه من تلا

فهــل رام بــالتضعيف تــوكيــد لفــظه
أو تعــويض محــذوف لــذلــك أثقــلا
ومــا النـون هــل هـو المثنى أو الــذي
من الحــذف أبـدلــوه قصــداً تمــاثــلا
وهــل ذاك لـلتكبيــر يـنمى وعكسـه
ومــا بـه أخــذ القــوم عنكم قــد عــلا
كـذا نـون أن نــاصبـاً جـــا أو مضمـرا
وثـــم ورب مـــع هــلم الـــى الــعــلا
نـــعـــمـــا وجـــنـــة مـــنـــنـــا وســـنـــة
كـــذا نــون تــوكيــد مــرادي المثقــلا
الـــي عــلي رب حـــتـــى ومـــنـــى عـــن
جميعهــا من بــالجــواب لـمن ســلا
بـبسط مـبــانيـهــا مـبينــاً لأصـلهــا
بـــنـــظم جـلي أو بـــنـــشـــر مـــفـــصـــلا

وجـاء في الجـواب : (. . بلغني سؤالكم البـديـع ، ونـظمكم الرفيع ، لكنكم كلفتم بجوابه غير المستطيع ؛ وقد أبـرزت دلوك تلتمس سائغاً ، وصادفت مني قلباً فارغاً ؛ فـالعلم ثلاث : آيـة محكمة ، وسنـة متبعة ، وثالثتها قول المجيب : لا أدري ، وليس عندي الا الثالثة ؛ ولكن ان قنعت بالشيء التافه ، فلا أبخل عليك بـه . .) . وهو جواب مطول ، تعرض فيه لكل مسألة من المسائل التي أوردها صاحب السؤال ، وجلها مما تضاربت فيه آراء أرباب هذا الفن ؛ لكن أبا الحسن كشف النقاب عنها ، وأدلى بالرأي الصريح فيها ـ معززاً بالحجة والبرهان .

6 ـ أرجوزة في اتفاق الرواة واختلافهم في السكون والوقف ، في (20) بيتاً .

* أبو العباس أحمد بن العياشي القرشي الصنهاجي ، له تأليف في وقف حمزة وهشام ، سماه :

1 ـ « اختصار التحفة » . جاء في مقدمته : (. . وبعد ، فقد سألني بعض المحبين ـ أن أوضح لهم مسائل الهمز ـ على ما صحت به الرواية في وقف حمزة وهشام ـ وإن كان الأولون لم يتركوا شيئاً للاخرين ، لكن كتبهم لم تخل من الخلافات والشذوذ ، وما لا عمل عليه . . وسأترك ذلك جملة ، وأبين ما صحت به الرواية ، وما أخذنا به عن شيخنا : أبي زيد عبد الرحمان بن ادريس الشريف . .) .

2 ـ وفي بعض الفهارس أن له رسالة في وقف حمزة وهشام أسماها : «الاعلان، في قراءة الحبرين » ـ ولعله كتاب آخر في الموضوع .

* أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن علي السوسي ، له مؤلفات في علم القراءات ، منها :

1 ـ قصيدة لامية فيما اختلف القراء فيه من وقف ووصل ، ابتدأها بقوله :

الحمد حمداً طيباً لله ثم على نبيه الأواه

تقع في نحو مائة وعشرين بيتاً .

2 ـ قصيدة أخرى في تصدير ذي الوجهين ، سماها (المصدرة) قال في أولها :

بدأت بحمد الله نظماً ليسهلا وأزكى صلاة دائماً متوصلا
فهاك قصيدة يفيدك حفظها وتحصيلها التصدير للسبعة العلا
وسميتها للطالبين «مصدرة» فيا ليتها تمشي وتقبل في الملا

وهي في نحو(70) بيتاً .

* أبو الحسن علي بن عبد الرحمان الحيحي ، له منظومة في رسم القراء السبعة ، مع شرح لها ، فرغ منه عام (1192 هـ) .

* محمد بن عبد الرحمان العمراني ، له أنظام في القراءات ، ورسمية البصري .

* أبو عبد اللّه محمد بن محمد الهواري الوطاوي ، قرأ على الشيخ العالم المقرىء أبي عبد اللّه بن الحاج التلمساني ـ نزيل مدينة تازة ، فحفظ

عليه الروايات السبع : (. . كنت مقيماً عنده بالزاوية الناصرية بمدينة تازة ، معتكفاً على القراءة ، حتى نلت منه المطلوب ، ووفيت بالمرغوب . .) .

ثم رحل الى مدينة فاس ، فأخذ عن شيخ الجماعة بها أبي زيد المنجرة ، ولنتركه يحدثنا عن ذكرياته مع هذا الشيخ فيقول :

(. . سمعت قراءة الشيخ من فيه مشافهة من أول الفاتحة الى آخره ، ثم ختمت عليه ختمة أخرى كان يسمع وأنا أتلو عليه ؛ فلما سمع ذلك ، شهد لي في كتاب باتقان الرواية ، وضبط التلاوة ـ على عادة المتقدمين ، فزال عني اختلاج الظنون والأوهام ، ليكون الكتاب شاهداً بين يدي الملك العلام ؛ ولما أراد السفر الى مراكش ، استخلفني في موضعه بعنزة القرويين لتلاوة القرآن مع الطلبة ، فامتثلت أمره ، ولزمت موضعه ثلاثة أشهر ـ حتى قدم من سفره سنة (1161 هـ)) .

ـ وقفت له على مؤلف أسماه (تهذيب رسم الأئمة السبعة) ـ من طريق التيسير والشاطبية ، رتبه حسب أجزاء القرآن المائة والعشرين ـ نصف الحزب ـ وألحق الادغام الكبير آخر كل سورة ، وذكر ياءات الاضافة ـ حسب رواياته عن أشياخه ، وكل ذلك بأسلوب مهذب مختصر .

ـ وتذكر له بعض المصادر تأليفاً في القراءات .

* أحمد بن عبد العزيز بن عاشر ، له :

1 ـ كتاب (الدلاثة ، في قراءة الأئمة الثلاثة) ـ وهو ثالث الذين كتبوا في الموضوع ـ فيما نعلم ـ من المغاربة ، وسبق أن أبا زيد عبد الرحمان الفاسي ـ وهو من تلاميذ ابن القاضي ـ له مؤلف في قراءة الثلاثة الزائدة على السبعة؛ وأن أبا العلاء المنجرة له شرح على درة ابن الجزري في قراءة الأئمة الثلاثة، أسماه (فتح المجيد في انشاد ضوال القصيد) ، وهناك إشارات للمؤلف تذكر أن شيخه أبا زيد ناقش والده في مواضع من تأليفه هذا ، وربما كان هو الآخر له كتابة في

الموضوع ؛ ومهما يكن ، فالذي نستشفه من أكثر من مصدر ـ أن كتابة المغاربة في هذا الميدان ـ على كثرة ما كتبوا ـ جد ضئيلة .

2 ـ ومن مؤلفاته : كتاب (اتباع الإنصاف ، لقراءة الأئمة السبعة واختصار الإرداف) .

3 ـ ذكر في خاتمته أنه اشتغل بتأليف آخر جمع فيه قراءة الأئمة السبعة والأئمة الثلاثة الزائدة عليها ، وجاء في بعض نسخ مؤلفه في قراءة الأئمة الثلاثة ـ وهو غفل بدون عنوان ومن غير ذكر اسم المؤلف ـ قوله :

(. . وبعد : فالعون من المولى الكريم ، على تقييد ما حققته دراية ورواية مشافهة على الامام الجامع الحافظ شيخ الجماعة بفاس : شيخنا ووسيلتنا أبي زيد المنجرة ـ للأئمة الثلاثة الزائدين على السبعة . .) . وقد اقتصر على عيون المسائل ، ولم يذكر الا ما خالف الفرع أصله ، أو وافق نظير شكله ؛ وحاول أن يرجع كل قراءة إلى أصل من أصولها : فأبو جعفر هو أستاذ نافع ، وقراءته هي هي الا فيما ندر من مسائل ؛ وقراءة يعقوب تتفق في كثير من أصولها مع قراءة البصري ، أما قراءة خلف ، فلا تكاد تختلف عن قراءة حمزة الا في مسائل نادرة . . . وإنما أعرض لذكر عيون المسائل ، كل مسألة في محلها على الترتيب ـ ان شاء اللّه تعالى ، الا ما كثر دوره ، وسهل أمره . . فأبو جعفر ـ ويقال له المدني الأول ، من أجل شيوخ نافع المدني الآخر ؛ أما يعقوب فهو بصري ، أخذ عن أبي المنذر ، وقرأ أبو المنذر على أبي عمرو البصري ؛ وأما خلف فهو بغدادي ، قرأ على سليم ، عن حمزة ؛ فقراءة الأول كقراءة نافع ، وقراءة الثاني كقراءة أبي عمرو البصري ؛ وقراءة الثالث كقراءة حمزة ، لكن خالفوهم في مواضع ، قال : وإنما ذكرت هذا ، ليعلم أصل كل واحد ما هو . .) .

وهؤلاء الأئمة الثلاثة هم :

ـ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي ، تابعي انتهت اليه رئاسة القراءة بالمدينة ؛ قرأ على مولاه عبد اللّه بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، وأبي هريرة ، وعبد اللّه بن عباس ، عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ؛ وكانت وفاة أبي جعفر سنة (130 هـ) . ومن أشهر رواته : أبو الحارث عيسى بن وردان المدني ، كان مقرئاً رأساً في القراءات ، ضابطاً لها محققاً ، (ت في حدود 160 هـ).

وأبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز ، مقرىء جليل ، وضابط نبيل ، (ت بعيد سنة 170 هـ) .

ـ المقرىء الثاني هو أبو محمد يعقوب بن اسحاق الحضرمي ، مولاهم البصري ، كان إماماً كبيراً ، ثقة ، عالماً صالحاً ديناً ؛ قال أبو حاتم السجستاني : هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القراءات، وعللها ومذاهبها . . وأروى الناس لحروف القرآن وأحاديث الفقهاء ، قرأ على أبي المنذر سالم الطويل ، وقرأ سالم على عاصم الكوفي ، وأبي عمرو البصري ؛ وقيل إن يعقوب قرأ بنفسه على أبي عمرو ، وتتصل رواية يعقوب بأبي موسى الأشعري ، عن النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ ، توفي يعقوب سنة (250 هـ) .

واشتهر من رواته : أبو عبد اللّه محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري ـ المعروف برويس ، كان إماماً في القراءات ، قيماً بها ، ماهراً ضابطاً ؛ قال الداني فيه : إنه من أحذق أصحاب يعقوب ، (ت 238 هـ) . وأبو الحسن روح بن عبد المومن الهذلي مولاهم البصري، مقرئ، جليل ، وضابط مشهور ثقة ؛ روى عنه البخاري في صحيحه ، (ت 234 هـ).

ـ الإمام الثالث هو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي ، إمام كبير ، قال ابن اشتة : إنه خالف حمزة ـ يعني في

اختياره ـ في مائة وعشرين حرفاً ، لكن ابن الجزري ذكر في النشر أنه تتبع اختياره فلم يره يخرج عن الكوفيين في حرف واحد ، بل ولا عن حمزة والكسائي وأبي بكر ـ الا في حرف واحد ـ وهو قوله تعالى في الأنبياء : « وحرام على قرية » ، قرأها كحفص والجماعة بالألف .

أخذ خلف عن سليم صاحب حمزة ، وعن يعقوب بن خليفة الأعشى ، وأبي سعيد بن روس الأنصاري ؛ وتتصل رواية هؤلاء جميعاً برسول الله ـ صلى اللّٰه عليه وسلم ـ ، توفي خلف سنة (229 هـ) .

ومن أشهر رواته : أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم الدراق المروزي ، كان قيماً بالقراءة ، ضابطاً لها ، منفرداً برواية اختيار خلف ، (ت 286 هـ) . وأبو الحسن ادريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي ، امام ضابط متقن ؛ وفي صدد الدفاع عن هذه القراءات الثلاث التي قل اهتمام الناس بها في هذه الأعصار وقبلها بأزمان ـ يذكر المؤلف أن الامام أبا العباس ابن تيمية قال : لا نعلم أحداً من المسلمين منع القراءة بالثلاث الزائدة على السبع ، ولكن من لم يكن عالماً بها ، فليس له أن يقرأ بما لم يعلمه ، ولا أن ينكر على من علم ما لم يعلمه . .) ـ فرغ منه عام (1118 هـ) . والذي جعلنا نرجح أن الكتاب الغفل من العنوان واسم المؤلف ، هو لابن عاشر المذكور ، تقارب التاريخين في المؤلفين المذكورين ـ والله أعلم بحقيقة الحال ، على أن له مؤلفاً آخر في نفس الموضوع أسماه :

4 ـ (معونة البشر، في قراءة الأئمة الثلاثة المكملة للعشر). ولعله عنوان المؤلف السابق .

5 ـ وآخر في العشر الصغير ، أسماه (الجوهر المنير) .

6 ـ (التبصرة ، لمن لم يكن له بالارداف خبرة) ، اختصر به كتابه (اتباع الإنصاف) السالف الذكر .

7 ـ (البحر الكبير ، في قراءة الأئمة السبعة والعشر الصغير والكبير) ـ الى غير ذلك .

من قراء هذا العصر :

هذا ، ولنقل كلمة عن القراء الذين عاصروا الشيخ المنجرة ، ولنذكر منهم :

* أبا عبد اللّٰه محمد بن عبد الرحمان بن أحمد البصري المكناسي ، قال في الاتحاف : (حامل راية الاقراء ، وخاتمة الحفاظ والقراء ؛ حسن الصوت ، متقي الشبهات ؛ سمع السلطان المولى اسماعيل بحسن صوته وجودة تلاوته ، فأمر باحضاره ليلة سابع وعشري رمضان ؛ فأم بـه تلك الليلة ، وختم القرآن برواية ابن كثير - يكبر ويهلل عند ختم كل سورة من آخر « والضحى » الى آخر « والناس » ، أدرج القراءات الى المفلحون . فخلع عليه السلطان حلة سنية كانت عليه ، وطلب منه صالح الدعاء ؛ ثم أصدر ظهيراً بتوقيره واحترام آل بصري جميعاً ، مؤرخاً بربيع عام (1112 هـ) . له :

- حشاشية على الجعبري في مجلدين ، ورجز في إمالة البصري ، قال فيه :

يقول عبد ربه محمد عرف بالبصري ربي أحمد
وبعد فالقصد بذا النظام ذكر إمالة الرضى الإمام
أعني أبا عمرو الزكي بن العلا من لاح بالبصرة بدراً كملا

- في (33) بيتاً .

* أبو عبد اللّٰه محمد بن أحمد المسناوي ، إمام مبرز في سائر علوم القراءات ، قال عنه ولده في حاشيته (فتح الهادي) : (له كتابات في مختلف العلوم والفنون ، وله اليد الطولى في علم القراءات ؛ منها :

- أجوبة في ذلك .
- ورسالة في الوقف يأتي الحديث عنها .

* أحمد بن مبارك السجلماسي ، قال في نشر المثاني : له تبحر في علم

القراءات ، جمع السبع عن شيوخ بلده ، ثم رحل الى فاس وأخذ عن العلية من مشايخها ، (ت 1156 هـ) .

له مؤلفات في علم القراءات ، منها :

-(المقالة الوافية في شرح الدالية)- يعني دالية ابن المبارك، وتأليف في قوله تعالى ﴿ وهو معكم أينما كنتم﴾ ، أسماه (كشف القناع ، عما ادعي في مسألة المعية من الاجماع) رد فيه على بعض معاصريه وأجوبة في ثواب قارىء القرآن ، وأخرى في حكم قراءة سورة الاخلاص 3 مرات عند الختم .

* أبو اسحاق ابراهيم السرغيني ، من شيوخ القراءات ، حلاه بعضهم بنخبة أهل زمانه ، له كتابات في علم القراءات ، ولعله هو الذي ألف في الرد على ابن المبارك المذكور آنفاً .

* أبو مهدي عيسى الجزيري التطواني ، كان عالماً مقرئاً ، وأديباً ماهراً ؛ كتب القرآن كله في صفحة واحدة بخط رائق ، قال أبو محمد سكيرج في كتابه (تحفة الإخوان ، في تاريخ تطوان) : إن له كتاباً عجيباً في القراءات السبع)(ت 1169 هـ) .

* أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي ، دفين مدغرة قرب سجلماسة ، (ت 1165 هـ) ؛ كان إماماً متبحراً في العلوم كلها ، خلف آثاراً علمية قيمة ؛ ومن مؤلفاته في القراءات :

1 -« عرف الند ، في حكم حذف المد » ، أو« الزهر الربيعي ، في حكم المد الطبيعي » .

2 - إجراء الوصل مجرى الوقف » في غير المواضع التي نقل منها .

3 -وله أجوبة في موضوعات مختلفة من مسائل القراءات .

* أبو العباس أحمد بن عمرو الجاكني السوسي ، ويلقب بطير الجنة ؛ له منظومة في حذف القرآن سماها « السراج » ؛ تقع في نحو سبعمائة بيت ، وقد نظمها سنة (1120 هـ) .

سنة عشرين وألف ومائة   بهجرة الهادي امام البرية

* أبو عبد الله محمد بن الحاج التلمساني ـ نزيل تازة ، له شرح على درر ابن بري ، مرت الاشارة اليه ـ ضمن الـذين كتبوا عن ابن بـري ، وله تـأليف في رسم القراء السبعة .

جـ ـ ابن عبد السلام الفاسي (ت 1214 هـ) :

* وهذه شخصية أخرى قد نزعم بأنها مدرسة قائمة بذاتها ، عاشت طويلاً ، وخرجت أجيالاً ، ذلك هو أبو عبد اللّٰه محمد بن عبد السلام بن محمد ـ فتحا ـ بن عبد السلام بن العربي بن يوسف بن محمد الفاسي لقبا ودارا ، ولد في حدود (1130 هـ) ، ونشأ في بيت علم وصلاح ؛ وكان قـوي الذاكـرة ، نـافـذ البصيـرة ؛ حفظ القـرآن في وقت مبكـر ، وأتقن تـجويـده وآداءه ؛ آثر حياة الخشونة ، وتجول في أنحاء البادية ، فأخذ عن مشايخها : (. . ولا زال يستقصيهم في كل قبيلة وعمارة ، ما بين سواحل الهبط وغمارة ؛ حتى حصل على ما عندهم من العلم بالقراءات السبع ، على ما للمغاربة في طريقة الجمع ؛ وبقي هناك سنين يقرأ ويقري ، حتى صار يحلق في مباحثهم ويفري ؛ فحينئذ رجع الى فاس ، مملوء الوطب بالنصوص والقياس . .) .

تتلمذ لكثير من الشيوخ ، ضمنهم فهرسته التي سنتحدث عنها بعد ؛ وممن أخذ عنهم علم القراءات : شيخ الجماعة بفاس أبو زيد المنجرة ، وأبـو حفص عمر بن أحمـد الجامعي ، وأبـو القاسم بن أحمـد الغيـاثي المجاصي ، وأبو حفص عمر بن عبد اللّٰه الفاسي ؛ وكان مسك ختامه أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي ، روى عنه قراءة السبع مشافهة ؛ وأجازه إجازة مطلقة في كل ما رواه عن شيوخه المعتبـرين من المشارقة والمغاربة الذين تضمنتهم فهرسته الجامعة .

ثم لم يلبث أن رحل الى سوس ، وهو من البلاد التي اشتهرت بهذا الفن ؛ فنزل بآيت صواب ، فلقي عدة مشايخ بها ؛ والتف حوله أبناؤهـا فسمعوا منه ، وأخذوا عنه ما لم يكن عندهم من علوم وفنون ؛ فقضى زمناً

ليس بالقصير ما بين تعليم وقراءة ، ونسخ وتأليف ؛ وتوجد بمكتبات سوس الى حد الآن مؤلفات انتسخها بيده ، كالجعبري ، وغيره.

ثم عاوده الحنين الى مسقط رأسه ، فكر راجعاً في حدود سنة (1195 هـ) ؛ وعرج في طريقه على الصويرة ، فأقام بها مدة ؛ أخذ عنه خلالها طائفة من طلابها ، من بينهم : أبو العباس أحمد بن عبد اللّه الهشتوكي ؛ قرأ عليه سبع ختمات بالسبع ، ولما عاد اليها سنة (1202 هـ) قرأ عليه سبع ختمات أخرى ؛ وينوه الشيخ بالاستعداد الذي وجده في هذا الطالب القروي ، ومدى سعة حفظه واتقانه ؛ وبعد هذا التطواف الطويل ، والتجوال البعيد على مدارس القراءات في سائر أنحاءالمغرب ؛ يعود ابن عبد السلام الى فاس مدينة العلم مملوء الوطاب ، وقد وخطه الشيب، وجلله الوقار، واطلع على ما لم يطلع عليه غيره من علوم ومعارف في ميدان القراءات ؛ وأتيح له أن يعرف لهجات القبائل ، وأساليب تلقينهم وطرق تعليمهم ؛ فجبال غمارة ربما كانت أقرب هذه الجهات الى النطق الصحيح بالقاف دون تعقيد ، واللمطيون أحرص الناس على المد الطبيعي ، وطريقتهم هي الطريقة المثلى في الأداء ؛ بينما القبائل الأخرى تختزل في قراءتها ، ولا تكاد تحافظ على مراتب المد.

وهناك في بعض جهات سوس : طريقة خاصة في الجمع والإرداف ، تخالف تماماً الطريق المعروف في بلاد المغرب .

قال في عناية أولي المجد : (.. ولما وصل الى حضرة فاس ، انحشر اليه في طلب العلم ـ الناس ؛ فعقد مجالس يدرس فيها القراءة ، وأخرى يدرس فيها العلوم ؛ مما استوجب له التصدير ، بين أولي التحقيق والتحرير ؛ مشاركاً لأشياخه في أكثر تلامذتهم ، مزاحماً لأعيانهم ـ في مضائق معارضتهم ؛ قوي المعارضة ، كثير التحصيل ؛ بحاثاً نظاراً ، قادراً على الاستنباط ، بصيراً في كل فن بمواقع الأغلاط ؛ يضرب بعض الفنون ببعض ، ليقرب أقصاها ؛ فصيح اللسان ، ثاقب الجنان ؛ يستفيد السامع

من فيه ، أكثر مما يكفيه ؛ يقول لا أدري فيما لا يستحضره من مسائل العلم ، ظاهر الزهد والورع ، قامع الفتن والبدع ؛ يلبس الخشن ، يقول الحق من غير تصنع ولا نفاق كانت مجالسه في التعليم كالترياق ؛ فكل من سمعه ولو ساعة من نهار ، فكأنما يغترف من بحار . .) .

توفي في رجب الفرد عام (1214 هـ)، وخلف آثاراً قيمة في علم القراءات ، منها :

1 ـ كتابه الجامع المحاذي وعنوانه الكامل : « إتحاف الأخ الأود المتداني ، بمحاذي حرز الأماني ووجه التهاني ».

قال في المقدمة : (. . ولما امتن الله علي بفضله واحسانه بحفظ كتابه ، وأقامني في تعليم طلابه ؛ كان في علمه القديم وارادته : أن اقتصر على قراءة الأئمة السبعة الذين أثبتهم الحافظ أبو عمرو الداني في التيسير ، من رواياتهم الأربع عشرة ، وطرقهم الأربعة عشر التي ضمنها ذلك الكتاب ؛ وتبعه على ذلك العلامة أبو القاسم الشاطبي ؛ وان طوى الطرق في كتابه ؛ فقرأته بمضمن الكتابين باستيعاب الوجوه المذكورة فيهما ـ وإن كان الآخذون في هذا الزمان ، يقتصرون على بعض الوجوه ـ تبعاً لشيخ الجماعة ابن القاضي ؛ ثم تاقت نفسي أن أخدم كتاب الله العزيز ـ بوضع محاذ لحرز ولي لله ـ يعني الشاطبي ، ولما أزمعت عليه ، عنَّ لي أن أمزجه بما يظهر لي من توجيه أو تبيين لذلك) . .

وأورد في هذه المقدمة أحاديث في فضل القرآن وحامله ، وعرض لمسألة التواتر في القرآن وقراءاته السبع أو العشر على الصحيح ؛ وكيف أن المسلمين اهتموا بكتابهم الأقدس ، وتناقلوه جيلاً عن جيل ؛ وتحدث طويلاً عن الأئمة الذين نقلت عنهم القراءات منذ عهد الصحابة حتى حصرها المسبع الأول ابن مجاهد في القراءات السبع ، وانتهت الى العشر ؛ وقد جمعها ابن الجزري في كتابه « التحبير » ، وأورد الرواة المشهورين لكل قراءة ، وذكر وفياتهم ، ونبذاً من حياتهم ؛ ثم مهد الى

المقصود بالذات بثلاثة أمور :

أ ـ ذكر سنده والشيوخ الذين يتصل بهم .
ب ـ ذكر مخارج الحروف وصفاتها .
جـ ـ معرفة الوقف والابتداء وأقسامهما .

وقد استغرق حديثه عنها نحو نصف الكتاب ، وكل واحد منها كتاب قائم بذاته على ما سنذكره بعد .

منهجه :

ومنهجه في هذا الكتاب ـ كما أشار الى ذلك في المقدمة ـ : أنه حاذى حرز الأماني للشاطبي ، وهي قصيدة لامية في القراءات السبع ؛ طارت شهرتها في الآفاق ، حتى لقد قال المقري في أزهاره : إنه لا يوجد كتاب نال من سعة الشهرة مثل ما نال شفاء عياض ، وحرز الشاطبي . ويقول ابن عبد السلام ـ مترجمنا ـ إن قراء المغرب في زمانه لا يعرفون غير الشاطبية ، فهي مصحفهم وإمامهم ؛ أما التيسير ، فإنما يعرفونه اسماً لا مسمى .

وقد ساير المؤلف صنيع الشاطبي في الترتيب ، فهو يذكر خلافات القراء في كل مسألة ، مسألة ، ويستوعب سائر وجوهها حسب الرواية التي أخذ بها عن شيخه أبي زيد المنجرة ، عن والده أبي العلاء ، عن شيوخه المشارقة ؛ وهي خلاف طريق ابن القاضي التي تسقط من حسابها بعض الوجوه التي لم يجر بها عمل الناس ؛ .

وحاول أن يربط بين مسائل القراءات وقواعد النحو ، وكأنه تأثر بأستاذه المنجرة في حواشيه على الجعبري كما أشرنا الى ذلك سابقاً .

وأهم المصادر التي اعتمدها المؤلف في هذا الكتاب هي كما يلي :
ـ (التيسير) ـ للامام الداني .
ـ شرحه (الدر النثير) ـ لابن أبي السداد المالقي .

- شراح الشاطبية كالجعبري ، وأبي شامة ، وأبي عبد اللّه الفاسي .
- نظم ابن بري وشروحه .
- (انشاد الشريد) ، (تفصيل عقد الدرر) - لابن غازي .
- مؤلفات ابن الجزري - وخصوصاً كتاب النشر .
- شافية ابن الحاجب وشروحها .
- في مصادر أخرى .

والكتاب - حسب النسخة التي وقفنا عليها - مجلد ضخم ، يقع في 433 صفحة من القطع الكبير ؛ ألفه في حدود (1206 هـ)، وقد أودعه علومه ومعارفه ؛ وهو عصارة فكره ، وخلاصة تجاربه ؛ وقليل أمثال هذا الكتاب في تحريره واستيعابه ، فما أحراه بالنشر والتحقيق !

2 - حاشية على الجعبري ، أسماها (شذى البخور العنبري ، على كنز العلامة أبي اسحاق الجعبري) .
أودع خلاصتها في كتاب (المحاذي) .

3 - (القطوف الدانية ، في شرح الدالية) - وهو شرح وسط ابتدأه في حياة أستاذه المنجرة ، وفرغ منه سنة (1180 هـ) ، وقد وقفت على نسخة كتبت بتاريخ فاتح عام (1200 هـ) .

4 - (تأليف في الوقف والابتداء) - ذكر في المقدمة أنه بناه على ركنين : أحدهما في كيفية الجمع والارداف ، وأوضح أن طريقة المغاربة في ذلك منذ عهد ابن غازي وأشياخه : أن الطالب اذا حفظ القرآن برواية ورش ، جمع اليها رواية قالون في ختمة أو أكثر - مما يتأتى حفظه فيه ؛ فإذا حفظ حرف نافع ، جمع اليه حرف عبد اللّه بن كثير من روايتيه في ختمة أو أكثر ؛ فإذا حفظ حرفيهما ، جمع اليهما حرف ابن عمرو البصري من روايتيه أيضاً في ختمة أو أكثر كذلك ؛ فإذا حفظ الأحرف الثلاثة ، جمع اليها الأحرف الأربعة الباقية من رواياتها الثمان دفعة واحدة ؛ وينتهي الى حال يرضي بها في نفسه ، أو يرضى له بها شيخه ويأذن له في الاقتصار ، أو التعليم إن رآه أهلاً لذلك .

طريقة أهل سوس :

وربما جمع بعض قراء أهل سوس الى الأحرف الثلاثة : حرف ابن عامر الشامي من روايتيه كذلك ، ثم جمع الثلاثة الباقية الى الأربعة .

وقد تحدثنا سابقاً عن موضوع الإرداف بما هو أوسع .

أما الركن الثاني ، فقد تتبع فيه الأماكن التي عينها للوقف عليها الامام الهبطي ، وشرحها شرحاً وافياً ؛ وبين وجهة نظر الهبطي فيها ، والحجة التي اعتمدها في ذلك ؛ وقد أوردت نماذج من ذلك في حديثي عن الذين كتبوا عن وقف الهبطي ـ على ما سنرى بعد .

5 ـ تأليف في وقف حمزة وهشام على الهمز ، قال في مقدمته :

(. . هذا ما اشتدت اليه حاجة الراغبين ، وامتدت اليه أعناق الطالبين ؛ في بيان حكم الوقف على كل لفظ ذي همزة ، لهشام وحمزة ؛ مما انفرد به عن الرسم مشهور قياس ، أو مما اتحد رسمه مع مشهور القياس ، ولو كان مرجوحاً دون التباس ـ حسبما قرأت بذلك على شيخي ومفيدي الحافظ الحجة أبي زيد المنجرة . .) .

6 ـ (تسهيل المعارج ، الى تحقيق المخارج) ، رسالة في مخارج الحروف وصفاتها ، وهي خلاصة ما كتبه في تعليق له على شافية ابن الحاجب في باب مخارج الحروف ؛ وقد أورد هذا الفصل برمته في كتاب المحاذي وقال : إن هذه الحقائق تتلقى من أفواه الشيوخ العارفين بها ، المتلقين لها عن أشياخهم ومن أقوالهم في تصانيفهم ـ ؛ وإن كانت أصول تلك المخارج في طباع كل ناطق، لكنه لا بد لنا من الرجوع الى أقوال علمائنا الذين تقدموا علينا ، وسبقوا الى كل فضيلة . .) .

رأي المؤلف في تعليم الأطفال :

قال : (وليت معلمينا الأولين ابتدأوا بتعليم هذه الحقائق للأطفال عند دفع آبائهم لهم للمعلمين ، ولكن أغفلوها فلا تجد الا عيياً باخراج

الحرف من مخرجه ، أو عاجزاً عن الاتيان بـه متصفاً بصفتـه ؛ فإذا عـوني على تعليم شيء من ذلك بعـد الشيب ، رأى أنه من فـظيـع العيب ؛ وجمد على دائه ، ورأى معلمه ذلك من أكبرأعدائه ؛ فانا لله وانا اليه راجعون . .) .

7 ـ أرجوزة في تصدير ذي الوجهين ، قال فيها :

وبــعــد ذا فــإنــنــي ســأذكــر
من أوجـه الخـلاف مـا قـد صــدروا
حــال الأدا مــمــا حــواه الــحــرز
لـمقــرأ الـسبــع ـ عــداك الـعـجـز
وان تـقــل مــا مــوجـبــاتــه الـتـي
قـضت عـلينـا بــاتـبـاع الجـلة . .

8 ـ وقد وضع عليها شرحاً أسماه « ابراز الضمير ، من أسرار التصدير » ، قال فيه : (كنت كثيراً ما يسألني الطلبـة عن سر تقـديم أحد وجهي الخلاف في الأداء ، ففكرت في ذلك ، ففتح الله علي فيه . . ، وذكر من موجبات التصدير اقتصـار الامام الـداني على الوجـه المصدر أو اختياره له ، وكثيراً ما نجده في كتبه يقول : وبه آخذ ، أو هو الذي أختار ، أو نحو ذلك .

9 ـ تذييل على التصدير المذكور ، وهو رجز نظم فيه المصدر في تخفيف الهمز ، ويحدثنا في هذا الصدد فيقول : (وقـد كنت أعريت ذلـك الرجز من تخفيف الهمز ، وقلت إن لذلك كتباً تتسلم منها أحكامه ؛ ثم سألني بعض فقهاء أهل دكالة أن أبين له ذلك ، زاعماً أن المبتدئين قصرت أفهامهم عن تسلم ذلك من كتبه الموضوعة فيه ؛ ورغب أن يكون ذلك نظماً ليلحق بذلك النظم ؛ فأسعفته في مرغوبه ، وذيلت ذلك برجز بينت فيه ما وسعني بيانه من مصدر في تخفيف الهمز ، وهو أيضاً بأيدي الآخذين . .) .

10 ـ منظومة أخرى في التصدير ، بين فيها الأوجه التي لم يجر عمل الناس بها ، وقد طلب منه ذلك بعض تلاميذه السوسيين ـ وهو بثغر الصويرة ـ يقول فيها :

لقنته وجوه حرزنا على
تمامها وليس ذا عند الملا
لأنه قد ساغ الاقتصار
في بعضها على الذي يختار
فقال ان بينت لي مصدرا
من غيره في النظم كان أجدرا . .

11 ـ وله عليها شرح ، يبدو من سياقه أن الذي سأل منه ذلك ، هو الفقيه المقرىء أبو العباس أحمد بن عبد اللّٰه الهشتوكي الذي لزمه طويلاً بمدينة الصويرة ، وقرأ عليه عدة ختمات بالسبع ـ كما أشرنا الى ذلك سابقاً ، وقد فرغ من هذا الشرح سنة (1202 هـ) .

12 ـ رسالة في المد الطبيعي ، أشار فيها الى أن أهل المغرب ـ باستثناء اللمطيين ـ لا يعطون حروف المد حقها ، بل يختلسونها اختلاساً ، وبعضهم يكتفي فيها بالنية : (. . وطريقة اللمطيين ، هي الطريقة المثلى في القراءات ، وهي طريقة شيخه سيد المحققين أبي البركات أحمد الحبيب ، وشقيقه أبي عبد اللّٰه ؛ قال فما رأينا في أهل المغرب من وفي حروف المد حقوقها ، وأعطاها من المخارج والصفات مستحقها ، سوى هذه العصابة . .) .

13 ـ جواب له نظماً في بعض أوجه القراءات اختلف فيها قراء سوس ، يقول فيه :

سألني بعض الذين أعتني بشأنهم ممن لعلمي يقتني
فقال إن بعض من يعلّم بالسوس قال قولة لا تكتم . .

ـ في (64) بيتاً .

14 ـ رسالة في الوقف الانتظاري أو الاضطراري ، سأله بعضهم في الموضوع ـ وهو بمدينة الصويرة ، فألف هذه الرسالة .

15 ـ رسالة في موضوع الابتداء بما بعد حرف المد اذا كان همزاً .

16 ـ رسالة فيما خالف فيه معلمو الصبيان قواعد الأداء وشروط التجويد ، قال فيها : (. . كان الطلبة يسألونني قديماً في حياة شيخي ـ رحمه الله ـ يعني أبا زيد المنجرة ، فأجيبهم بالجواز ، وسألوا شيخنا في ذلك فمنعه ؛ وكان الطالبون يطالبونني بكتب ما لدي ، فكنت أنكص عنه استصغاراً لنفسي عن الولوج في تلك المضايق وهيبة من شيخي ؛ وكنت طالعت شيخي العلامة المحقق أبا حفص عمر بن عبد اللّه الفاسي بما لدي في ذلك ، فاستصوب رأيي فيه ، وثبتني عليه ؛ ثم بعد ذلك عاودني الطلبة في كتابة ذلك ، فتوقفت ؛ ثم بدا لي أن أكتب ، فكتبت لهم في ذلك كتابة طويلة هي بأيديهم . .) .

وقد أورد أكثر هذه الرسائل في كتابه (المحاذي) وأثبت بعضها في (القول الوجيز) ـ الآتي ذكره .

17 ـ كتاب (طبقات القراء) لم نقف عليه ، ويعتبر مفقوداً الى الآن .

18 ـ أجوبة ـ في مسائل مختلفة من رسم وضبط وقراءة وتجويد ، وما الى ذلك .

19 ـ فهرسة أشياخه ، ذكر فيها أسانيده والشيوخ الذين يتصل بهم .

20 ـ أرجوزة في أسانيده ، جاء في خاتمتها :

وقد مضى ارتباطهم بالمصطفى
ثم الأمين جبرئيل ذي الوفا
وهو عن المولى العظيم أخذه
تلقياً منه فحقق مأخذه
وقيل عن لوح البقاء والقدم
ثم عن القلم عن مسدي النعم

وقــيــل عــن مــيـكــال ثــمـت عــنـي
الـلـوح فــالـقـلـم فــالـمــولـى الـغــنـي
وقـيــل عــن جـبــريــل عـن مــيـكــالا
عـــن ربـنــا ســبــحـــانــه ـ تــعــالــى
كـمــا يـلـيـق بــالـجـنــاب الـعــالــي
ســبـحــانــه مــن مــنـعــم مــوالــي

21 ـ (القول الوجيز ، في قمع الزاري على حملة كتاب الله العزيز) .

دافع فيه عن هذه الطائفة ، وأورد أحاديث في فضلها ؛ والتمس كل المعاذير عما وقعت فيه من أخطاء . . وكان جوابه عن قول الهبطي :

أمــا الــذيـن يقــرؤون الـقــرآن	فــإنهم على سبيــل الشيــطان
تــرك الصـلاة عنــدهم مشهــور	وان تـكن يـفــوتهــا الـحـضــور
قــد ضيعـوا أصــول هذا الــدين	كضيعــة المفــروض والمسنــون
مـا عنـدهم بـالاحتفـال معــروف	الا الــذي أتى بعلم المحــذوف

قال : إن هذا السيد لم يسلم من غلظته أحد ـ سواء في ذلك العامة والخاصة ، ولعل الذي دفعه الى ذلك ما شاع في زمانه من مناكر شنيعة ، وبدع خبيثة ؛ ولم يرد تعنيت عباد الله ، ولا الحكم عليهم بحقيقة الكفر ؛ ولم يقصد تخصيص حملة القرآن ، ولا نقلهم عن تعلم كتاب الله ـ الى تعلم مسائل الفقه ـ كما فهم البعض ؛ إنما أراد نقلهم من الوصم الذميم ، الى الـوصف الرفيـع ؛ وقـد علم الله حسن نيتـه ، واخـلاص طـويتـه ؛ فاستجاب له كثير من الناس : (ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير مما طلعت عليه الشمس) .

وقد فرغ المؤلف من هذا الكتاب سنة (1207 هـ)، ولعله آخر ما كتب ؛ وقد اختصره شيخ الجماعة بفاس أبـو العباس احمـد بن الخياط الزكاري ، (ت 1343 هـ).

تـلاميــذه :

تتلمذ لابن عبد السلام كثيرون ، والآخذون عنه أصناف :

- صنف اخذوا عنه القراءات بالروايات السبع افراداً وجمعاً ، مع تحقيق أحكامها في مجالس الدرس .
- وآخر أخذوا عنه القراءات كذلك ، لكن لا مع تحقيق الأحكام ، بل لمجرد المدارسة أو السماع فقط .
- وثالث سمعوا عنه فنوناً من العلم ، ولم يكن لهم نسب بعلم القراءات .
- ورابع جمعوا بين الحسنيين ، وأحرزوا على الخصلتين ، فأخذوا كلاً من علوم القراءات ، وفنون العلم .

والذي يعنينا : هذه الصفوة التي لها إسهام مباشر في بناء المكتبة القرآنية التي نحن بصدد الحديث عنها ، ولنذكر منها :

* أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان البصري المكناسي ، أخذ عن والده ، ولازم الشيخ مباركاً الشيظمي (ت 1192 هـ)، فقرأ عليه عدة ختمات من القرآن العظيم بما يحتاج اليه من رسم وضبط ؛ ثم انتقل الى فاس ، وأخذ عن جملة من مشايخها ؛ من بينهم: محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني، والشيخ التاودي، وبنيس ، والعراقي ، واليازغي ، وابن شقرون ، في آخرين.

واعتمد في علم القراءات إمام عصره ابن عبد السلام الفاسي ، ويذكر في جملة ما يرويه عنه من مصنفات القراءات : مؤلفات الشاطبي ، والتيسير ، وشرحه ، ونظم الفريد ، وتهذيب الغافقي ، ومؤلفات الصفار ، وأبي الحسن القرطبي ، والجعبري ، وتعريف السهيلي في المبهمات ، ومقنع الداني ، وممتع ابن الكماد ، ومختصر ابن البقال ، وتكملة القيجاطي ، والحصرية ، والخاقانية ، والبارع.

وفي الرسم والضبط : تأليف الخراز ، وابن نجاح ، وابن عاشر ، وابن بري ، وشرح الخراز للتنسي ، والوجيز على الدرر لابن مسلم .

وقد رحل الى المشرق سنة (1203) فحج ، ودخل مصر وغيرها من البلدان ؛ وطوف على الشيوخ في مختلف الأمصار ، فعاد مملوء الوطاب ، وجمع من الروايات والأسانيد ـ ما عز نظيره عند غيره من شيوخ العصر ؛ وممن لقيه في رحلته هذه من مشايخ مصر وسواها : الشيخ الزبيدي ، ومحمد الأمير المصري ، ومحمد بن موسى البيلي ، وسليمان العجلي المعروف بالجمل ، ومحمد الجوهري ، وأبو العباس العروسي ، وعبد الوهاب الشبراوي ، وصالح بن يوسف المقدسي الأزهري.

أخذ عن الشيخين مرتضى والأمير ـ رواية قالون، والبزي، وقنبل، والسوسي ، وهشام بن ذكوان ، وشعبة ، وحفص ، وخلاد ، والدوري ، وأبي الحارث ، ورواية ابن جماز ، وابن وردان ، ورويس، والوراق، وادريس ، وخلف.

ويذكر من مروياته في تفسير القرآن عن العروسي وغيره : تفسير ابن جرير ، وابن عطية ، وبقي بن مخلد ، والزمخشري ، والرازي ، والثعلبي ، والبيضاوي ، والواحدي ، وأبي حيان ، والمحلي ، والخازن ، والسفاقسي ، والحاتمي ، والثعالبي ، والماوردي ، والسلمي ، والسيوطي ، وأبي السعود ، والكواشي.

ويروى من الفهارس : فهرسة ابن غازي ، وابن حجر ، وزكرياء ، والمنتوري ، والقصار ، والشيخ زروق ، وابن الزبير ، والوادآشي ، والبديري ، والبصري ، وأبي سالم العياشي ، وحسن العجيمي ، ورحلة ابن رشيد..

وهكذا أثبت من مروياته في الفقه ، والحديث ، والأصول ، والتصوف ، وعلم الكلام ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، واللغة ، وفقهها ، والأنساب ، والطب ، والفرائض ، والتوقيت ، والتعديل ، والاصطرلاب ، وما الى ذلك ؛ وذكر من أسماء مؤلفاتها ما يقضي منه العجب.

وقد جمع كل هذه المرويات والأسانيد في ثبته الحفيل ، الذي أسماه (اتحاف أهل العناية والتوفيق والسداد ، بما يهمهم من فضل العلم وآدابه والتلقي وطرق الاسناد) ـ وهو يدل على مدى غزارة علمه ، وسعة رحلته ، وشدة اعتنائه بالدراية والرواية ؛ قال في مقدمته : (. . . رأيت هذا الأمر علي أكيد ، انقطعت على أخذ العلم دراية ورواية بعض مشارق الأرض ومغاربها برها وبحرها بريداً في بريد ، ومع ذلك تخاطبني بلسان حالها هل امتلأت ؟ وأقول أما من الخير فلا تقنع ، بل هل من مزيد . . .) ؟!

وقد ضمنه أسانيده ، وأوائل كتب الحديث ؛ وعقد أبواباً وفصولاً في فضل العلم وآداب الطلب ، وختمه بالحديث عن الشيوخ الذين أخذ عنهم بالقراءة أو الإجازة ، فرغ من تبييضه ـ على حد تعبيره عام (1206) .

والغريب أن هذا الرجل ـ على سعة حفظه ، وطول باعه في سائر العلوم والفنون ، أبت كتب السير والتراجم الا أن تطبق بالصمت عنه ، ولم تشر اليه لا من قريب ولا من بعيد ، ولولا هذا الثبت الذي خلفه في مسودته بخط يده لا نمحي أثره ـ ولسان حاله يقول :

« أضاعوني وأي فتى أضاعوا . . . ! » .

* أبو علي الحسن بن محمد بوزيد الخمسي ، من قبيلة الأخماس على مراحل من شفشاون ، أخذ عن شيوخ عدة من قبائل الجبل ، في مقدمتهم : أبو الحسن علي بن علي الحساني السالف الذكر ، وانتهى به المطاف الى شيخ القراء أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي ؛ ولنتركه يحدثنا في هذا الصدد فيقول : (. . . ولتعلم أني ما حدثت بالبدور العشرة ، حتى ختمت القرآن بجميعها نحواً من ستين ختمة وافية كاملة عرضاً ودرساً . . . وكنت لا أصاحب وقت طلبها الا من انتهت إليه في تحقيقها الرياسة الشامخة ، وانقطعت دونه أسباب كل من يسايره في علومها ، ومع شأني هذا ، كانت لي في اخراج الضاد لكنة ، حتى منَّ علي واقي العباد من العناد بصحبة من لا يزال فؤادي بلوعة شوقه يقاسي ،

شيخي وأبي الروحي محمد بن عبد السلام الفاسي ؛ فسمّعني تجويده بحسن نطقه ، وكريم لفظه . . . .) .

وقد رافقه في الأخذ عن الشيخ ابن عبد السلام ، شقيقه أبو الحسن ، وله مؤلفات في علم القراءات ، منها :

1 ـ تأليف في التجويد ، أسماه « تحفة ذوي الألباب ، من القراء والكتاب » كتبه بالقنادسية سنة (1203) .

2 ـ (روضة المقام ، في وقف حمزة وهشام) ، فرغ منه عام (1201هـ) .

* ومن الذين أخذوا عن ابن عبد السلام السلطان الجليل العالم المقرىء أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي (تـ1238هـ) .

أخذ عن والده العالم السني المولى محمد بن عبد الله ، وحفظ القرآن على الشيخ المقرىء أبي محمد عبد الوهاب أجانا ، وأتقن رسمه وضبطه ، وكان السلطان المولى سليمان يجله ويقدره ؛ ومن تقديره لشيوخ هذا العلم ، واكرامه لهم : أن أبا العلاء البكراوي نظم ثلاثة أبيات في علم القراءات ، فأجازه عليها بثلاثمائة مثقال ، وهو الذي أمره بتأليف كتابه (التوضيح والبيان) على ما سنذكره بعد. ويحدثنا صاحب الاستقصاء عن مدى طول باع هذا السلطان في علوم القرآن فيقول : (. . . واذا تكلم في علوم القرآن ، أنهل بما يغمر مورد الظمآن . . .) .

ومن أمثلة حرصه الشديد على كتاب الله والعمل به: ما يذكره ابن سعيد قاضي سجلماسة في كناشته ، قال إنه رأى في يد أحد الطلبة بعض كتب التصوف ، فقال له يا فلان ، عليك بكتاب الله ودع عنك هذا .

والحديث عن السلطان المولى سليمان ، ومآثره العلمية والاصلاحية ، طويل الذيل؛ فلنكتف بهذا القدر ، ولنذكر من آثاره القرآنية :

1 ـ رسائل انتقد فيها مواضع من وقف الهبطي ، وربما كان أميل الى الوقف السني .

2 ـ بحث في قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول. . . ﴾ ـ الآية، تعرض فيه لمسألة الغرانيق، وصحح أوهاماً وقع فيها كثير من المفسرين.

3 ـ ومن نظمه يذكر أسانيده في علوم القرآن وسواها :

أول من علمني القرآن والرسم عبد الوهاب أجانا
وسندي في الضبط والروايات عن الفاسي عن شيخه بحر الفرات
عابد الرحمان الشريف المنجرة عن والد : ادريس رسم العشرة

* أبو عبد الله محمد التهامي بن محمد بن مبارك بن مسعود الحمري الأربيري، من بيت علم وقراءة ؛ وكان والده وجده من **شيوخ القراءات**، حفظ القرآن بالسبع على ابن عبد السلام الجبلي ؛ وكان حسن الصوت، اذا تلا فكأنما أتي مزامير داود ؛ آخذ عن جماعة من شيوخ مراكش، كأبي الحسن البوعناني، وأبي عبد الله الدكالي، وابن عبد الكريم الرحماني، وسواهم.

رحل الى المشرق صحبة شيخه محمد بن عبد السلام الناصري عام (1211هـ)، فأدى فريضة الحج ؛ ولقي جماعة من شيوخ العلم والقراءات فأخذ عنهم ؛ وقرأ على الشيخ ابن عبد السلام الفاسي الشاطبية بالجعبري، وقصيدة ابن المرحل في القراءات، ودالية ابن المبارك، وسواها.

سمع على أبي محمد أحلوي نظم الدرر اللوامع، وتصوير الهمز والضبط ؛ وكان الى تضلعه في علم القراءات عالماً أديباً له باع طويل في علوم اللغة، ناقش ابن المرحل في مواضع من قصيدته الآنفة الذكر.

ومن شعره قصيدة مطولة تشفع بها لدى السلطان المولى عبد الرحمان في أبناء قبيلته (حمير) وقد قاموا ضد بعض العمال، جاء فيها قوله :

امنن عليهم كما منَّ الرسول على وفد هوازن مع ما كان من خلل الخ

فقبل شفاعته فيهم ، وأجابه برسالة مسهبة ، أعقبها بقصيدة يقول فيها :

يا عالما أبدت القربى حنانته	فجاء من رائقات النظم بالمثل
شفعت في حمير ترجو نجاتهم	والظلم منهم وليس الظلم من قبلي
ما حمير غير أنصار ومهما هفوا	فالعفو من شيمتي والصفح من خللي

الى أن يقول :

فالعفو شيمتنا والحلم سيرتنا	وراثة من أبينا سيد الرسل

له نظم في وقف حمزة وهشام وضع عليه شرحا أوضح مسائله وبين مقاصده ، وقصيدة لامية في تصوير الهمز .

* أبو عبد الله محمد بن علي اللجائي ، له تأليف في الطرق العشر ، مر الحديث عنه ضمن الذين كتبوا عن مقرأ نافع .

* محمد بن أحمد السوسي ، من آثاره في علم القراءات :

قصيدة لامية في رسم ابن العلاء البصري ومن وافقه ، نظمها سنة (1222هـ) تقع في 73 بيتا :

(وأبياتها) عج وعامها (شركب)	محمد نجل أحمد السوسي قائلاً

* محمد بن قاسم العيدوني الخمسي ، له نظم في مراتب المد .

وابن عبد السلام من الذابين عن حملة كتاب الله ، والمدافعين عنهم بكل قواه ؛ فقد ألف كتابه (القول الوجيز في قمع الزاري على حملة كتاب الله العزيز) ، ورسائل اخرى ذياداً عنهم ، ودفاعاً عن حماهم ؛ ولكننا رأيناه في غير ما موضع من كتبه يرفع عقيرته بالشكوى من ضعف همم الطالبين ، وعزة الراغبين ، وقلة الشيوخ المعتبرين ؛ حتى انه خرج الى البادية يبحث عنهم بين شعاب الجبال ، وتلول الصحراء. . .

* ولعل تلميذه أبا العلاء البكراوي هو آخر أيمة هذا الشأن بفاس وما

حولها ، ويتجلى ذلك واضحا في الحوار الذي دار بينه وبين أحد طلبته من أبناء البادية؛ قال الشيخ لتلميذه ـ بعد أن باتا ليلة ساهرة يتجاذبان أطراف الحديث في شؤون هذا العلم ، وخاضا في مسائله ، وفي كل فن من فنونه : ـ ما كنت أظن أنه بقي من يذاكرني في هذا الفن ، فإذا مت أنا وأنت انقطع من يتقنه . ولكن الطالب القروي ـ وهو أبو العباس أحمد ابن عبد المومن الغماري (تـ 1262) ـ عقب على كلامه وقال : لا تقل ـ يا سيدي ـ هذا ، فإن فضل اللّه لا ينقطع ؛ وكأنه يعني أن البادية ، عامرة بشيوخ هذا الفن .

والشيخ البكراوي ، هو أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد القادر ابن أحمد بن عيسى الودغيري الملقب بالبكراوي ، حمل راية القراءات في وقته ؛ وكان اليه المراجع في ذلك ، عارف بالتجويد ، لا يضاهيه فيه أحد من أبناء عصره ؛ حسن الصوت ، كثير التلاوة ، متفننا في علوم شتى : من فقه ، ونحو ، ولغة ، وما الى ذلك ؛ محبا لأهل الدين والصلاح ، كثير الذكر ، أخذ علم القراءات عن الشيخ ابن عبد السلام الفاسي ولا نعرف له في هذا الفن شيخا سواه.

قال في السلوة : (وبه ختم فن القراءات ، فلم يوجد بعده بفاس من يقوم فيه قيامه ؛ كان فصيحاً بليغاً ، خطب بالسلطان المولى سليمان في فاس العليا ، ثم في الرصيف ؛ وفي أيام خلافة المولى عبد الرحمان ، تولى خطابة القرويين ، وظل به الى أن تنحى عن ذلك في أخريات حياته . .).

وكان السلطان المولى سليمان يقدره ، ويعرف فضله في هذا الفن ، فإنه البقية الصالحة من شيوخه ، وكان كثير الاتصال به يجالسه ويذاكره ؛ وقد أسلفنا أنه أجازه على ثلاثة أبيات في القراءات بثلاثمائة مثقال ، توفي في 16 محرم 1257 هـ.

ودفن بجوار قبة أبي العباس اليمني ، وخلف مؤلفات في علم

القراءات ، أنهاها بعضهم الى ثمانية عشر مؤلفاً ، منهـا :

1 ـ التوضيح والبيان في مقرأ نافع المدني بن عبد الرحمان)، جعله ـ كما يقول سلما لتعليم الصبيان ، وتذكرة للشيوخ الماهرين في القرآن ؛ وقد أمره بتأليفه السلطان المولى سليمان ، واقترح عليه أن يرتبه على حروف المعجم ؛ مهد له بأبواب ، منها :

أ ـ في فضائل القرآن .
ب ـ في فضل حامله .
جـ ـ فيما يجب من إجلال حامل كتاب الله .
د ـ فيما ينبغي أن يتحلى به حامل القرآن .
هـ ـ في صفات الشيخ المقرىء .
و ـ في حقيقة التجويد .
ز ـ في الحث على الترتيل .
حـ ـ في الاسناد ومزاياه وقد أورد في هذا الباب سنده الى شيخه ابن عبد السلام ، عن استاذه أبي زيد المنجرة ، عن والدِ أبي العلاء ـ بسنده المتصل الى رسول الله (ص).

وفي اصطلاح الكتاب يقول: (واعلم أنني رتبت أحكام هذا الكتاب على حروف المعجم التي أولها الألف وآخرها الهمزة ؛ وكل حرف من هذه الحروف لا يخلو حاله من ثلاثة أحكام : إما أن يكون حكمه قائما بنفسه لا يتوقف فيه على ما قبله بحيث اذا ما فرضنا سقوط ذلك الحرف الذي قبله ، سقط ذلك الحكم عنه ؛ وإما أن يكون قائما بينه وبين الحرف الذي بعده بحيث اذا فرضنا كذلك سقوطه ، سقط ذلك الحكم عنه ؛ وقد وضعت لكل حرف من حروف المعجم بابا ، ووضعت في كل باب ثلاثة فصول ـ يعني رئيسية ، وثمة فصول أخرى فرعية) .

السلطان المولى سليمان يضع تصميم الكتاب :

قال : (وليس هذا التقسيم من فهمنا ، بل الأمير المذكور هو الذي فصله

هكذا بخط يده . . .). ولعله أول معجم قرآني بالمغرب ، جمع فيه مؤلفه أحكام القراءة ومسائل التجويد ـ حسب حروف المعجم في القرآن الكريم .

وقد صدره كمدخل الى المقصود بثلاثة أبواب :

- باب التعوذ .
- باب البسملة .
- باب مخارج الحروف .

كما ختمه بثلاثة أبواب أخرى من الضروري معرفة القارىء لها ، وهي :

- باب الروم والإشمام .
- باب الوقف على مرسوم الخط .
- باب حقائق صفات الحروف .

وقد لخص فيه درر ابن بري ، مع اضافات وتهذيب وترتيب ؛ فرغ منه عام (1231) ؛ طبع على الحجر بفاس، وقد وضع عليه حاشية شيخ الجماعة بفاس أبو العباس أحمد بن الخياط الزكاري ؛ كما وضع عليه أقصبي حاشية أخرى أسماها (فتح المنان على التوضيح والبيان) .

2 ـ ومن أهم مؤلفاته كذلك (عمدة البيان في حكم المحذوف في القرآن) ارجوزة في (387) بيتا ، رتبها على حروف المعجم ، وقد نظمها سنة (1292هـ) :

تم بحمد الله في ذي القعدة	عشرون عاما قبل تسع عدة
من بعد عشرة من المئين	ومائتين عد من السنين
سبعين بيتاً من ثلاثمائة	وعشرة عدته مع سبعة

3 ـ وضع عليها شرحا قال فيه : انه أهمل الوجوه التي لا عمل عليها ، وبذلك كمل حسنها ، لأنها صارت من العمليات في الرسم .

4 ـ درر المنافع ، في أصل رسم السبعة غير نافع ، منظومة في 220 بيتاً :

أبيــاتهـا عشــر تضيء كــالــدرر وعـشــرة ومـائـتـان تــعـتـبـر

5 ـ حاشية علي الجعبري .

6 ـ تقييد في تفسير الغضة .

7 ـ شرح دالية ابن المبارك .

8 ـ (أزهار الحدائق ، في علم مخارج الحروف والصفات والبوائق) : أرجوزة في نحو مائة بيت .

9 ـ نظم في الوقف بين السكت والوقف .

10 ـ رجز في مراتب المد لدى القراء السبعة ، قال فيها :

وبــعــد فــالمــد لــه مــقــدار صــح بــه الآداء والآثــار
للسبعــة الغر بــدور الأمـة . . . . . .

11 ـ منظومة في التوسط ، قال فيها :

أقول لخل قد تخلق بالجد تأملت توسيطا لدى رتب المد

12 ـ قصيدة في أحكام الراء :

أقــول مــقــالا يـشـمــر الــدر عــن مــقــر
ويــرشــد مـن قــد ضــل فـي أحــرف الــذكــر
أقــرر فــيــه حــكــم راء لــســائــل
يصير به فوق السماكين والنسر

13 ـ رجز في همز الوصل :

القــول في البـدء بهمـز الـوصـل لــورشـهم ثـم بشـكــل النـقــل

ـ وهناك طائفة من قراء هذا العصر ، أسهموا بدورهم في بناء المكتبة القرآنية ، نذكر منهم :

* أبا العباس أحمد بن محمد بن عجيبة ، العالم الصوفي الشهير ، (تـ1224هـ) ؛ مؤلفاته تربو على الثلاثين ، منها :

- التفسير الكبير الموسوم بـ (البحر المديد ، في تفسير القرآن المجيد)
  وثلاثة تفاسير على الفاتحة : صغير ، وكبير ، وأوسط ، صدر المطول منها بمقدمة في العلوم الاسلامية ، وفي فنون القرآن بصفة خاصة ، وهي مهمة جدا.
- والكشف والبيان ، في متشابه القرآن.

وله في القراءات :

- (الدرر المتناثرة ، في توجيه القراءات المتواترة).

- أبو عبد الله الزفري السريفي ، له منظومة في الجمع والإرداف ، تقع في نحو 233 بيتاً ؛ قال فيها :

وبعد فالقصد بيان الجمع ... وصنع إرداف بطرق السبع

وجاء في خاتمتها :

جمعه العبد الضعيف المفتقر ... لعفو مولاه الغني المقتدر
محمد يعرف بالسريفي ... للزفر ينتمي بلا تحريف
من أجوبات ومحاذي الفاسي ... شيخ شيوخنا الإمام الأقدس

* أبو زيد عبد الرحمان التنهلي القصري ، المعروف بالفقيه الفرمي ، له شرح على ضبط الخراز ، مر الحديث عنه ضمن الذين كتبوا عنه.

* أبو عبد الله محمد بن الجلالي الشهير بالشيظمي ، من آثاره :

(رمز الثلاثة المكملين للعشرة) فرغ منه عام 1223هـ وهو رابع الذين كتبوا في الموضوع من المغاربة ، وقد تحدثت عن الثلاثة الآخرين سابقا.

* أبو محمد الخياط السوسي الروداني (تـ1235هـ) ، له : تقاييد في علم القراءات.

* أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري (تـ1239هـ) ، من آثاره القرآنية : (الدر النفيس ، في ذم التنكيس) ـ يعني تنكيس القرآن ، بحيث يقرأ آية ، ثم يرجع الى آية أخرى قبلها ، وهي تستعمل كثيرا في صناعة الارداف ؛ وابن عبد السلام الناصري هـذا من العلماء السنيين ، وربما ألف كتابه هذا رداً على الذين ابتدعوا صناعة الارداف.

* عبد اللّٰه بن محمد بن محمد بن ناصر ، له :

- قـرة العين ، في مقرأ الحبـرين ـ مقرأ الامـام حمزة ـ مقـرأ ابن عـامـر البصري ،
- رواية عاصم .

* أبو الحسن علي بن حميدان الحلال ، نزل وزان وقضى بها مدة ؛ ثم انتقل الى شفشاون وبها توفي سنة (1263هـ) ، له مساجلات مع نده الشيخ البكراوي في فنون القراءات.

* أبو عبد الله محمد بن علي المبارك الدحاني الضرير ، له أجوبة في مسائل من القراءات.

* أبو العباس أحمد بن علي الوزاني ، أخذ عن الشيخ ـ إبـراهيم السـرغيني ، وابن الحاج التلمسـاني ، وأبي محمد المنجـرة ، والكرطي الدكالي ـ في آخرين . له تأليف في رسم القراء السبعة.

* أبو محمد عبد الفاضل بن أحمد السوري الزياتي ، أصله من سورا ـ مدينة بالأندلس ، انتقل أسلافه إلى بني زيات إحدى قبائل غمارة ؛ وكان حياً سنة (1295هـ) ، لـه كتاب (جمـع القراءات وتـركيبها) ـ يعني بـه الجمع والإرداف ، وقد طبق ذلك على عدة آيات ، وقرر فيها سائر وجوه القراءات .

* أبو علي الحسن بن محمد بن أحمـد بن عبد العـزيز اللجـائي الملقب بكنبـور (تـ1283) ؛ ألفي / تـرجمته تلميـذه قـاضي فـاس أبـــو محمد الهواري (تـ1328هـ) تأليفا أسماه (شفاء الصدور في ترجمة سيدي لحسن كنبور).

وللشيخ كنبور عدة مؤلفات في علم القراءات ، منها :

شرح على دالية ابن المبارك ، وشرح مستقل على الإدغام الكبير من حرز الأماني ، وحواشي على فتح المنان ، وشرح على باب الهمز من مورد الظمآن .

* أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، له : تأليف في رسم القراءات السبع ، رجع فيه الى عدة مصادر في الموضوع ؛ ذكر في المقدمة انه سأله بعض الأحبة أن يضع لهم رسم القراءات السبع ، مشيراً بصورة (ش) لشيخه بواسطة أبي زيد المنجرة ، وبصورة (ع) لابن عاشر ، وبـ (غ) لابن غازي ، وبصورة (ع) لأبي العلاء ادريس المنجرة ، وبـ (ق) لابن القاضي ، وبصورة (ج) للجعبري ، وبـ(جز) لابن الجزري .

* أبو حفص عمر بن عبد الله الخطابي ، له : قصيدة لامية في رسم القراء السبعة .

* أبو عبد الله محمد بن أحمد حجاج اليحمدي ، له كتابات في موضوع القراءات ؛ منها : جواب له عن سؤال : هل الحركات هي الأمهات والحروف تولدت عنها ، أو العكس ، أو ليس أحدهما أما للآخر ؟

وقد ذكر أن القراء والنحويين اختلفوا في ذلك على ثلاثة أقوال ، والمرجح أن الحروف هي الأصل والحركات متولدة عنها كما هو مذهب ابن بري .

* أبو العباس أحمد بن محمد المرابطي ، له (هداية الطالبين ، وتذكرة المقرئين) قصيدة لامية في 71 بيتا .

* أبو العباس أحمد ابن مسعود التزكلمتي ، له أجوبة في القراءات .

* أبو محمد الحسين بن محمد الخزاني الخمسي ، من آثاره : مختصر في مشهورالوقف على الهمز لحمزة وهشام .

* علي بن سليمان الدمناتي ، له قصيدة لامية في قراءة ورش ، وله عليها شرح .

* أبو العباس أحمد بن عبد الله أكرماز المراكشي ، من مؤلفاته : (شفاء العليل)، تحدث فيه عن مسائل من القراءات ، وعن وجوه « تأمننا » - بصفة خاصة .

* أبو عبد الله محمد بن العربي السباعي ، من آثاره : (المصباح في الرسم القرآني) أرجوزة في (129) بيتا .

* أبو العباس أحمد أنجار الباعمراني ، له : منظومة في الإرداف .

* أبو عبد الله محمد التهامي ابن الطيب الغربي السيفي ، له أرجوزة في رسم ورش عن شيخه نافع ، أسماها نصـرة الكتاب ، تقع في (367) بيتا ، نظمها سنة (1247هـ) .

* أبو زيد عبد الرحمان السوسـي نـزيل درعة ، له مؤلف في انكار رموز الطلبة في الألواح .

* أبو علي الحسن بن أحمد التزنيتي ، له تأليف في كشف الرموز ، أسماه (التنبيه) .

* أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي جمعة الودغيري ، له تأليف في رمزية الكلمة .

* محمد برادة، له منظومة في القراءات .

* محمد الفلالي ، له أبيات في الروم والاشملي .

صالح بن محمد السملالي اللمطي ، له : منظومة في القراءات .

ــ شرح على منظومة في افراد ابن عامر .

* عبد الهادي الشريف الحسني ، له أجوبة في التجـويد ، تليهـا قصيدة لامية في نفس الموضوع .

* الحسن بن علي بن سعيـد العثمـاني ، لـه : أصـول القـراءات الثمان .

* أبو عبد الله الكرطي الدكالي ، له تقاييد في علم القراءات .

* أبو محمد عبد السلام الشريف الزالي ، له نظم في مراتب المد الطبيعي ، وقصيدة لامية في رمزية ابن كثير ، ضمنها رموز الرسم والتراكيب ، تقع في (152) بيتاً.

* أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، صاحب الاستقصا ، كان عالما مقرئا ، حفظ القرآن بالروايات ، أخذ عن شيوخ عدة من أصحاب هذا الفن.

ومن آثاره في هذا الميدان : (الفوائد المحققة ، في إبطال دعوى أن التاء طاء مرققة) .

* أبو عبد الله محمد بن أحمد الورياغلي ، من تلاميذ الفقيه كنون صاحب الاختصار ؛ ومن آثاره : (شفاء الصدور ، في تحريم لحن الفجور) ، نظمه - كما يقول في اللحن العجمي - اقترحه عليه الفقيه المقرىء حافظ السبع أبو عبد الله محمد بن الحاج الشريف الورياغلي ، قال فيه :

إذا اجتمع القراء في محفل الغدا ... لدى البعض يقرءون باللحن والددا
يسمون ذا اللحن القبيح بصيغة ... به استوجبوا التقطيع والذبح بالمدى

وله عليها شرح.

* عبد السلام بن الحسين العلمي ، له أجوبة في الرسم والضبط ، وتقييد في الرسم للقراء السبعة.

* أبو محمد عبد الكريم أغزيل الأنجري ، له أجوبة في مسائل مختلفة في علم القراءات.

* أبو العباس أحمد بن الطاهر العلمي الصفصافي السريفي ، من آثاره :

- (تحفة الأبرار) - في القراءات.

رسالة تشتمل على أسانيده في القراءات.

* أبو محمد عبد الكريم البراق ، له تقاييد في علم القراءات.

* أبو العباس أحمد أغزيل الأنجري ، له أجوبة في مسائل القراءات.

* المحجوب الصحراوي ، من آثاره قصيدة لامية في الثبت والحذف سماها كشف الرموز والإشارات ، له عليها شرح.

* أبو العباس أحمد الربيعي السوسي ، له قصيدة لامية في الثبت والحذف ، سماها (كشف الرموز) ـ تعرف بالگناوية ـ رتبها على حروف المعجم، تقع في نحو (800) بيت وهو ضعيف النظم.

* ـ شيخ الجماعة بفاس أبو العباس أحمد بن محمد بن الخياط الزكاري الحسني (تـ1343) ، خلف آثار علمية قيمة في علمَ القراءات منها :

ـ تلخيص القول الوجيز ـ لابن عبد السلام الفاسي.

ـ حاشية على توضيح البيان ـ للبكراوي ـ مرت الإشارة اليها.

ـ تقييد في مخارج الحروف ، نبه فيه على أخطاء يقع فيها كثير من القراء مثل اخراج بعض الخروف من غير مخارجها ، كالجيم والتاء والقاف والضاد ـ طبع على الحجر بفاس.

ـ ورسالة في وقف الاستراحة.

ـ أبو عبد الله محمد بن عيسى الحسناوي، له شرح مستقلّ على باب الهمز من مورد الظمآن ، تعرض فيه لمسائل تصوير الهمز على مذهب القراء السبعة.

* أبو محمد عبد الله زيطان الخمسي ، له طرر على شرح كنبور لتصوير الهمز السالف الذكر.

* أبو القاسم بن أبي الحسن الدراولي ، له قصيدة لامية في القراءات.

* أبو محمد عبد الله التناني الشهير بالخداش ، له قصيدة لامية في رمز مكي ، تقع في (302 بيتاً).

* أبو عبد الله الحاج محمد بن حمان أشماخ الحزمري ، له قصيدة لامية في الثبت والحذف ، ضمنها قصيدة أبي العباس أحمد بن عبد الله الربيعي السوسي ـ الآنف الذكر ، أسماها « النجمة المضيئة » ، تقع في (931 بيتاً) ، وقد نظمها سنة (1323هـ).

* أبو عبد الله محمد بن عمر الهادي ، له قصيدة لامية في ذي المثال : التراكيب المتماثلة ، تقع في (113 بيتاً) ، وقد نظمها سنة (1295هـ).

* أبو عبد الله محمد بن عبد المجيد بن عبد الرحمان أقصبي ، (تـ1364هـ) ، له حاشية على الجعبري ، وأخرى على (التوضيح والبيان) للبكراوي ـ أشرنا اليها سابقاً .

* محمد بن عبد الكريم الزواوي ، جمع طررا على (انشاد الشريد) لابن غازي ، وهي في الأصل هوامش على نسخة مصححة من الإنشاد المذكور.

* أبو عبد الله محمد بن عبد الله السوسي الولتيني ، له رسالة في نظائر القرآن.

* يحيى بن موسى الحلواني ، له منظومة في حروف الحمل ، تقع في (136 بيتاً) ـ وهو ضعيف النظم.

* أبو زيد عبد الرحمان الزدوتي ، له (مصدرة للطالبين) ـ قصيدة لامية في القراءات السبع.

* ـ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم أعجلي الباعقيلي السوسي ،

اشتهر في قبائل سوس بفن (الحطيات) له مؤلفات في ذلك ، (تـ1271هـ) .

من آثاره :

- (ميم الجمع) رتبه على الحروف الهجائية ، قال فيه : انه كتاب عظيم ، جميع فيه ميم الجمع كله الموجود بعد الحروف الأربعة : الهمزة ، التاء ، الكاف ، الهاء . .

- رسالة في هاء الضمير ، مرتبة على حروف المعجم .

- تقييد التنوين الذي جاء في آخر الكلمة في القرآن العظيم ، وفيه ثلاثة أنواع : المضموم ، المنصوب ، المكسور ـ وهو مرتب على حروف المعجم .

- (الهداية لمن أراد الكفاية ، على ضبط أواخر الكلمة بما صح بالرواية) .

- (الاتصال الكبير) ـ وهو مجموع متداول بين الناس ، أضيفت اليه اضافات ، وزيدت عليه زيادات ؛ مما جعل نسخه تختلف اختلافا بينا ، وتتفق ـ في مجموعها ـ على الموضوعات التالية : الاتصال ، الانفصال ، الوزن ، وهي مرتبة حسب سور القرآن .

* أبو محمد عبد السلام بن الطاهر بن سعيد (تـ1272 هـ)، له رمزية القراء السبعة في (170) صفحة .

* أبو العباس أحمد بن عبد الله الميزوري ، ولد أوائل النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري بقرية مازورة في بني مسارة ـ احدى قبائل الجبل بشمال المغرب ـ على بعد نحو (20) كلم من وزان .

تعلم ببلده ، وأخذ القراءات عن شيوخ الجبل ؛ وكان آية في الذكاء والحفظ ، جمع بين المدرستين الحطية والعددية ؛ سهل عليه النظم ، حتى استوى عنده مع النثر ؛ وكان له إلمام بالعربية ، ويقال إنه ألف اجرومية بأسلوب مبسط ، وبعث بها إلى شيوخ فاس فانتقدوه ، وزيفوا عمله .

وأبـو العبـاس الميـزوري ، من الشيـوخ الـذين ذاع صيتهم بهـذه الجبال ، دخلت أنظامه وقصائده كل مدرسة وكتاب ، بل صار بعضها من الأمثال السائرة بين الطلاب ، مثل قوله :

أما حروف كفـظش * فأكثر من عام وأنـا أنفتش * ولا وجدتهم في ورش * سوى متميلا

وقصائده في الثبت والحذف أشهر من « قفـا نبـك » .

قضى أبو العباس أكثر حياته في تعليم كتاب الله ، ومن أهم المراكز التي أقرأ بها : (أنفزي) بقبيلة بني مسارة ؛ وكان الطلبة يحجون اليه من كل جهة ومكان ، وكانت له مهارة عجيبة في فن الخط ، تسأله عن كلمة من القرآن ، فيذكر لك عددها ونظائرهـا ، وما جـاء منها بـالثبت والحذف ، والوقف وغير الـوقـف الى غير ذلك ؛ فيملي عليك في الموضوع ما يصلح أن يكون كتابا ، وينظم ذلك في حينه .

خلف تلاميذ كثيرين أذاعوا في الناس قصائده ودواوينه ، وخصوصا منها أنصاص بعيد التي يعتبر المخترع الأول لها على ما سنذكره بعد .

توفي في حدود نيف وعشرين وثلاثمائة وألف ، له عدة منظومات في الثبت والحذف ، ودواوين في الأنصاص وسواها .

الثبت والحذف :

وموضوع الثبت والحذف ، تناوله الأقدمون كباب من أبواب الرسم ، ونجد ذلك عنـد الداني في المقنع ، وابن نجاح في التنـزيل ، والمـرادي البلنسي في المنصف ، والشاطبي في العقيلة . وهي عمدة كتب الأداء عند أهل هذا الشأن ؛ ونظم ذلك بعضهم فقال :

عمدة أرباب الأداء في الحسـاب	أربـعـة لـكـل واحـد كـتـاب
منهم أبـو عمـرو ويـدعى الـداني	كـتـابـه « المقنـع » خـذ بيـاني
وسـليمـان بـن نـجـاح عـرفـا	كتـابـه (التنـزيـل) أيضـا يلفى

وهــو أبــو داود أيـضــا كنيتــه والـشــاطبـي معــه « عـقيلتــه »
رابـعـهــم أبــو الـحـسـيـن عـليٌّ كتــابــه « المـنـصـف » يــا ذكي

أما المينوري ، فله ـ كما أسلفنا ـ قصائد وأنظام ، منها : ارجوزته التي يقول في مطلعها :

وقال أحمد عبد الله * المرتجي مغفرة الإله ـ وهي مرتبة على حروف المعجم .

ومن قصيدة له في الثبت الأخير :

بدأت باسم القاهر على حروف الآخر

بالثبت خذ ياذاكر من الصحيح منقلا

الأنصاص :

والى جانب ذلك ، فقد كانت له أنصاص خاصة طارت شهرتها بين طلاب البادية ، وهي نصوص تساعد على حفظ القرآن واتقان رسمه وضبطه ؛ واخترنا التعبير عنها بـ(الأنصاص) ـ كما ينطق بها أصحابها ، واللغة لا تمانع في ذلك.

ويبدو أن هذه النصوص ظهرت ـ أول ما ظهرت ـ بالأندلس في حدود المائة السادسة للهجرة ، فقد أورد أبو الحسن الرعيني (592 ـ 666هـ) في (برنامجه) جملة منها ؛ ذكر أنه أخذها عن بعض شيوخه كأبي علي المعروف بالزبار ، قال : وأنشدني ـ رحمه الله ـ لغيره :

حكيم عليم في التــلاوة خمســة فلا تسمعن في قول من قال سادس
ففي سـورة الأنعـام منهـا ثـلاثــة وفي الحجر حرف ثم في النحل خامس

ويحفظه الطلاب ـ بأسلوبهم الملحون ـ هكذا :

(ومن زاد سادسٌ ، كلامه ناقصٌ)

قال الرعيني : وأنشدني أيضا :

سـألـت اذا أتـى لـعـب ولـهــو ... وكم من مـوضـع هـو في القـرآن
فحـرف في الحديـد وفي القتـال ... وفي الأنعــام أيـضــا مــوقعــان

وقد اقتفى المغاربة أثرهم في ذلك ، لكن الطابع الخاص الذي يميز أنصاص الأندلسيين ؛ هو الفصحى والتعبير بالسور كالأنعام ، والحجـر ، والنحل ، والحديد ، وسواها ؛ بينما المغاربة - في الغالب الأعم - يعبرون بالأحزاب، والأرباع، والأثمان ؛ وربما اكتفوا عن كل ذلك بالكلمة الواردة قبل محل الشاهد ؛ وذلك نحو قول بعضهم في عدة (ومن يكفر) أو (فمن يكفر) بالفاء أو الواو :

مـا ننسـخ ننبئكم تفـرقـا حـرمت ... دابة (ومن يكفر) بالواو فخمسـة
وعكسهم قل بالفاء حرفان في النكر ... تلك الرسل أحس فخذهم مكملا

ويمكن تقسيم هذه الأنصاص - باعتبار الموضوعات التي تناولتهـا - إلى ما يتصل بالرسم ، والضبط ، والتجويد ، والوقف ، وما الى ذلك ؛ وبعبارة أصح : أنها دخلت في كل موضوع من موضوعات القرآن ، وحتى القراءات السبع .

ولنكتف في الثبت والحذف بما أوردنـاه سابقـا من أنظام وقصـائد وأرجـوزات ، ومن الأنصاص القصيـرة قول بعضهم في (يؤتي) بـالمـد وغيره :

واعبـدوا تفـرقـا ، أخـذ وبــوأنـا ... (ويؤت) بغير الحمل أربع في الذكر
وعكسهم قل بالحمـل هاك ثـلاثة ... خـرجوا ومعـروف والليـل تسهـلا

ولعل أخصر هذه النصوص وأخفها : نصوص بعيد ، ويقال ان أبا العباس الميزوري هو أول ناظم لها ؛ ونكتفي بكلمة بعد أو بعيد مثل :

- صـادقين قل باليـاء (أل) عـددهم ... بعيـد كانـوا كنتم ومـا كنـا مكمـلا

ـ تتقـون قـل بـالتـاء بعـد لعلكم أفـلا فـكيـف آلله ألا (يط) جـلا
ـ يحزنون قل باليـاء (يح) عـددهم بعيـد ولا هم في القـرآن مكمـلا
ـ يظلمون قـل باليـاء (يد) عـددهم بعيـد ولا كـذا وهم لا يـا سـائـلا

والشأن أن تكتب هذه الأنصاص أسفل الألواح ، فيحفظها الطلاب كما تحفظ المتون الأولية المعروفة بـ(الكراريس) .

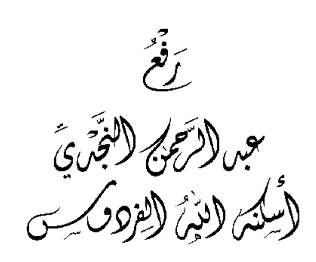
وهذه الصناعة التي غايتها : إحصاء كلمات القرآن وتعداد حروفها ، ربما قلل من شأنها العلماء القدامى ـ أمثال السخاوي والسيوطي وسواهما ؛ لكن بعض المتأخرين اعتبرها عملا أقل ما يقال فيه : أنه خـدمة للقـرآن الكـريم ، وتمكين للطلاب من حفـظه واستيعـاب كلمـه ، (والأعمـال بالنيات) .



الباب الثالث

في الوقف ومذاهب القُرّاء فيه





تمهيد

من فروع القراءات : الوقف ، ومر بنا أن العصر الوطاسي من أزهى عصور المغرب في علم القراءات ؛ تعددت مدارسه في الحواضر والبوادي ، وفيه نشأت مدرسة الوقف ـ وكان لها اتجاهان :

1 ـ اتجاه نظري اجتهادي

2 ـ اتجاه سني توقيفي

الفصل الأول

في الوقف النظري

ويمثله أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي السماتي ـ واضع وقف القرآن بالمغرب ـ وقد تلقاه الناس بالقبول ، ولا يزال العمل به الى اليوم.

ولد أبو عبد الله الهبطي في حدود منتصف القرن التاسع الهجري في مدشر أهباطة ـ فيما يبدو ـ من قبيلة سماتة احدى قبائل الجبل بشمال المغرب ، ولذا جاءت نسبته هكذا : الهبطي السماتي ؛ ويرى بعضهم أن الهبطي نسبة الى جبال الهبط المعروفة.

وسماتة ـ كما هو معلوم ـ كانت الملجأ الأخير في وجه الأدارسة أيام ابن أبي العافية ، وبها حجرة النسر الشهيرة ، ويقال لها حجرة الشرفاء ؛ وقد أنجبت هذه القبيلة علماء أفذاذا ، منهم : أبو عبد الله محمد بن الحسن الجنوي ـ أستاذ الشيخ الرهوني ، (ت 1200 هـ)، ولو لم يكن منها الا هذان الإمامان لكفى .

تعلم الهبطي ـ على عادة أبناء البادية ـ في الكُتّاب ، فحفظ القرآن وجوده ؛ وكانت مدينة القصر الكبير ـ وقتئذ ـ من أهم المراكز الثقافية بالمغرب ، ولا بد أنه درس بها ، أو على الأقل أخذ تعليمه الأولي فيها.

على أن البادية كانت مزدهرة بمدارس القراءات ، وشيوخ الروايات ؛ بل هي التي حافظت على هذا الفن وعملت على انتعاشه عندما تقلص ظله

بالحاضرة على ما سنذكره في موضع آخر من هذا البحث.

ثم رحل أبو عبد الله الهبطي الى فاس ، وأنهى بها دراسته ؛ وتطبق الروايات بالصمت عن الشيوخ الذين أخذ عنهم - اذا استثنينا أبا عبد الله بن غازي الذي ربما كان آخر من لقيه بفاس ، كما أنها لا تذكر من تلاميذه - إلا أبا عبد الله محمد بن علي بن عدة الأندلسي (تـ975هـ) ؛ مع أن الرجل كرس حياته لتعليم كتاب الله ، وتلقين رواياته ؛ وتلاميذه - وما أكثرهم - هم الذين أشاعوا مذهبه في الوقف ، وقيدوه عنه حتى اكتسح أقطار أفريقية كلها.

كان أبو عبد الله الهبطي - عالما عاملا ، خيرا تقيا ؛ فقيها فرضيا ، متبحرا في علوم العربية ، عارفا بالقراءات ووجوهها ؛ وقد حلاه في السلوة بالشيخ الإمام ، العالم الهمام ؛ الفقيه الأستاذ المقرىء الكبير ، النحوي الفرضي الشهير ؛ الولي الصالح ، العالم الناصح ؛ ثم قال : (. . . وكان عالم فاس في وقته ، أستاذا مقرئا ، عارفا بالقراءات ، مرجوعا اليه فيها ؛ وكان موصوفا بالخير والفلاح ، والبركة والصلاح ، ذا أحوال عجيبة ، وأسرار غريبة . .).

توفي بفاس سنة ثلاثين وتسعمائة (930هـ) ، ودفن في روضة الزهيري بطالعة فاس.

ولم يصلنا من آثار الهبطي إلا هذا الوقف الموجود بين أيدي الناس ، وهو العنوان البارز للمصحف المغربي ، والطابع الشخصي للمدرسة القرآنية بالمغرب.

ولعل اهتمامه بتعليم القرآن ، واشتغاله بتدريب الطلاب على النطق السليم والتلاوة الصحيحة ، هو الذي دفع به الى وضعه ؛ بحيث يعرفون كيف يقفون ؟ وأين يصلون ؟ وما هي مواطن الوصل والوقف ؟ حتى لا يختل المعنى ، وتضيع الحكمة التي نزل من أجلها القرآن الكريم.

وتلك مرحلة أولى في منهاج تعليم القراءات عند الامام الهبطي ، ولعل ذلك ما جعله لا يهتم بالتأليف ، ولا يعنى بأي علم من العلوم الأخرى ؛ سيما وقد فسدت ألسنة الناس ، فأصبحوا مغنين أكثر منهم مقرئين ؛ ويشخص هذه الظاهرة العالم المقرىء أبو الحسن بن سبع في قصيدة له يقول فيها :

تبرز للاقراء فيها جماعة ولا خبرة تبدو لديهم ولا نقد
سوى نغم يبدونه بتلحن وتطريب ألحان لمن راح أو يغدو

والمهم ـ عند العلماء العاملين ـ هو النفع الكبير ، لا التأليف الكثير ؛ ويروى عن أبي عبد الرحمان السلمي ـ أنه كان يحدث الناس بحديث عثمان : خيركم من تعلم القرآن وعلمه . ويقول : هذا الذي أقعدني مقعدي هذا ـ ويشير الى كونه جالسا في المسجد الجامع بالكوفة يقرىء الناس القرآن، ويقرأه مع جلالة قدره، وحاجة الناس الى علمه؛ وظل كذلك بجامع الكوفة أكثر من أربعين سنة ، وعليه قرأ الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ.

ما هو الوقف ؟ هناك ثلاث كلمات تدور عند أرباب هذا الفن : الوقف ، السكت ، القطع ، وهي ألفاظ مترادفة عند الأقدمين ؛ وفرق بينها المتأخرون فجعلوا الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمانا يتنفس فيه عادة ـ بنية استئناف القراءة ، لا بنية الإعراض ؛ والسكت عبارة عن قطع الصوت زمنا هو دون الوقف عادة من غير تنفس ، فان طال ، صار وقفا.

أما القطع ، فهو عبارة عن قطع القراءة رأسا ، ولا يكون إلا على رؤوس الآي .

والوقف : فن جليل القدر ، عظيم الخطر ؛ به يعرف كيف أداء القراءة ، ولا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ، ولا استنباط الأدلة الشرعية الا بمعرفة الفواصل ؛ ولا يقوم بهذا الفن الا من له باع في العربية ، عارف بالقراءات والتفسير والفقه ، عالم باللغات التي نزل بها القرآن .

والأصل فيه ما أخرجه أبو جعفر النحاس عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : لقد عشنا برهة من دهرنا وان أحدنا ليؤتى الايمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها ؛ كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأينا اليوم رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحته وخاتمته ما يدري ما أمره ولا زجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده.

ولعل الحكمة من وضعه : أنه لما لم يمكن للقارىء أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ، ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل، بل ذلك كالتنفس أثناء الكلمة ؛ وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة ، وارتضاء ابتداء بعده.

وقد حض الأئمة على تعلمه ومعرفته ، وتواتر عن السلف الصالح الاعتناء به ، والاهتمام بشأنه ؛ حتى لقد اشترط بعضهم على المجيز أن لا يجيز أحدا الا بعد معرفته للوقف والابتداء.

وممن اشتهر عنهم هذا الفن : ـ أبو جعفر بن القعقاع ، ونافع بن رويم المدني ، وأبو عمرو بن العلاء ، ويعقوب الحضرمي ، وعاصم بن أبي النجود ، وعلي بن حمزة الكسائي ، والأخفش الأوسط ، ومعمر بن المثنى ، وسواهم.

وألف في الوقف كثيرون ، من بينهم : أبو حاتم السجستاني ، وأبو جعفر النحاس ، والزجاج ، وأبو سعيد السيرافي ، وأبو بكر الأنباري ، وأبو محمد النعماني ، وأبو جعفر السجاوندي ، وأبو عمرو الداني ، والخزاعي ، وأبو محمد النكزاوي ، وآخرون .

مذاهب الوقف :

وفي الوقف مذاهب ، لكل مذهب مغزاه ومبناه ؛ فنافع كان يراعي حسن الوقف والابتداء بحسب المعنى ، وكذلك الشامي.

والمكي يراعي الوقف على رؤوس الآي ، ولا يعتمد وقفا على أواسط الآي الا في ثلاثة مواضع : ﴿ **وما يعلم تأويله الا الله** ﴾ ـ آل عمران ، ﴿ **وما يشعركم** ﴾ ـ الأنعام ، ﴿ **انما يعلمه بشر** ﴾ ـ النحل.

والبصري اختلفت الرواية عنه : فقيل انه كان يعتمد الوقف على رؤوس الآي ، ويقول : هو أحب الي ؛ وقيل : انه كان يطلب حسن الابتداء ، ويذكر الرازي عنه أنه كان يطلب حسن الوقف.

وكذلك اختلفت الرواية عن عاصم الكسائي ، واتفق الرواة عن حمزة أنه كان يقف عند انقطاع النفس ؛ فالقرآن عنده كسورة واحدة ، ولذا لم يعتمد وقفا معينا ، وآثر وصل السورة بالسورة.

قال السفاقسي : (وهذا عند قراءة كل بانفراد ، وأما مع جمعهم ، فالذي عليه شيوخنا مراعاة حسن الوقف والابتداء ـ كنافع ؛ لأنه المبدوء به ، وهو مذهب جمهور القراء ؛ وهو ظاهر صنيع من ألف في الوقف والابتداء ، لأنهم لم يخصوا قارئا دون قارىء).

مذهب الهبطي في الوقف :

ويرجع هذا الاختلاف الى مذهبين اثنين : أحدهما اعتماد كلمات هي رؤوس الآي ، والثاني مراعاة كلمات يتم المعنى والاعراب عندها ، أو الاعراب دون المعنى ، أو المعنى دون الاعراب ؛ على هذا المذهب بنى الهبطي وقفه ، فهو يراعي الإعراب والمعنى في الوقف والابتداء على ما سنذكره بعد.

وقبل أن ننظر في وقف الهبطي ومذهبه فيه ، نلقي على أنفسنا هذا السؤال : ما هي الدواعي التي دفعت الهبطي لوضع هذا الوقف ؟

ربما كانت هناك دواعي متعددة ، منها ـ كما أومأت الى ذلك سابقا ـ ما كان الناس عليه من انحراف في التلاوة ، وخطأ في الأداء ؛ يقفون على غير ما ينبغي الوقف عليه ، ويصلون ما لا يجوز وصله ؛ وربما وصلوا آية الرحمة بآية العذاب وبالعكس ، فيفسد المعنى ويضيع الذي نزل من أجله

هذا الكتاب الأقدس ؛ وقد يضطر أحدهم الى الوقف ، فلا يـدري كيف يقف ؟ ولا أين ؟ سيما وقد اشتهر بين الناس في هذا العصر وقبلة بأزمان ـ صناعة الإرداف في القراءات ، فيقفون وقوف اختلاس ؛ ويجرون الوصل مجرى الوقف، حتى إن أحدهم ليسقط سقوط المصروع بالجان؛ فرأي أبو عبد الله الهبطي أن يضع لهم هذا الوقف كمراحل ينزل المسـافر بهـا ، ويتجدد نشاطه من أجلها ، فحدد المواضع التي يقف فيها القارىء يدفع النفس الحار ، ويجلب النفس البارد ، وبذلك يندفع عنه التعب والحرج ، وتقع له الاستراحة الداعية للوقف ؛ ثم يستـأنف القراءة من بعـد الكلمة الموقوف عليها الى الموضع الذي يقف عليه ثانية ، وهكذا الى أن يقف وقوف انقطاع ، وينتهي من القراءة.

على أن الوقف مما ينبغي تعلمه ، ولا يجوز للقارىء جهله ؛ وقد قال أبو بكر الأنباري في قوله تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ : إن هذه الآية تدل صراحة على وجوب تعلم الوقف وتعليمه ، قال علي(ض) : الترتيل تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف. فهذا واجب ربما أهمله الناس، فندب الهبطي نفسه للقيام به ، وجند في سبيله كل قواه.

كذلك هناك سؤال آخر يفرض نفسه علينا وهو : ما هي العوامل التي جعلت مذهب الهبطي في الوقف ينتشر بهذه السرعة داخل المغرب وخارجه وقد كانت قبله مذاهب ، وألفت في الوقف مؤلفات لم يلتزم الناس العمل بها لا قديما ولا حديثا ؟ وعندما نرجع الى المصاحف القديمة في المشرق والمغرب ، لا نجد أي علامة على الوقف ، وانما المـوجود بهـا علامـة رؤوس الآي ؟ . . .

قد نزعم بأن الروح المعنوية التي كان يتحلى بها الإمام الهبطي ، والانتصارات التي سجلها على خصومه المناهضين له ؛ هي التي جعلت مذهبه ينتصر ، ويحمل طابع الخلود ؛ وربما يلمح الى هذا المعنى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي ـ اذ يقول في كتابه (المحاذي) ـ بعد أن

أورد قصة السنوسي مع الشيخ الهبطي ومناظرته له في الوقف الذي اصطلح عليه : (فلم يسعه الا التسليم له ، وكان سبب إقبال الناس على ما قيد عنه من الوقف . .) .

على أن المغاربة نزاعون الى الوحدة بطبيعتهم ، فهم في الفقه على مذهب مالك ، وفي العقيدة على مذهب الأشعري ، وفي التلاوة على قراءة نافع برواية ورش ؛ فغير بعيد أن يختاروا مذهب الهبطي في الوقف ، وهو في الحقيقة مذهب إمامهم نافع .

ذكرت سابقا أن الهبطي قد بنى مذهبه في الوقف على مراعاة الإعراب والمعنى في الوقف والابتداء ، وربما كان بعضه خاضعا لنكت في التفسير ؛ والبعض الآخر لمدارك في الفقه والتشريع ، أو لوجه من وجوه القراءات ؛ أو لأسرار وحكم أخرى قد لا يدركها القارىء العادي ، وانما يعقلها العالمون المختصون في هذا الفن .

وأمام هذا يجوز لنا أن نقسم الوقف الى ثلاثة أقسام :

ـ قسم وافق فيه الهبطي غيره كالداني ، وابن الأنباري ، وسواهما ـ وهو أكثر وقفه .

ـ وقسم تركه ولم يعتمده ـ لتجاذب الدليلين فيه ، أو لترجيح أدلة الوصل عنده ، أو لأنه الأصل والوقف طارىء .

ـ وقسم انفرد به ـ ولم يوافق أحدا ممن سبقوه ، والناس في هذا فريقان : فريق مؤيد ، وفريق منتقد على ما سنبينه بعد .

والوقف عنده ـ فيما يبدو ـ على ثمان مراتب : تام ، وأتم ، وحسن ، وأحسن ، وكاف ، وأكفى ، وجائز ، ومقبول .

تقييد وقف الهبطي :

تكاد تتفق نسخ وقف الهبطي على هذا العنوان : (تقييد وقف القرآن) للشيخ أبي عبد الله الهبطي قيده بعض طلبته .

إذن ، فهذا التقييد الموجود بأيدي الناس ليس من صنع الهبطي ، وانما هو من عمل بعض تلاميذه ؛ ولذا اختلفت نسخه ما بين زيادة ونقصان ؛ فمنها ما فيه زيادة على الكلمات الموقوفة ـ أسماء السور ، وكونها مكية أو مدنية ، والتنصيص على مواضع الأحزاب ، والانصاف ، والأرباع ، والأثمان ؛ ومنها ما هو مجرد من كل ذلك ، بل اقتصر فقط على الكلمات الموقوفة ؛ وكأن الشيخ كان يملي على طلبته هذه الوقوف ، ويبين لهم وجه الوقف عليها ؛ وربما ذكر الحجة في ذلك ـ وهم يدونون في مذكراتهم كل حسب قدرته واستعداده ـ كما هي الطريقة ـ الى اليوم ـ في التعليم العالي.

وذهب بعض المتأخرين الى أن الهبطي قيد هذا الوقف عن شيخه أبي عبد الله بن غازي ، وهو وهم منشأه ـ فيما أعتقد ـ هذه العبارة التي وردت في نشر المثاني للقادري (ت 1187هـ) ـ ج 2 ـ 19 ـ هكذا :

(. . . وهو ـ أي الهبطي ـ أخذ عن ابن غازي ، وعنه قيد الوقف . . .).

أي عن الهبطي قيد الوقف ـ بضم القاف وكُسر الياء ـ مبنيا للمجهول ، وربما ذهب الوهم بالقارىء الى قراءته (قيد) ـ بفتح القاف والياء ـ مبنيا للمعلوم ، وهي قراءة غير صحيحة كما لا يخفي . وأصل هذه العبارة ما جاء في (الدرة الغراء) ـ لأبي عبد اللّه المهدي الفاسي (ت 1109) (. . . وكان ما قيد في ذلك عن الأستاذ المقرىء أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي . . . قد شاع في هذه البلاد . . .) ـ وهي كما ترى عبارة صريحة واضحة لا غبار عليها ، ومثله لأبي العلاء ادريس بن محمد الشريف المنجرة(ت 1140 هـ): (. . . وأهل المغرب انما يعتنون بما قيد عن الشيخ الامام محمد بن أبي جمعة الهبطي . . .).

على أن هناك رواية نقلها غير واحد ، تذكر أن الامام أبا عبد الله السنوسي ورد على فاس ،وناظر الهبطي في الوقف الذي اصطلح عليه ، ثم

أذعن وقرأ عليه ختمة بالوقف الذي وضعه ؛ ومعلوم أن السنوسي قد توفي سنة (895هـ) ، وهي السنة التي قدم فيها ابن غازي على فاس واستوطنها ، ثم تصدر للاقراء بها ؛ فيكون الهبطي ـ إن صحت هذه الرواية ـ قد وضع الوقف الذي اصطلح عليه ، ونقله الناس عنه ـ قبل لقائه بابن غازي بزمان ؛ وأخذ الشيوخ بعضهم عن بعض ـ لا غضاضة فيه ، فهذا السنوسي ـ وهو أكبر سنا بكثير من الهبطي ـ يأخذ عنه ؛ وكانت عادته أنه كلما سمع بشخص مختص في فن من الفنون الا رحل اليه ، وسمع منه الفن الذي اختص فيه مهما كان شأنه وصغر سنه ؛ وهي من رواية الأكابر عن الأصاغر المشهورة في علوم الحديث.

وأيا كان ، فهذه النسخ التي بين أيدينا ـ وهي تحمل عنوان (تقييد الوقف عن الهبطي) ـ قد تداولها الناس، وتلقوها بالقبول جيلاً بعد جيل؛ وكتبوا عنها كثيرا ، وانتقدوا منها ما رأوه صالحا للانتقاد ؛ فلم يقل ـ ولو واحد منهم ـ إن هذا الوقف قيده الهبطي عن ابن غازي ، أو غيره من الشيوخ.

وهناك نسخة عتيقة رأيتها بمكتبة الأوقاف بالمدينة المنورة تحمل نفس العنوان: (تقييد وقف القرآن العظيم) ـ قيده بعض الطلبة عن الشيخ الأستاذ أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي ـ رحمه الله ورضي عنه. عاشت عصر المؤلف ، أو قريبا منه ؛ وقد كتبت حولها حواش وتعاليق ، ولعلها لبعض تلاميذ الشيخ ، أو تلاميذ تلاميذه ؛ وهي تذكر من الشيوخ ـ أمثال القدومي ، ومحمد بن يوسف (مهدي الزياتي) ، وأبي العباس الصغير ، وأبي علي الزياتي ، وأبي القاسم بن القاضي ، وأبي فارس الزياتي ؛ وتلقي أضواء كاشفة عن المصادر التي اعتمدها الهبطي ـ كوقف الداني ، والنحاس ، وأبي بكر الأنباري ، وما الى ذلك مما يبين وجهة نظره في بعض المواضع التي انتقدت عليه ، وبعضها لم تثبت روايتها عنه ، ولم توجد في النسخ المعتمدة .

وفي الخزانة الحمزاوية نسخة مصححة كتبت بتطوان ، وقرئت على

كثيـر من الشيوخ ، يـرويها صـاحبها بسنـده المتصـل الى أبي عبـد الله الهبطي ، صورت بالميكروفيلم للخزانة العامة بالرباط.

وهـذا لا يعني أن الهبطي هـو أول من تكلم في الـوقف من قـراء المغرب كوجه من وجوه الآداء ، بل تكلم قبله كثير ولا سيما في مسألـة الإرداف التي خلطوا فيها أوجه الوقف.

وهذا العالم المقرىء الشريف أبو الحسن المنوني المكناسي (ت بعد 870 هـ) ، كان يعلم تلاميذه إعراب القرآن ، ويدربهم على وقوفه ؛ وممن أخذ عنه ذلك ـ أبو عبد الله بن غازي ـ كما أومأت الى ذلك سابقا.

كـان لا بد للهبـطي الذي طلع على النـاس بمذهبـه الجـديـد في الوقف ـ وقدر له أن يفرض وجوده ، وينتشر في أصقاع أفريقية ـ أن يجد أنصـاراً مؤيدين ، وخصـوماً معـارضين ، ويؤلف في الموضـوع كـل من الفريقين .

الذين كتبوا عن وقف الهبطي :

* ومن الذين كتبوا عن وقف الهبطي ، وتتبعوا مواضع الضعف فيه ـ أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي ، العالم الصوفي ؛ كان له تبحر في علوم التفسير ، والحديث ، والسير والتاريخ ، والأنساب ، (ت 1109 هـ) له مؤلفات، منها:

ـ « ممتـع الاسمـاع ، في الجزولي ومن لـه من الأتبـاع»، وذيله : « الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع » ، وله على دليل الخيرات ثلاثة شـروح ، وكتب في السيرة النبـوية ثـلاثة كتب؛ وألف في الـوقف كتابه : (الدرة الغراء ، في وقف القراء) ، قال في مقدمته : (. . . وكان مما قيد في ذلك عن الأستاذ المقرىء أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي ـ على قراءة نافع ، الذي جميع بلاده المغرب له فيه تابع ؛ قـد شاع في هـذه البلاد ، وكـان قد احتـوى على مواضـع ضعيفـة ، وأخـرى بعـدم

الصحة موصوفة، أردت أن أرسم في ذلك تقييداً ، يكون بذكر ما للناس في ذلك مفيداً ، وذكر ما في اعرابه أو معناه من خلاف أو احتمال ، مما ينبني وقفه على ذلك ولا يخرج عنه بحال . . .) .

ومن المواضع التي انتقدت عن الهبطي :

- في سورة البقرة : ﴿ **فلما أضاءت ما حوله** ﴾ - الآية 17 ، قيل : إنه وقف على الشرط دون الجواب : ﴿ **ذهب الله بنورهم** . . . ﴾ - والمعنى انما يتم بذلك .

وأجيب بأن هذا من الوقف الكافي عند الهبطي على حذف جواب لما ، وتقديره طفئت النار ، والسياق دال عليه ، وذهاب النار لا يعين انطفاء النار المستلزم عدم انتفاعهم بشيء من أعمالهم المراد من التشبيه ، وعلى استئناف جملة ذهب الله بنورهم والضمير للمنافقين ، وقد اختار هذا الوجه الزمخشري ، وناقشه فيه أبو حيان.

- ﴿ **رزقاً لكم** ﴾ - الآية 22 ، وقف على السبب دون المسبب : ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادا** ﴾ ، وهو أيضاً من الوقف الكافي ، لتعلقه بما بعده ، اذ هو مسبب عنه ؛ وليس خبرا عن الذي ، لما قاله السفاقسي من أن صلته ماضية ، فلا تدخل في خبره . . .).

- ﴿ **ثم يحييكم** ﴾ الآية 28 ، فيها الوقف على المعطوف عليه دون المعطوف : ﴿ **ثم يحييكم** ﴾ ، وأجيب بأن هذا من الوقف الكافي ، فلا محظور فيه ، قال ابن عبد السلام : (ولعله نظر الى أن الإماتة الأولى المعبر عنها بقوله تعالى ﴿ **وكنتم** أمواتا ﴾ ، والإحياء الذي بعدها ، والإماتة التي بعده ، هي من عالم الدنيا ، وأن الإحياء الذي للاماتة الثانية ، هو مبدأ عالم الآخرة ، فوقف بينهما ، لتغايرهما بهذا الاعتبار وقفاً كافيا للارتباط الذي بينهما.

- ﴿ **فسجدوا** ﴾ - الآية 34 ، وقف على المستثنى منه : ﴿ **واذ قلنا**

للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ﴾ ، دون المستثنى : ﴿ الا ابليس . . . ﴾ وهو عنده كاف ، اعلاما بأن الاستثناء منقطع على الصحيح في أن ابليس من الملائكة ؛ وقد ذكر السيوطي في الإتقان ـ في الوقف على المستثنى منه دون المستثنى ـ ثلاثة مذاهب.

ـ ﴿ ان ترك خيراً ﴾ ـ الآية 180 ، قيل إن الوقف عليه يؤدي الى الفصل بين الفعل (كتب) ونائبه الوصية ؛ قال الداني : وقال نافع ، ومحمد بن عيسى الأصبهاني ، والدينوري : إنه وقف تام وليس كذلك ؛ ثم أورد وجوها من العربية تجعله من الوقف الكافي ، أو الحسن.

وقيل إن نائب الفاعل الجار والمجرور وهو ﴿ عليكم ﴾ ، ولم يقصد الى بيان الموصي به ـ ايهاما، لتتشوق النفس الى معرفته ، وتذهب كل مذهب حتى يتمكن منها عند وروده ؛ ثم استؤنف ذكر الموصي به بيانا ، أي هو المكتوب عليكم « الوصية للوالدين » . قال ابن عبد السلام : (ولعل هذا مطمح نظر الهبطي ، وعليه فالوقف على ﴿ خيرا ﴾ تام ، أو كاف ، أو حسن ـ ان جعل حقا مصدرا لكتب على حد جلست قعودا ، أي أوجب عليكم حقا) .

ـ ومثله ﴿ عرضة لأيمانكم ﴾ ـ الآية 224 ، وكأن الهبطي رأى أن قوله ﴿ أن تبروا ﴾ متعلق بمحذوف استؤنف ، اذ معنى ﴿ لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ﴾ : لا تكثروا الحلف به وتبتذلوه ؛ فكأنه قيل : لم نهينا عن ذكر اسم الله وتكراره على أفواهنا ؟ قيل : نهيتم ارادة أن تبروا ، لأن الإكثار من اليمين يستلزم الحنث الكثير ، فيشق على الحانث الكفارة على كل حنث ، فيقع في الاثم لا محالة ؛ فإذا لم يكثر من الحلف ، كان مظنة البر.

قال ابن عبد السلام : (فيكون قد انتهى الكلام عند قوله : ﴿ لأيمانكم ﴾ ، فهو وقف كاف ؛ وقال الزجاج : إنه مبتدأ خبره محذوف ، أي بركم وتقواكم وصلاحكم أولى .

وقدره التبريزي : (خير لكم من أن تجعلوا الله عرضة لأيمانكم .) .

ـ ومن سورة النساء : ﴿ **أو دين** ﴾ الآية 12 ، ورد ذكره في الآية أربع مرات، وقف الهبطي على الثلاث الأول منها ـ وترك الوقف على الرابعة؛ قال ابن عبد السلام : (وكأنه اعتبر ناصب ﴿ **غير مضار** ﴾ أنه يوصي ، واعترض بأنه ان كان يريد يوصي المذكور ، فان فيه فصلا بين العامل ومعموله بأجنبي وهو ﴿ **أو دين** ﴾ ، وانظر هل يصح أن يقال : إن المعنى من بعد وصية يوصي بها ، ومن بعد دين يوصي بقضائه ـ اقرارا به لمن يفيد اقراره به له ؛ فيكون ﴿ **غير مضار** ﴾ معمولا ليوصي الذي هو صفة لدين ، وحذف استغناء بما قبله ؛ أي غير مضار ورثته باعطاء ماله بذلك الاقرار ، وذلك حيث تستوعب الوصية الثلث مثلا وهو يريد التضييق عليهم باعطاء أكثر من الثلث ؛ فيوصل بحيلة الإقرار بالدين ، فنهاه الله عن هذه الحيلة .

ـ ومما انتقد من ذلك ، وشنعوا عليه فيه ـ قوله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة** ﴾ المائدة ـ آية 64 ، فالوقف عليه ربما يوهم ما لا يليق به سبحانه وتعالى ؛ وكان من المتشددين في ذلك عالم تطوان : أبو الحسن علي بركة ، فقد قيل : إنه أوقف حبساً على من ينبه القارىء عند وقفه على ﴿ **مغلولة** ﴾ . والذي عليه المحققون : أنه من الوقف الكافي ، وعده بعضهم من الوقف الجائز .

ـ ومثله قوله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله** ﴾ التوبة ، آية 30 .

فالوقف عليهما عده بعضهم من الوقف الممنوع ، بل من الحرام الذي يكفر به صاحبه ؛ وقد تصدى أبو العباس الأشموني في كتابه : (منار الهدى ، في الوقف والابتداء) ـ للرد على صاحب هذا الرأي ، وشنع عليه القول بالحرمة ؛ وقال : ان ما نسب لابن الجزري من قوله :

مغلولة فلا تكن بواقف   فانه حرام عند الواقف
ولا على المسيح ابن الله   فلا تقف واستعذن بالله

فـانــه كـفـر لمــا قـد عـلمــا قد قاله الجزري نصا حسبما. . .

قال : هو مخالف لما عليـه الأئمة ، بـل هو من الـوقف الكافي ؛ لتناهي مقول الفريقين ، وقيل : إنه من الوقف الجائز.

ويطول بنا الحديث لو تتبعنا ما نوقش به الهبطي ، وإنما أوردنا هذه النماذج ، لإطلاع القارىء على وجهة نظر الهبطي في ذلك.

وقـد أثارت بعض وقـوف الهبطي أنـظار السلطان المولى سليمـان العلوي ، فكتب رسـائل فيهـا انتقادات واستـدراكات على الهبـطي . . . ووافقه على ذلك جماعة من علماء عصره.

وانتقد كذلك الشيخ أبو شعيب الدكالي بعض وقوف الهبطي ، أكثرها مما أجاب عنه ابن عبد السلام الفاسي ، وذكر أبو شعيب أنه كان ينبغي للهبطي أن يقف في المعوذتين خمس وقفات في كل من السورتين :

- ﴿ قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غـاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد ﴾.

- ﴿ قـل أعوذ بـرب الناس ، ملك النـاس ، إله النـاس ، من شر الـوسـواس الخنـاس ، الـذي يـوسـوس في صـدور النـاس من الجنــة والناس ﴾ .

الفصل الثاني

في الوقف السني

لم يكد ينتهي القرن الحادي عشر للهجرة ، حتى كانت مدرسة الهبطي سيطرت تماما على جل أنحاء المغرب ؛ ولم يبق أمامها الا ذلك القسم النائي الموالي للصحراء في أقصى جنوب المغرب : درعة وما حولها.

الوقف السني :

فقد كانت هناك مدرسة أخرى تنازعها السيطرة ، وتنافسها الزعامة ، قد اختارت لنفسها الوقف السني ، وكان لها أنصار ومؤيدون ؛ وقد تزعم هذه الحركة العالم العامل أبو عبد الله محمد بن ناصر الجعفري الزينبي (ت 1085هـ).

وكان هناك تنافس بين المدرستين ، وتصارع بين أنصار المذهبين ؛ وكانت الأسئلة ترد ـ من حين لآخر ـ على العلماء المختصين في هذا الفن تريد أن تعرف أي المذهبين أولى بالاتباع ؟ وأية المدرستين أجدى للقارىء المغربي وأنفع ؟ وكان لا بد للعلماء أن يقولوا كلمتهم النهائية في الموضوع ، وهي دائما الدواء الناجع والبلسم الشافي لكل داء.

ومن أنصار هذه المدرسة : أبو العباس أحمد بن عبد الله الصوابي ـ نسبة الى آيت صواب من قبائل جزولة ،ولد سنة (1095هـ) ، وبدأ تعلمه على شيوخ بلده ؛ ثم رحل الى زاوية (تامكروت) ـ بدرعة ولها من شيوخ العلم ورجال الفضل من قد لا يوجد بغيرها من حواضر المغرب ،

وهناك أتم دراسته ، تأثر الصوابي بمذهب شيخه الناصري ، وطريقته في السلوك والجد في العمل والنصح للعباد ، وأبو العباس الصوابي ـ وان لم يكن مقرئا كبيرا ـ فهو صاحب مدرسة رفعت راية التجويد ردحاً من الزمن ؛ قضى جل حياته في تعليم كتاب الله ومحاربة القراءة المنحرفة ، وقد أعلنها حرباً شعواء على وقف الهبطي ، وكتب في ذلك رسائل، (ت 1149 هـ).

وقد تردد في هذا المعنى السؤال التالي :

. . . كيف يحيد القراء عن الوقف النبوي ؟ وما حجتهم في تركه والذهاب الى غيره ؟ والاعتذار بأنهم راعوا الإعراب والمعنى غير مخلص في ترك المروي ، ولم لا يقال حسبنا الاتباع ؟ وكيف كان الوقف قبل وقف الهبطي : أعلى رؤوس الآي ؟ أو يقف كل عند تمام المعنى الذي يظهر له ؟ فأجاب عن ذلك أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي الدلائي (ت 1136هـ) ـ وهو من أوعية العلم ، ومن المجلين في سائر الفنون ؛ قال في الجواب عن هذا السؤال الدقيق ـ وقد حاول أن يكون حكما عدلا لا يميل الى أي الجانبين ـ : (. . . إنهم إنما عدلوا عن الوقف النبوي ، لما نص عليه الأئمة من أن وقفه ـ عليه السلام ـ لم يكن منه على جهة الالتزام ، بل كان يقف للاعلام برؤوس الآي ؛ فاذا علمت ، وصل للتمام ؛ لأن علم الآيات توقيفي ، لا محل للرأي فيه ؛ حتى قال ابن العربي : (وتعداد الآي من معضلات القرآن ، اذ من آياته طويل وقصير ؛ ومنه ما ينقطع ، ومنها ما ينتهي الى تمام الكلام ؛ ومنه ما يكون في أثنائه . . . ومن عدم التزامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ للوقف على ما ذكر ، نشأ الاختلاف في عدد الآي ؛ قال : ولما رأى أئمة القراء أن الغرض المقصود من الوقفات النبوية ـ وهو معرفة رؤوس الآي قد حصل ، وفهموا عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدم الالتزام لذلك ؛ استنبطوا وقوفات تحصل لها فوائد أخرى مما يرجع الى المعنى والإعراب ؛ واختلفوا في ذلك فسلك كل ما أداه اليه اجتهاده : فنافع كان يراعي محاسن الوقف بحسب المعنى . . . ثم تخلص أبو عبد الله المسناوي الى النقطة الحساسة

في الـجـواب فقال : (قلت : وعلى هذا المنوال جرى الأستاذ أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي متحريا في ذلك ما ظهر له بحسب اجتهاده ـ وان كان بعضها على وجه ضعيف من المعنى والإعراب ـ كما يعلم ذلك بالتأمل . .) .

وبعد أن ذكر ما هناك من مذاهب في الوقف ، ومن بينها : مذهب ابن عمرو البصري الذي اعتمد رؤوس الآي ، وكان يقول هو أحب إلي ؛ واختاره البيهقي في شعب الايمان وغيره من العلماء ، وقـالوا : الأفضـل الوقوف على رؤوس الآي وان تعلقت بما بعدها ، واتباع هدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واتباع سنته أولى ؛ ـ انتهى الى القول بأن أهل الزاوية الناصرية اختاروا هذا المذهب اقتداء بإمامهم العالم السلفي أبي عبد الله بن ناصر . « ولكل وجهة هو موليها ، فاستبقوا الخيرات » .

ـ ويجيب عن نفس السؤال شيـخ القراء في عصـره أبـو زيـد عبـد الرحمان بن ادريس الشريف المعروف بالمنجرة (ت 1179 هـ) ويقول : (لما كان صنع الهبطي فعل أئمة الاجتهاد ـ مبنياً على مراعاة علم المعاني والبيان ، وبيان كمال كلام واستئناف آخر ، ودفعهم ايهام غلط في الفهم ـ تبعه الناس ؛ والوقف النبوي مبني على مراعاة الفواصل ، ومن قرأ به قاصداً لاتباع فعله ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ أثيب أكثر . . .) .

ـ وتدخل في المعركة بعض قراء سوس من قبيلة هشتوكة وهو من أهل القرن الثاني عشر أيضا ، فألف كتابا أسماه (هز السيـف ، على بعض من أنكر الوقف)! وكأنه ينتصر للهبطي في مذهبه في الوقف ، ويثيرهـا حربـا شعواء على الذين أنكروا عليه ذلك .

ـ وكـان أول من أدخل وقف الهبـطي الى قبائـل جزولـة ـ بجنـوب المغرب ـ أبو عمران موسى بيورك بن الحسن الأسكاري الهشتوكي ، تعلم ببلده فحفظ القرآن وجوده ؛ ثم رحل الى فاس لأخذ العلم والتبحر في علم القراءات ، فأخذ عن جماعة من الشيوخ .

على أن الهبطي وقف كثيرا على رؤوس الآي التي ينتهي المعنى عندها ، ولكنه لم يلتزم ذلك ؛ فهذه الآيات مثلا : 32 ـ 33 من سورة المؤمنون ﴿ تتقون ، تشربون ، الخاسرون ، مخرجون ، توعدون ، بمبعوثين، بمؤمنين﴾ ـ نجده قد وقف على تتقون، ثم جاءت بعده ست فواصل من تشربون الى ﴿بمؤمنين﴾ كل فاصلة منها مستقلة ببيان المعنى الذي تضمنته ، وهي داخلة في عموم قول الحافظ الداني : رؤوس الآي كافية ، الا أنه لم يقف على واحد منها أبو عبد الله الهبطي سوى الأخيرة ﴿ بمؤمنين ﴾.

قال ابن عبد السلام : (. . . وكأنه بما رأى من تقابض معانيها وارتباطها ، مع أن الوقف لعروضه يطلب له وجه يسوغه تماما ، أو كفاية ، أو حسنا ؛ والوصل لمجيئه على الأصل ، لا يطلب فيه ذلك ؛ قال : واذا كان هكذا ، فلا درك على الهبطي في ترك ما يوقف عليه لنافع ، وخاصة في رواية ورش . . .).

ومن هنا جاز لنا القول بأن ابن عبد السلام الفاسي ، هو الرجل الوحيد الذي خدم وقف الهبطي خدمة لا ينساها له التاريخ ، فأوفاه حقه ، وأوضح مقاصده ؛ ومن أهم مؤلفاته : ـ في موضوع الوقف ـ كتاب « الوقف والابتداء » يقول في مقدمته :

(. . . ان مما امتن الله به علي أن جعلني من خدمة العلم الشريف ، ثم أهلني ـ ولله الحمد ـ لخدمة كتابه المجيد ؛ ثم جعلني ملجأ لحملته ، ومفتيا للمتعلمين من خدمته ؛ تبيانا لخلاف قارئه ، وتعليما لكيفية أدائه . . .).

ويذكر من البواعث التي دفعته لوضع هذا الكتاب : أن صناعة الإرداف التي اشتهرت بين الناس ، يحتاج القارىء فيها الى وقف في غير محل تام ، أو كفاية ، أو حسن ، وفي غير رأس آية ، والى ابتداء كذلك ؛ وأنه كثيرا ما يقع السؤال من الطلبة عما يجوز في ذلك وما لا يجوز ؟

وقد بناه ـ كما يقول ـ على ركنين :

أولهما في كيفية الجمع والإرداف ، وما يجوز في ذلك من وقف وابتداء . .

ثانيهما في شرح وقوف الهبطي . . لكون القراء من لدن زمانه الى وقت وضع هذا الكتاب سنة 1204 على اعتباره ، والتعويل عليه تعلما وتعليما . . .

تحدث في القسم الأول عن مذاهب القراء، والذين ألفوا في ذلك؛ ثم عقد فصلا بين فيه أن الرواية في الوقف نوعية لا شخصية ؛ بمعنى أن الكلم الموقوف عليها في القرآن لا توجد فيها رواية بأعيانها ، وانما جاءت الرواية في ذلك بالنوع لا بالشخص ؛ أي نوع ما يوقف عليه باشارة وما لا ، ونوع ما يجب فيه اتباع الرسم وما لا ، ونوع ما يخالف وصله وقفه وما لا . . . الى غير ذلك من الأنواع التي أوردوها هنا.

قال : واذا كان هكذا ـ يعني كان كل من الثلاثة : الوقف، والوصل والابتداء ـ مرويا بالصلاحية، منقولاً بالنوع لا بالشخص؛ لم يكن لها حكم القراءة من حيث متابعة الرواية ، لأن القراءة منقولة بالتواتر على ما هو الحق فيها ، فوجب متابعتها وحفظها عند مقتضاها ؛ والثلاثة منقولة بالنوع ، وأكثرها بالآحاد فكان في متابعتها سعة.

ويهاجم ابن عبد السلام أولئك الذين يعتقدون ـ خطأ ـ أن كل كلمة قيدت بالوقف عن الهبطي وردت بها الرواية ، جهلا منهم بمعنى الرواية ؛ ويعلل ذلك بأنهم حيث قرأوا على شيوخهم ، وأدوا على ذلك ؛ اعتقدوا أن تلك الحال التي أدوا عليها ، هي الرواية ـ في كل ما أدوا عليه ، ومن جملة ذلك الوقوف على الكلمات التي قيدت عن الهبطي ؛ ويقول : إنه تمادى بهم الحال حتى خطأوا من ترك الوقف عندها ، أو زاد شيئا عليها ؛ وجهلوا أنه لا تتعين متابعته في ذلك ، ولا تضر الزيادة عليه ، ولا النقص منه مع مراعاة ما هو مذكور في أقسام الوقف ؛ ولذا زاد بعض العلماء مواضع

عليه ، ونقص بعضهم مما له ؛ على أنه هو نفسه ترك كثيرا مما وسمه الداني بالتمام ، أو بالكفاية ، وزاد مواضع كثيرة لم يذكرها الداني . . . .

والغريب أن الهبطي من المتشبثين بمذهب الداني ، والمغالين فيه ؛ حتى لقد قيل : إنه كان يأمر تلاميذه ـ أن يكتبوا (لغية) ـ بلام ألف : (لاغية) حتى لا ينسى مذهب الداني فيه . . . ولله في خلقه شئون .

وما لابن عبد السلام هنا ـ من أنه لا تتعين متابعة الهبطي في أوقافه ، قد يتنافى مع ما ذكره في كتابه (القول الوجيز في قمع الزاري على حملة كتاب الله العزيز) من أن الواجب بالوجوب الأدائي على التالي : أن يقف على أماكن الوقف الذي يتلو عليه ، كالوقف المنسوب للهبطي ، فالوقوف التي يوقف عليها كلها تراعى فيها معان ، لابتنائها على الإعراب الكفيل بالمعاني ، ومفادات الكلام ؛ لأن فاعلها لم يضعها بالتشهي ، بل وضعها باعتبار اعرابات ، واشارات الى معان ، ونكت في التفسير ـ . . وان نوقش في بعضها ، لأن بشر ليس معصوماً ؛ وقد يجاب بأن ذلك بالنسبة للقارىء المتفقه ، والعالم المتبصر ؛ وهذا بالنسبة لعامة الناس ، والا فهو تناقض واضح .

ثم تخلص المؤلف في نهاية هذا القسم ، للحديث عن صناعة الإرداف ، وأخطاء الناس فيها ، وكيف يجب أن تكون قراءتهم لها ؛ وأورد نبذة تاريخية عنها ، وكيف ابتدعها المغاربة والأندلسيون ، وما للقراء في ذلك من مذاهب ـ حسبما أشرت الى ذلك سابقا .

وخصص القسم الثاني للكلام على أوقاف الهبطي ، وتتبعها وقفة ، وقفة ، وكلمة ، كلمة . . . وشرحها شرحا وافيا استوفى فيها مقاصده ، وأقام الحجة على بعد مرماه ومغزاه ؛ وعاد الى كثير من المصادر التي ربما اعتمدها الهبطي من مذاهب المفسرين ، وآراء المعربين ؛ وكتب الوقف والقراءات ، وسواها ؛ مما دل على اطلاع واسع ، وتعمق شامل في فهم معاني القرآن ، ومهارة في علم القراءات .

وقد أوردنا بعض آرائه وتوجيهاته في النماذج التي عرضناها من المواضع التي انتقدت على الهبطي.

والحق أن ابن عبد السلام، كان رفيقا بالهبطي، بقدر ما كان قاسيا على الداني في مناقشاته وملاحظاته.

لكن هناك بعض وقوف لم يطمئن اليها المؤلف كل الاطمئنان، وليس كل داء يعالجه الطبيب؛ فهذه أواخر السور ـ مثلا ـ يقف عليها الهبطي ويخالف مذهب نافع برواية ورش الذي عليه عمل أهل المغرب، وتذكر كتب الخلاف كالتيسير والشاطبية ـ أن ورشا يسكت عند آخر السورة، أو يصله بأول سورة بعده؛ فوقف الهبطي على ذلك ـ كما يقول ابن عبد السلام ـ إما باعتبار أنه محل وقف وتمام ـ ولا أتم من آخر السورة، وعليه فتتعين البسملة حسبما هو منصوص؛ وإما باعتبار رواية قالون، وأنه كان يقرأ لنافع من روايتيه معا بالبسملة؛ فعلى ما به الأخذ عن ورش من السكت والوصل ـ على التخيير بينهما ـ يجب أن لا يذكر آخر السورة فيما يوقف عليه الا مع بيان أن ذلك باعتبار رواية من يبسمل بين السورتين، ثم بيان أن ذلك أيضا باعتبار أخذ من يقف على آخر السورة ممن يبسمل؛ أما ذكره على الاطلاق لنافع، فيوقع عامة الآخذين ـ في جهل وخطأ عظيمين؛ قال: (. . . وكنت أسأل حفاظ السبعة منهم، فأجدهم على هذا الاعتقاد الفاسد؛ واذا نبهوا، أقاموا على جهلهم تقليدا لأشياخهم؛ وزاد يقول . . . : وكنت آمر الآخذين عني بأن لا يضعوا علامة الوقف (صه) على أواخر السور، لأن الوهم انما أتاهم من قبل وضعها . . .).

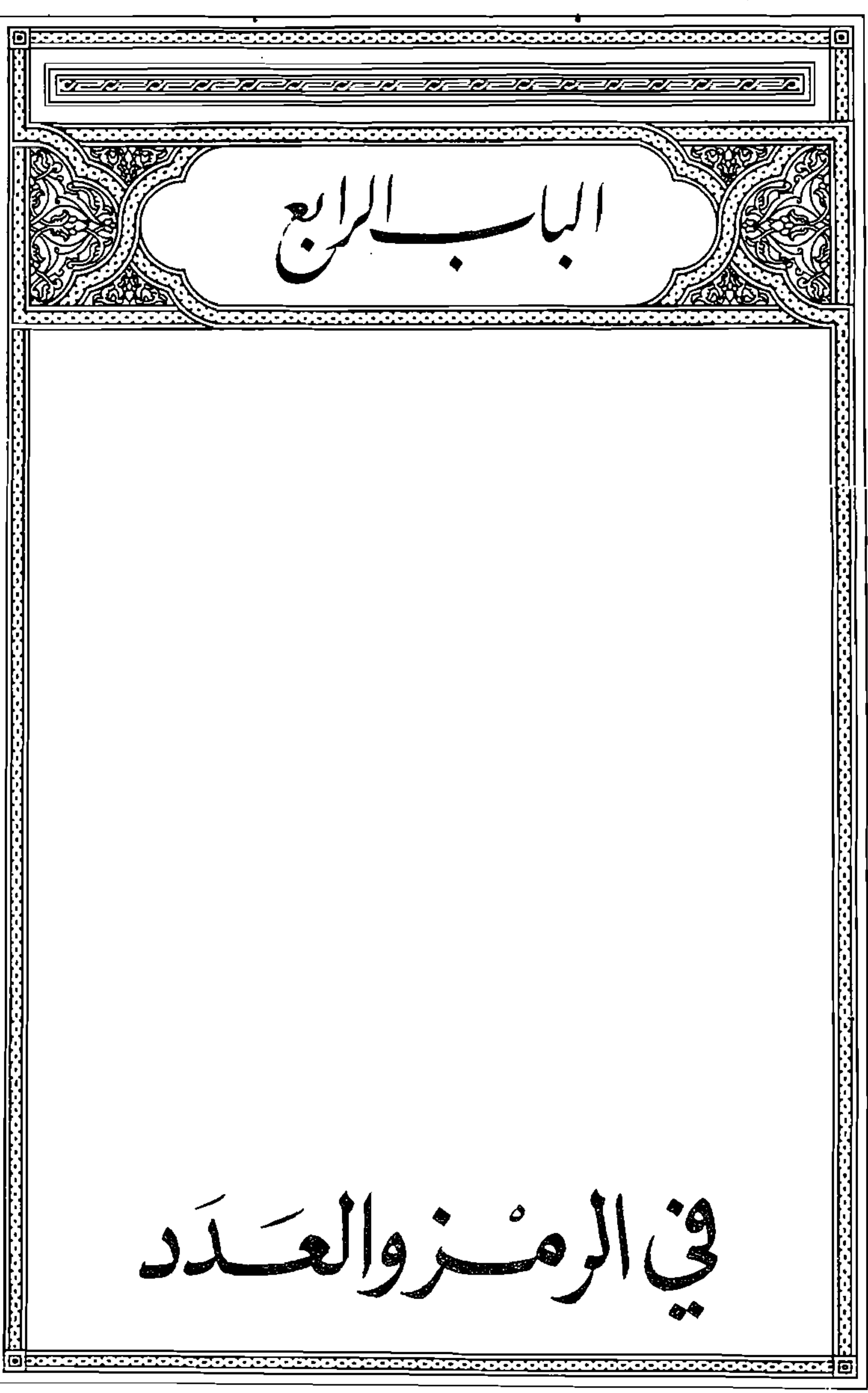
ولا يخفى أن عمل القراء بالمغرب ـ الى اليوم ـ لا يزال على وضع علامة الوقف أواخر السور، عملا بالقول المأثور: «خطأ مشهور، أفضل من صواب مهجور».

على أن وضع علامة (صه) على الكلمات الموقوفة ليس من وضع

الهبطي ، فالنسخ القديمة التي بين أيدينا مجردة من هذه العلامة ، وربما كانت من صنع بعض تلاميذه.

ومر بنا أن أبا عبد الله محمد بن ابراهيم أعجلي الباعقيلي السوسي وضع تأليفاً في ضبط أواخر الكلمات الموقوفة، أسماه (الهداية، لمن أراد الكفاية ، على ضبط وقف أواخر الكلمة بما صح بالرواية) ، ضمنه وقوف القرآن على ما عند الهبطي ، ورتبه على حروف المعجم ؛ وقد أحصى وقوف كل حرف ، فالهمز مثلا : (237) وقفة ، والباء : (329) وقفة ، وهكذا . . ومجموع وقوف القرآن ـ على اختلاف في ذلك : (8877) وقفة ، ويسميها بعضهم بـ (الوقفيات) .





الباب الرابع

في الرمز والعدد



تمهيـــد

ما إن أوشك القرن الثالث عشر الهجري على الانتهاء ، حتى اختفت معالم هذا الفن بالحاضرة أو كادت ؛ بينما انتشرت القراءات بالبادية انتشارا لم يسبق له مثيل ، فكل قبيلة تضم ثلاث مدارس أو أكثر ، وأفواج الطلبة يترددون عليها من كل حدب وصوب ؛ ولا يتولى المشارطة بها الا حفاظ السبع أو من كان له تخصص في فن من الفنون أكسبه شهرة وتفوقا على أقرانه وأنداده.

وأشهر هذه المراكز : أحواز مراكش (سيدي زوين) ، وقبائل سوس ، وجبال غمارة ؛ على أن الجمهرة الكبيرة من قراء هذا العهد يمكن ادراجهم في طبقة القراء الأميين ، كما يتجلى ذلك واضحا في كتاباتهم وأنظامهم ؛ والميادين التي اختصوا فيها وبرزوا في حفظها واتقانها ، لا تتجاوز ـ في الغالب الأعم ـ ما يتصل بالرمز والعدد والحطيات . .

الفصل الأول

الرموز والرمزيات

لعل أول ما ظهرت هذه الرموز ببلاد الأندلس ـ عندما طغت بدعة الجمع والإرداف ـ كما يسميها بعضهم ، وأول من استعملها في تآليفه فيما نعلم ـ أبو القاسم الشاطبي (ت 590هـ) ، فقد حاول اختصار أسماء الشيوخ البدور السبعة ورواتهم ، ورمز اليهم بحروف (أبجد) :

جعلت أبا جد على كل قارىء   دليلا على المنظوم أول أولا

فرمز بـ (أبج) لنافع وراوييه ، فالهمز للامام نافع ، والباء لقالون ، والجيم لورش ؛ وبـ (دهز) لمكي وراوييه ، فالدال للامام ابن كثير ، والهاء للبزي ، والزاي لقنبل ؛ وبـ (حطي) لابن عمرو البصري وراوييه ، فالحاء للامام ابن عمرو ، والطاء للدوري ، والياء للسوسي ؛ وبـ (كلم) لابن عامر وراوييه ، فالكاف للامام ابن عامر الشامي ، واللام لهشام ، والميم لابن ذكوان ؛ وبـ (نصع) لعاصم وراوييه ، فالنون لعاصم الإمام ، والصاد لشعبة ، والعين لحفص.

وبـ (فضق) لحمزة وراوييه ، فالفاء لحمزة الامام ، والضاد لخلف ، والقاف لخلاد.

وبـ (رست) للكسائي وراوييه ، فالراء للكسائي الإمام ، والسين لأبي الحرث ، والتاء لتميم الدوري ؛ وقد اصطلحوا على أن يذكروه مع البصري بلقب الدوري ، ومع الكسائي بتميم.

هذا اذا كانوا منفردين ، أما اذا كانوا مجتمعين كما اذا اتفقوا في

احدى القراءات ، فيرمز بـ (ث) للكوفيين الثلاثة، وهم: عاصم وحمزة والكسائي ؛ وبـ (خ) لغير نافع من السبعة اذا اجتمعوا كذلك على قراءة ، وجعل (ذ) للكوفيين وابن عامر ؛ ورمز بـ (ظ) للكوفيين ومكي ، وبـ (غ) لعاصم وحمزة والكسائي وابن عمرو ، وبـ (ش) لحمزة والكسائي .

وجعل ثمان كلمات رموزاً على شيوخ اذا اتفقوا كذلك في احدى القراءات وهي صحبة ، صحاب ، عم، سما، حق ، نفر ، حرمي ، حصن .

فصحبة رمز للكسائي وحمزة مع شعبة ، وصحاب لحمزة والكسائي وحفص ، وعم لنافع وابن عامر الشامي ، وسما لنافع وابن عمرو وابن كثير ، وحق لأبن كثير وابن عمرو ، ونفر لابن كثير وابن عمرو ، وابن عامر . وحرمي لأبن كثير ونافع ، وحصن لنافع والكوفيين .

واصطلاحه : أن يذكر الحرف المختلف فيه بين القراء ، ثم يردفه برمز القاريء .

ومن بعد ذكر الحرف أسمى رجاله   متى تنقضي آتيك بالواو فيصلا

ومن أمثلة ذلك قوله :

ومالك يوم الدين (ر) اويه (ن) اصر . . سما ، حق ، نفر ، حرمى ؛ فمالك باثبات الألف هي قراءة الكسائي وعاصم ، وقد سبق أنه يرمز الى الكسائي بـ (ر) والى عاصم بـ (ن) .

ومما يؤيد ما ذهبنا اليه من أن الشاطبي أول من استعمل هذه الرموز قول ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ـ وهو يتحدث عن قصيدة (حرز الأماني) للشاطبي : (ولقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهي مشتملة على رموز عجيبة ، واشارات خفية لطيفة ، وما أظنه سبق الى أسلوبها . .) . ويرمز للشيوخ السبعة بـ (ادح كنفر) فالالف لنافع ، والدال لمكي ، والحاء للبصري ، والكاف للشامي ، والنون لعاصم ، والفاء لحمزة ، والراء للكسائي ؛ وهو

أول رمز يكتبه القاريء المبتدىء في لوحة؛ وجمع بعض المتأخرين رموز البدور السبعة مع رواتهم في هذه الأبيات :

(أبـج) ألـف عـن نـافـع ثـم بـاؤهـا
لـقـالـون والـجـيـم لـورش تـحـصـلا
(دهـز) دال الـمـكـي والـهـاء لأحـمـد
ومـهـمـا رأيـت الـزاي فـلـنـسـب لـقـنـبـلا
(حـطي) فـحـرف الـحـاء بـصـري وطـاؤهـا
لـدوريـهـم والـيـاء لـسـوسـي فـاقـبـلا
(كـلم) كـاف لـلـشـامـي ولام هـشـامـه
ومـيـم لابـن ذكـوان بـحـيـث تـنـزلا
(نـصـع) نـونـهـا عـن عـاصـم ثـم صـادهـا
لـشـعـبـة والـعـيـن لـحـفـص تـقـبـلا
(فـضـق) فـاؤهـا عـن حـمـزة ثـم ضـادهـا
لـخـلـف والـقـاف لـخـلاد الاولـى
(رسـت) را الـكـسـائـي ثـم سـيـن لـلـيـثـهـم
وتـا لـتـمـيـمـهـم فـيـه الـرمـز فـاقـبـلا

وقسم القراء هذه الرموز الى قسمين :

1 ـ قسم استعملوه في تراكيب القراءات ، وهو ما يرمز اليه بحروف (أبجد هوز حطي كلمن صعفض قرست.

2 ـ قسم استعملوه في الرسم (الرسميات) وهو باقي الحروف الأبجدية : (ثخذ ظغش) مع رموز (صحبة صحاب عم سما حق نفر حرمي حصن) ، وأشهر هذه الرسميات « الهوارية » لأبي عبد الله الهواري ، الذي تحدثنا عنه ضمن تلاميذ أبي زيد المنجرة.

وأضافوا الى هذه الرموز رموزاً أخرى نجدها في تراكيب القراءات وهذه أشكالها (0 ا ء ـــ × .) فالصفر علامة السكت إن كان مع الوصل ،

والقصر ان كان مع المد ؛ والألف أمارة الوصل إن كان في مقابلة السكت ، والنقل ان كان مع الهمز ؛ والهمزة للتصريح بالهمز ، ويسمونها القالونية ، لأن قالون لا يقرأ الا بالهمز ؛ وورش يقرأ دائما بالنقل ؛ والمط للمد في مقابلة القصر ، وزضعوا علامة الضرب (×) للنقل العارض ، والنقطة (.) للوقف التام.

زرت يوما مقرىء تطوان المرحوم الفقيه السيد محمد الدبدبي ـ بمكتبه بسماط العدول ، ليعطيني بعض الإيضاحات عن هذه الرموز ؛ ففتح المصحف الكريم ـ وكان لا يفارقه ـ فوقعت عيناه على قوله تعالى : ﴿ **واحفظوا أيمانكم** ﴾ ـ الآية ، ثم طوى المصحف وأخذ القلم ، فوضع فوق الآية الرمز التالي (جبـ0كـ) وقال لي: من المعلوم أن الجيم لورش ، والباء لقالون ، وورش عند القراء هو الرتبة ـ يعني الأول في القراءة ؛ والسكون (0) علامة القصر في مقابلة المد ، والكاف للشامي ، فورش وقالون يقرآن بالمدالكبير (جبـ) ، والشامي يقرأ بالقصر (0كـ) ؛ ثم وضع عدد الروايات وهو (24) رواية من ضرب أربعة أوجه القراءات في ستة عدد الرواة : الشيوخ الثلاثة ، ولكل منهم راويان ـ كما هو مبين في غير هذا المكان.

وكانت هذه الرموز توضع فوق الكلمات المختلف فيها في التراكيب وبعد الكلمات في الرسم ، ولا تزال بعض المصاحف تحمل هذا الطابع الى اليوم.

ثم جردت كتآليف خاصة ، وسميت رمزيات ان تعلقت بوجوه القراءات ، ورسميات ان كانت تتصل بالرسم كما هو بين في محله .

ومرت هذه الرمزيات بمراحل :

أ ـ تذكر فيها سائر وجوه القراءات.

ب ـ اختصرت في الجملة ، وألغيت بعض الوجوه المكررة.

جـ ـ ثم اقتصروا أخيرا على الرتبة والمصدر (الصفا) وهي الطريقة المعمول بها الى اليوم.

ويمكن تقسيم هذه الرمزيات الى ما يلي :

1 ـ رمزية قالون .
2 ـ رمزية ابن كثير (حرمي) .
3 ـ رمزية البصري (سما) .
4 ـ رمزية الشامي .
5 ـ رمزية حمزة .
6 ـ رمزية البدور السبعة ـ أو الشيخ على حد تعبيرهم .
7 ـ رمزية العشر الصغير .

وقد ألف كثيرون في موضوع الرمزيات ، ذكرنا طائفة منهم في آخر الفصل الرابع من الباب الثاني .

الفصل الثاني

في العدد

ثم ظهرت أخيرا بشمال المغرب ـ مدرسة العدد ، ولعل من الدواعي التي دفعت الى ذلك : أن المدرسة البدوية ـ على العموم ـ تعتمد على الحفظ والاستظهار أكثر من الفهم والنظر ، فالطالب القروي ـ بعد أن يحفظ القرآن برواية ورش ، يبدأ في التحنيش ـ على حد تعبيرهم ـ فيقرأ برواية قالون ـ وهو يبحث في الترقيق ، والتفخيم ، والتوسط ، والقصر ، والهمز ، كالأرض ـ في الارض ، ويؤخرهم في يوخرهم .. ثم بمكي (ابن كثير) ـ براوييه بزي وقنبل ، وهو يبحث في الميم الساكنة فيحركها ، والهمز فيظهره ـ . . وتعرف قراءة الشيخين : نافع وابن كثير بـ(حرمي) ـ بكسر الحاء وسكون الراء ، نسبة الى الحرم الشريف ، والكسر والسكون لغة فيه ؛ ومعلوم أن نافعا مدني ، وابن كثير مكي ، ويقال لهما الحرميان.

ثم يضيف الطالب الى ذلك قراءة ابن عمرو البصري براوييه الدوري والسوسي ، وهو يبحث في الادغام الكبير والصغير ، وما الى ذلك.

فاذا حفظ هذه الأحرف الثلاثة ـ وتعرف بـ (سما) ، جمع اليها الأحرف الأربعة الباقية برواياتها الثمان ـ دفعة واحدة ؛ وكان عليه أن يحفظ هذه الروايات كلها ، ويرددها مجتمعة ؛ وربما وصلت بعض التراكيب الى آلاف الوجوه.

ومدرسة الغدد تقوم على إحصاء شامل لوجوه القراءات ، ومختلف الروايات ؛ فاختصرتها ، وألغت المكرر منها ، وربما اقتصرت على الرتبة والمصدر فيها ؛ ووضعت على الكلم المختلف فيها عدد رواياتها ، وأرقام

وجوهها ؛ فاختصرت على القارىء الطريق ، وسهلت عليه معرفة هذه الوجوه وحفظها ؛ وأزاحت عنه عبئا ثقيلا كان يعانيه مدى الحياة ، حتى لقد قيل ان حمزة (السبع) من أسبابه الجنون ، قلما يسلم القارىء من لوثته .

أبو عبد الله الوليذي (ت 1320 هـ) :

من الشيوخ الذين أسهموا في بناء هذه المدرسة ، وكان لهم دور فعال في توطيد أركانها : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد السلام الوليذي ، يتصل نسبه بأولاد ابن رحمون من الشرفاء العلميين ؛ ولد في حدود منتصف القرن الثالث عشر للهجرة بقرية تافزا من قبيلة أنجرة ، على بعد نحو (20) كلم من تطوان .

وبعد أن حفظ القرآن ، وأتقن رسمه وضبطه ؛ لازم الشيخ المقرىء الحاج علي الشعيري بمدشر حسانة سبع سنين ، فحفظ عليه السبع .

ثم انتقل الى دار ابن قريش من قبيلة بني حزمار ، على بضع كيلومترات من تطوان ؛ فقرأ على الشيخ ابن الطاهر الوهابي عدة ختمات بالسبع ، وبعد موته خلفه في مكانه ، فتولى الاقراء بجامع ابن قريش مدة ؛ وازدحمت أفواج الطلبة عليه ، وكانوا يصلون أحيانا الى أربعين طالبا ؛ فتخرج على يديه العدد العديد من شيوخ هذا الفن ، من بينهم الفقيه القناني الشهير من قبيلة بني حسان ، والفقيه ابن الأزرق ، والفقيه شابو ، والفقيه الفلاح ، والفقيه أبي العيشيش - من قبيلة أنجرة، وسواهم .

وكان الفقيه الوليذي يشعر بنقص في علم الحساب ، فتعلمه على بعض أحبار اليهود بتطوان حتى مهر فيه ، وربما كان ذلك مما ساعده على اتقان فن العدد حتى أصبح إماما فيه .

وعلى رأس المائة الثالثة بعد الألف ، ذهب في وفد من أعيان قبيلته الى فاس للاتصال بالسلطان المقدس الحسن الأول في مهمة تتعلق بحدود سبتة مع قبيلة أنجرة ؛ فاجتمع به بعض علماء فاس ممن لهم مشاركة في

علم القراءات ، فتذاكروا طويلا ـ في مسائل هذا الفن ، وخاضوا في أصوله وفروعه ؛ وكانوا اذا خالفوا الشيخ في مسألة ، استدلوا عليه بقول الجعبري ؛ فيقول لهم : أنا الجعبري ، فيملي عليهم من حفظه ما قد لا يجدونه محررا كذلك في أي ديوان ؛ فأعجبوا من مهارته واطلاعه الواسع في هذا الميدان ، ولكنهم لاحظوا عليه ضعفه في العربية .

توفي ـ رحمه الله ـ سنة (1320هـ) .

حدثني ولده المرحوم أبو محمد عبد السلام الوليذي ـ وكان يحفظ البصري ، وهو محدث لبق على كبر سنه ـ أن والده الفقيه الوليذي وضع أشياء قربت من صعوبة العدد ، وان له تجديدات في الاختبار والاندراج .

وقفت عند بعض حفدته على مخطوطات بخط يده ، منها رمزية البدور السبعة بالعدد ـ فرغ منها يوم الجمعة تاسع ربيع الثاني عام (1319هـ) ـ أي قبل وفاته بسنة ؛ يقول في خاتمتها :

(. . . كملت الرمزية المباركة لقراءة البدور السبعة ـ على يد كاتبها ـ . . محمد بن الفقيه أحمد بن عبد السلام بن محمد الوليذي أصلا الأنجري سكني ، التفزي دارا ومنشأ ، الرحموني الحسني ـ نسباً ـ وكان الفراغ منها يوم الجمعة تاسع ربيع2 عام (1319هـ)) .

ووجدت من بين الخروم رمزية البصري مبتورة الأول ، تذكر أعداد التراكيب بالحروف لا بالأرقام هكذا : مثلا سورة الفيل ألم يجعل : ج° 1 ط° 1 ي° 1 بهزيد : ستة وتسعون رواية .

ولعلها أول محاولة لاستخراج عدد الروايات .

ومن الشيوخ المعاصرين لهذه الطبقة من قبائل غمارة : الفقيه المكي أرشيق الجريري من قبيلة بني جرير ، وهو خاتمة حفاظ العشر بشمال المغرب ؛ والفقيه أحمد بن سليمان أعراب من قبيلة بني بوزرة أحد حفاظ العدد ، تخرج على يديه كثيرون ؛ وكانت الرحلة اليه من قبائل سوس وغيرها ، توفي في حدود سنة (1349هـ) .

ومن أشهر تلاميذه الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد أيثونة الملقب بالكُرمة من قبيلة بني رزين ، قضى أكثر حياته في تعليم كتاب الله بالروايات السبع ، وكان الطلاب يحجون اليه من كل جهة ومكان ، توفي في رابع جمادي الأولى عام(1391هـ) .

ووجد بخزانته بخط يده المخطوطات التالية :

1 ـ الحطية ، 2 ـ ميم الجمع ، 3 ـ هاء الضمير ، 4 ـ الاتصال ، 5 ـ التنوين ، 6 ـ الرسم ، 7 ـ رمزية الشيخ (البدور السبعة) ، 8 ـ رمزية سما ، 9 ـ رمزية مكي ، 10 ـ رمزية قالون ، 11 ـ الوقفية ، 12 ـ الكناوية ، 13 ـ الثبت الغريب ، 14 ـ الحذف الغريب ، 15 ـ الثبت الأخير ، 16 ـ الحذف ، 17 ـ الرسمية ، 18 ـ الوزن .

وهو آخر حفاظ السبع بقبائل غمارة ، وبموته انقطع فن القراءات بهذه الديار ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

تراث لا تعرفه مكتبات المشرق :

وهذه الفنون التي تحدثنا عنها من حطيات ، ورمزيات ، وعدد ، هي تراث مغربي صميم ، لا تعرفه مكتبات المشرق ؛ وقد التقيت ـ صدفة في الخزانة الحسنية بالرباط ـ بالأستاذ المرحوم رشاد عبد المطلب في زيارته الأخيرة الى المغرب سنة (1974م) ـ على رأس بعثة معهد المخطوطات للجامعة العربية بقصد تصوير ما بالخزائن المغربية من ذخائر ونوادر ـ وهو العالم المطلع على خبايا مكتبات العالم ـ فحدثته ـ وأنا أحضر هذا البحث عن التراث الضخم الذي تحتضنه مكتبات المغرب في فن القراءات ، فأكد لي أنه تراث لا تعرفه مكتبات المشرق ؛ مما شجعني على تحرير هذه الفصول ؛ والله الموفق ، والهادي إلى أقوم طريق .

والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

الفهـــارس



1 ـ فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

2 ـ فهرس أعلام القراء لكل عصر

أ ـ العصر المرابطي :

ب ـ العصر الموحدي :

ج ـ العصر المريني :

د ـ العصر الوطاسي :

هـ - العصر السعدي :

و - العصر العلوي :

3 ـ فهرس أسماء كتب القراءات

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(ش)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

فهرس مصادر الكتاب

ابن آجطا عبد الله :
ـ التبيان في شرح مورد الظمآن (مخطوط خاص) .
ابن ابراهيم عباس :
ـ الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ـ المطبعة الملكية بالرباط (1974 ـ 1983) .
ابن بري علي :
ـ الدرر اللوامع ، في أصل مقرأ نافع (مخطوط خاص) .
ابن بشكوال خلف :
ـ الصلة : نشر عزت العطار : (1374 ـ 1955) .
ابن الجزى (محمد) :
ـ غاية النهايات ، في رجال القراءات ـ نشر مكتبة المثنى (1352 ـ 1933) .
ـ النشر في القراءات العشر ـ مطبعة مصطفى محمد (بدون تاريخ) .
ابن حبيب عبد الملك :
ـ رسالة الى معلم والده ـ نشر سعيد أعراب (مجلة الثقافة المغربية ع 7 ـ 1972) .
ابن خلدون عبد الرحمان :
ـ المقدمة ـ دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر (1954)
ـ رحلة ابن خلدون شرقاً وغرباً ـ تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر (1370 ـ 1948) .

ابن خلكان أحمد :
ـ وفيات الأعيان ـ مطبعة السعادة (1367 ـ 1948) .
ابن سحنون محمد :
ـ آداب المعلمين ـ ملحق بكتاب « التربية في الاسلام » لأحمد الأهواني ـ دار احياء الكتب العربية (1955) .
ابن زيدان عبد الرحمان :
ـ اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ـ المطبعة الجديدة بالرباط (1329 ـ 1933) .
ابن شعيب أحمد :
ـ اتقان الصنعة ، في التجويد وقراءة السبعة (مخطوط خاص) .
ابن عبد السلام الفاسي (محمد) :
ـ المحاذي (مخطوط خاص) .
ـ تأليف في الوقف والابتداء (مخطوط خاص) .
ـ القول الوجيز ، في قمع الزاري على حملة كتاب الله العزيز (مخطوط خاص) .
ابن عاشر (أحمد) :
ـ تأليف في قراءات الأئمة الثلاثة الزائدين على السبعة (مخطوط خاص).
ابن عاشر (عبد الواحد) :
ـ فتح المنان المروي بمورد الظمآن (مخطوط خاص) .
ابن غازي (محمد بن أحمد) :
ـ التعلل برسم الاسناد ، بعد انتقال أهل المنزل والناد ، (فهرس) ـ تحقيق الزاهي ـ طبع دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ـ الدار البيضاء (1399 ـ 1979) .
ـ تفصيل عقد الدرر (مخطوط خاص) .
ابن القاضي (أحمد) :
ـ جذوة الاقتباس ، بمن حل من الاعلام بمدينة فاس ، طبع على الحجر بفاس (1309 هـ) .

ابن القاضي (عبد الرحمان) :
- الفجر الساطع، والضوء اللامع، في شرح الدرر اللوامع (مخطوط خاص).
- علم النصرة ، في تحقيق قراءة امام البصرة (مخطوط خاص) .
- الايضاح لما ينبهم عن الورى ، في قراءة عالم أم القرى (مخطوط خاص) .
- بيان الخلاف والتشهير ، وما وقع من الحرز في الزيادات على التيسير (مخطوط خاص) .
ابن المبارك (محمد) :
- القصيدة الدالية في تخفيف الهمز لحمزة وهشام (مخطوط خاص) .
أبو بكر الزبيدي (محمد) :
- طبقات النحويين واللغويين - نشر الخانجي (1379 - 1954) .
أبو حيان (محمد بن يوسف) :
- البحر المحيط - مطبعة السعادة (1328 هـ) .
أبو وكيل (ميمون الفخار) :
- كتاب الدرة (مخطوط خاص) .
اسماعيل باشا البغدادي :
- هدية العارفين ، نشر مكتبة المثنى (الأوفست) .
الأشموني (علي) :
- منار الهدى ، في الوقف والابتداء - طبع دار المعارف بمصر .
أعجلي (محمد) :
- الاتصال الكبير (مخطوط خاص) .
الأفراني (محمد الصغير) :
- صفوة من انتشر في أخبار صلحاء القرن الحادي عشر - طبع على الحجر بفاس (بدون تاريخ) .
البكراوي (إدريس) :
- التوضيح والبيان ، في مقرأ نافع المدني بن عبد الرحمان - طبع على الحجر بفاس .

التاملي (محمد) :

ـ مختصر في فواصل الآي (مخطوط خاص) .

التنسي (محمد بن عبد الله) :

ـ الطراز ، في شرح الخراز (مخطوط خاص) .

الحضرمي (محمد) :

ـ بلغة الأمنية ومقصد اللبيب ، فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب ـ نشر محمد بن تاويت ـ مجلة تطوان ع 9 (1964) .

الخراز (محمد) :

ـ مورد الظمآن ، في رسم أحرف القرآن (مخطوط خاص) .

الخطابي (محمد العربي) :

ـ فهرس الخزانة الحسنية ـ م 6 ـ في علوم القرآن (1407 ـ 1987) .

الداني (عثمان) :

ـ التعريف ـ تحقيق التهامي الراجي الهاشمي ، مطبعة فضالة ، المحمدية ـ المغرب .

الرحماني (محمد) :

ـ الهدية المرضية ، في القراءة المكية (مخطوط خاص) .

الزمخشري (محمود) :

ـ الكشاف في التفسير ـ نشر دار الكتاب العربي بلبنان (1366 ـ 1947) .

سليمان العلوي (السلطان) :

ـ عناية أولي المجد ، بذكر آل الفاسي ابن الجد ـ المطبعة الجديدة بفاس (1347 ـ 1928) .

السيوطي (عبد الرحمان) :

ـ الاتقان في علوم القرآن ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي (1370 ـ 1951) .

الشاطبي (أبو القاسم) :
- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع - مطبعة مصطفى محمد (1934) .
الشوشاوي (الحسين بن علي) :
- الفوائد الجميلة ، في الآيات الجليلة (مخطوط خاص) .
الصفاقسي (علي) :
- غيث النفع في القراءات السبع نشر هامش حرز الأماني (الشاطبية) .
عياض بن موسى اليحصبي السبتي :
- الغنية (فهرسة أشياخه) تحقيق محمد بن عبد الكريم - المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية (1979) .
الفاسي (محمد العابد) :
- فهرس مخطوطات خزانة القرويين ، دار الكتاب الدار البيضاء (1399 - 1979) - (1403 - 1983) .
القابسي (علي) :
- الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين : - ملحقة بكتاب التربية في الاسلام لأحمد الأهواني (1955) .
القادري (محمد بن الطيب) :
- نشر المثاني ، لأهل القرن الحادي عشر والثاني - تحقيق محمد حجي - أحمد توفيق - طبع دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر (1379 - 1977) - (1407 - 1986) .
الكتاني (محمد بن جعفر) :
- سلوة الأنفاس ، ومحاضرة الاكياس ، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس - طبع على الحجر بفاس (1306 هـ) .
كنون (عبد الله) :
- النبوغ المغربي - ط دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر (1961) .
المختار السوسي :
- خلال جزولة طبع تطوان - المغرب .

ـ سوس العالمة ـ مطبعة فضالة ، المحمدية (1380 ـ 1960) .

المقرى (أحمد) :

ـ أزهار الرياض ، في أخبار عياض ـ مطبعة فضالة ـ المحمدية ـ المغرب . (1398 ـ 1978 . 1399 ـ 1979) .

المنوني (محمد) :

ـ دليل مخطوطات دار الكتاب الناصرية بتمكروت ـ مطبعة فضالة ـ المحمدية ـ المغرب (1405 ـ 1985) .

ـ تاريخ المصحف الشريف (فصلة من مجلة معهد المخطوطات ـ مايو : 1969) .

المنجرة (ادريس) :

ـ نزهة الناظر والسامع ، في إتقان الأداء والإرداف للجامع (مخطوط خاص) .

المنجرة (عبد الرحمان) :

ـ فتح الباري ، على مشكلات أبي اسحاق الجعبري (مخطوط خاص) .

المهدي الدليرو ـ محمد بوخبزة :

ـ فهرس مخطوطات خزانة تطوان ـ قسم القرآن وعلومهُ ـ مطابع الشيوخ (ديسبريس) ـ تطوان (1401 ـ 1981) .

الناصري (أحمد بن خالد) :

ـ الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ـ طبع دار الكتاب ـ البيضاء (1954) .

الهبطي (محمد) :

ـ تقييد وقف القرآن العظيم (مخطوط خاص) .

الهواري (محمد) :

ـ الهوارية في الرسميات (مخطوط خاص) .

ي . س . علوش ـ عبد الله الرجراجي :

ـ فهرس المخطوطات العربية ، المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط ـ نشر معهد الأبحاث العليا المغربية (1954) .

دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها: الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود

تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 90/2/2000/164

التنضيد : سامو برس / بيروت

الطباعة : مطابع الشروق

بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا: داشروق - تلكس: SHOROK 20175 LE